نحو زواج أفضل

تأليف

جاري تشبمان

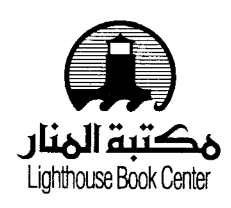
نحو زواج أفضل

إقامة علاقة المحبة التي تحلم بها

تأليف

جاري تشابمان

ترجمة: ماهر ناثان



طبعة أولى ديسمبر ٢٠٠٠

English Title: Toward A Growing Marriage — **نحو زواج أفضل**

Author: Gary Chapman — تأليف جاري تشابمان

Original Publisher: — ترجمة: ماهر ناثان

Moody, Press, Chicago.

Arabic publisher: — الناشر للنسخة العربية:-

Lighthouse Book Center — **مكتبة المنار**

17, Murad El-Sherei St. — ١٧ ش مـــراد الشـــريعي-

Saint Fatima. — سانت فاتيما – مصر الجديدة

Heliopolis, Cairo, Egypt.

Tel : (202) 639 50 30 — تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠

Fax : (202) 7535240 — فاكس: ٧٥٣٥٢٤٠

Mobil: 012/3233352

رقم الإيداع : ٢١٨٧/ ٢٠٠١

الترقيم الدولى : 4 - 42 - 5674 - 977

المحتويات

الجزء الأول

النّمو السابق للزواج

الجزء الثاني

النّمو في الزّواج

مقدمة

تزوّجتُ منذ ستة شهور. ومثل العديد من الشّباب المسيحيين الآخرين، أقدَمتُ على الزّواج ظانّة أنه «سماء على الأرض». فكانت تحلم قائلة: «*إن زواجنا سيكون أعظم زواج في الوجود*. كيف لا وأنا مسيحية، وهو أيضاً مسيحي، ونعشق أحدنا الآخر من كل القلب». كان هذا السبب الجوهري للزّواج. ماذا يطلب الشخص غير ذلك؟ وماذا يتوقّع؟ كانت الأجراس تدقّ! كانت تحس بالإثارة تغمرها حينما يلمسها وكانت مشاعرها تهتز وتتحرك من شدة الموقف!

«مشورة؟ من يحتاج إلى مشورة؟ إنها لأصحاب المشاكل. نحن لا نعاني من أية مشاكل؛ نحن مُتيّمان حُبّاً!» إذاً ماذا عن قراءة كتاب عن الزّواج أو إجراء دراسة كتابية للكشف عن المبادئ الكتابية للحياة العائلية؟ «نحن لا نجد وقتاً لذلك؛ نحن نريد فقط أن نتزوّج. وسنقرأ الكتب عندما نتقاعد. أما الآن فهو وقت الاستمتاع بالحياة».

كان هذا موقفها من نصف سنة لا أكثر. لكن ذلك كله تغيّر الآن وهى جالسة في مكتبي .. تبكي. أحلامها قد تحطّمت. قالت: «أنا لا أطيقه. إنه أناني للغاية. لا يفكّر فيّ. يريدني أن أعمل كل شيء على طريقته. ولا يمكث في البيت أبداً. أنا تعيسة». كيف يمكن أن تنحدر آمال المرء من قمة جبل إفرست إلى أعماق الهاوية في غضون ١٨٠ يوماً لا أكثر؟

نحن نقدم مادة هذا الكتاب لأولئك الذين – بحكم رجاحة عقولهم وحكمتهم – يعلمون أن السّعادة الزّوجية لا تتحقق من تلقائها، حتى عندما يكون الزوجان مسيحيين و«غارقين في الحب». إن معدل الانفصال والطّلاق بين الأزواج المسيحيين مستمر في الارتفاع، في حين أن آلافاً من الأزواج المسيحيين الآخرين يستمرّون يعيشون معاً حياة أقل بكثير من «الحياة الفضلى» التي وعد بها يسوع.

ولا يمكن أن نلوم الأزواج الشّبان المتورطين في هذا الموقف على مثل هذا الاضطراب الحادث في الزّيجات المسيحية كلّ اللوم. يحدث كثيراً أن يكون الأزواج راغبين في تلقّي الإرشاد، لكن تفشل الكنائس في تقديمه. إن كل ما نقوله

تقريـــباً لشبابنا من فوق المنابر إنّهم لا يجب أن يتزوّجوا من غير المسيحيين (١كورنثوس ٦: ١٤) وإنهم لا يجب أن يقيموا علاقات جنسية قبل الزّواج (١كورنثوس ٦: ١٨). رغم أن كلاً من هاذين القولين كتابي، إلاّ أنهما نواهٍ سلبية (تأمر **بعدم** عمل شيء معين). واتباعنا لهما لا يضمن لنا زواجاً مُشبِعاً. الكتاب المقدس إيجابي أكثر منه سلبي، لكننا تأخّرنا في الإفصاح عن المبادئ الإيجابية للعلاقات الذكرية/الأنثوية لشبيبة اليوم.

يـــرجو المؤلـــف أن تســـاعد المادة المقدّمة هنا على إثارة الاهتمام بين الأزواج المسيحيين، وأيضاً الطامحين إلى الزواج، فـــي المســـاعدة الهائـــلة التي يوفرها الكتاب المقدس في هذا المجـــال. ليس القصد أن يكون هذا الكتاب غاية في ذاته. ففي المجـــالات التي تتوفر فيها مواد ممتازة، قد أشار المؤلف إلى عـــناوين الكتب ومصادرها. لكن يُعتقَد أنه إذا اكتفى الزوجان بإكمال هذه الدّراسة فقط، فسيكونان قد قطعا شوطاً طويلاً نحو السّعادة الزّوجية. إنما يجب التنويه على أن التّعرّض العقلاني للحقيقة لا يؤتي إلاّ ثماراً قليلة، كما هو الحال مع كل الدّراسات المتعـــلّقة بالحيـــاة. إنما التّطبيق العملي للحقيقة هو الذي ينتج

الثمر. لذلك، فالواجبات المقترحة في خاتمة كل فصل مهمة جداً.

ينقسم الكتاب إلى قسمين: النّمو السابق للزواج والنمو في الزواج. أما القسم الأول فقد خصّصناه للأشخاص الذين هم في طور التغيير ليصبحوا أشخاصاً «ملائمين»، أو «مناسبين»، لأزواجهم أو أولئك المقبلين على الزواج بهم. ثم يخاطب القسم الثّاني أولئك الأزواج الذين قد تبادلوا عهود الزواج ويحاولون الآن أن يوفّوا بذلك الالتزام. يجب أن يكمل الخطيبان الكتاب بأكمله قبل الزّواج وبعد ذلك أن يراجعا القسم الخاص بالزّواج في غضون الشّهور الأولى السّتة من زواجهما. أما الأزواج الذين مضى على زواجهما زمن طويل فسيجدون القسم الخاص بالزّواج محفّزاً لنموهم الزّوجي الشخصي، والقسم السابق للزواج مفيداً لهما وهما يقدمان النصيحة للعزّاب.

الجزء الأول

النّمو السابق للزواج

أغراض المواعدة ومخاطرها

قد قابلت العديد من طلاب الجامعات المسيحيين الذين قد يئسوا من نظام ترتيب المواعيد (للتقابل). قد وجدوه طريقاً مكسواً بوجع القلب والإحباط الجسدي وسوء التفاهم ومضايقات لا حصر لها، التي جعلتهم ينظرون إلى الأمر برمّته كما لو كان «صفقة غير رابحة».

صاروا يفكرون: «لماذا أتواعد؟ سأنتظر حتى يُحضِر الله الإنسان المناسب إلى حياتي وأتجنّب كل مشاكل المواعدة». هل هؤلاء الشّباب على صواب في استنتاجاتهم؟ هل عدم التواعد أمر كتابيي أكثر من ترتيب المواعيد؟

بالنسبة إلى البعض، تبدو فكرة عدم التواعد ذاتها غير طبيعية، لكن بالنسبة إلى الآخرين تبدو بديلاً ناجحاً. ما العوامل التي يجب أن نراعيها هنا؟

أولاً، دعوني أذكّركم بأن المواعدة ليست ممارسة عالمية. تحرّم العديد من البيئات، سواء المثقّفة أو الأمية، فكرة تحديد فتى وفتاة سلسلة من المرات للالتقاء، مهما كان الغرض. مع العلم بأن هذه البيئات تتمتع بالعديد من الزّيجات المستقرّة. لذلك، فإن المواعدة ليست جزءاً ضرورياً من عملية الزّواج.

لكن بعد قولي هذا، أضيف أننا يجب أن نكون واقعيين ونعترف بأنّ تحديد المواعيد عنصر أساسي من البيئة الأمريكية الغربية. في الحقيقة، قد أشار البعض إلى المواعدة بأنها التقليد القَبَليّ الأمريكي المفضّل. وحقيقة وجود مخاطر في هذا النّظام لا تعني أنّ العملية نفسها شرّيرة بالضرورة. بالعكس، لعلها تكون واحداً من أصح الأنظمة الاجتماعية في مجتمعنا كله.

أغراض المواعدة

فما هي أغراض المواعدة؟ إن السّبب في فشل العديد من الشّباب في مسألة المواعدة هو أنّهم لم يفهموا أهدافها بوضوح. إذا سألت مجموعة من الطّلاب: «لماذا تتواعدون؟» فستتراوح الإجابات من «لكي أقضي وقتاً ممتعاً» إلى «لأجد الرّفيق». عادة يقال إنّ غاية كل ذلك هي الزّواج، لكننا لسنا على بيّنه من الأهداف المحدّدة الأخرى. دعوني أعدّد بعضها وأقترح عليكم إضافة بنود من عندكم على القائمة بعد التفكير في أهدافكم الشّخصية الخاصة.

واحد من أغراض المواعدة أن تتعرف على أشخاص من الجنس الآخر وأن تتعلّم كيف تتعامل معهم كأشخاص. لا يغيب عن الجميع أن نصف العالم يتكوّن من أفراد من الجنس الآخر. فإذا فشلنا في أن نتعلّم فن إقامة العلاقات الصّحّية مع «النّصف الآخر»، نكون قد ضيّقنا حدود آفاقنا إلى حدّ بعيد.

صنعنا الله ذكوراً وإناثاً، وهو يرغب أن يتعامل أحدنا مع الآخر كمخلوقات تتشارك في صورته. لا شك أن اختلافاتنا متعددة، لكن حاجاتنا الأساسية واحدة. فإذا كنا نريد تقديم العون

للناس، وهي أسمى رسالة في الحياة، فعلينا أن نتعرف عليهم- ذكوراً وإناثاً. لا يمكن أن تبنى العلاقات بدون شيء من التفاعل الاجتماعي. في أمريكا، يهيّئ التواعد الوضع لمثل هذا التّفاعل.

منذ بضع سنوات مضت، روى لي أحد الأصدقاء خبرته وهو يؤدي الخدمة العسكرية، حيث كان معسكره على شاطئ الريفييرا الفرنسي. كان يتطلّع يومياً من نافذة شقته على النصف الأنثوي من خليقة الله، عاريات كما ولدتهنّ أمهاتهنّ. فعبثت بذهنه التّخيلات الشّهوانية. وتكررت هذه الظّاهرة يوماً بعد يوم. اشتد وطيس المعركة مع الشّهوة حتى قادته في النهاية إلى طلب النصيحة من أخ مسيحي.

أسَرّ إليه بالقول: «ماذا أعمل مع هذا الإحباط الهائل في داخلي؟ لا أقدر أن أستمرّ على هذا المنوال».

فما كان من الصّديق إلاّ أن عرض عليه اقتراحاً حكيماً جداً، لكنه غير متوقّع. قال: «انزل إلى الشّاطئ وتجاذب أطراف الحديث مع بعض أولئك الفتيات».

قاوم صديقي في بادئ الأمر، معتقداً أن ذلك يتنافى مع الأخلاق المسيحية، لكنه وافق أخيراً مع إصرار صديقه. ولدهشته، وجد أن صراعه مع الشّهوة لم يزدِ بل تناقص. فإذ تحدّث مع أولئك النّساء، وجد أنهن أشخاص، لا أشياء؛ لكل منهنّ شخصيتها وماضيها وأحلامها الفريدة الخاصة بها؛ أشخاص يمكنه التفاهم والتواصل ومناقشة الأفكار معهنّ، فيتعاملن معه بدورهنّ على أنه شخص.

طالما بقي في شقته وحدّق فيهنّ عبر النّافذة، كان يراهنَّ فقط كأهداف جنسية. لكن عندما اقترب منهنّ، وجد أنهن أشخاص. هذه واحدة من أغراض المواعدة.

أما الغرض الثاني فهو أن المواعدة تعمل على تطوير شخصية الفرد. كلّنا نجتاز بمراحل معينة، حتى أن أحدهم اقترح أنّ نضع شارات حول أعناقنا تقول: «تحت الإنشاء».

حين نتعامل مع الآخرين في سياق المواعدة، نبدأ نرى سمات شخصية متعدّدة فيهم. فيثير هذا فينا تحليلاً صحّياً للذات يعود علينا بفهم أعظم لذواتنا. فنميّز أنّ بعض الخصال

مرغوبة عن غيرها. ونتعرف على مواطن قوتنا وضعفنا. ومعرفة مواطن الضّعف هي الخطوة الأولى نحو النّمو.

الحقيقة هي أنّنا جميعاً نتمتّع بمواطن قوة وضعف في شخصياتنا. ما من أحد منّا كامل. النّضج ليس هو الخلو من العيوب. إلاّ أن الطّريق المسيحي هو طريق يصعد إلى أعلى. علينا أن لا نقنع بحالتنا الراهنة من التّطوّر. فإذا انعزلنا أكثر من اللازم، لا يمكننا أن نخدم الآخرين بحرّية. وإذا أكثرنا الكلام أزيد من اللازم، ربما نتسبب في إبعاد مَن يجب علينا خدمتهم ومساعدتهم. إن التعامل مع الجنس المقابل في إطار المواعدة يتميّز بقدرته على تمكيننا من النظر إلى أنفسنا والتعاون مع الروح القدس في خطته لتنمية حياتنا.

منذ عدة سنوات، قال لي شاب كثير الكلام: «أنا لم أدرك مدى انزعاج الناس مني حتى واعدت ماري. إنها تتحدّث طول الوقت، وهو ما يوشك أن يصيبني بالجنون». أشرق النور وانفتحت عيناه على الحقيقة. رأى في ماري نقطة ضعفه الخاصة وكان الشاب ناضجاً بما يكفي لاتخاذ خطوات نحو النّمو.

كان معنى ذلك بالنسبة إليه أن يكبح رغبته في الحديث ويطور قدرته على الاستماع، وهي الوصفة التي نصح بها الرّسول يعقوب منذ عهد بعيد: «إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ» (يعقوب ١: ١٩). ما نكرهه في الآخرين هو غالباً موطن الضّعف في حياتنا الخاصة. فيمكن للمواعدة أن تساعدنا أن ننظر إلى أنفسنا بواقعية.

أما الغرض الثالث للمواعدة فيرتبط بهذا ارتباطاً وثيقاً. أي أنها توفّر فرصة لتقديم المساعدة للآخرين. المسيح هو مثالنا. وهو القائل إنه لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم (مرقس ١٠: ٤٥). فإذا أردنا اتباع مثاله، يجب أن يكون شعارنا «الخدمة». فالخادم ليس في موقع السّيادة، بل يمارس مهنة الخادم. «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا» (متى ٢٠: ٢٦-٢٧).

أنا لا أقصد أن أنقل الفكرة بأنّ المواعدة يجب أن تتم في روح الاستشهاد «ما أتعسني! يجب أن أقوم بهذه الخدمة بدافع الواجب المسيحي». الخدمة تختلف عن الاستشهاد في أن

الخدمة هي شيء نعمله للآخرين، في حين أن الاستشهاد هو شيء يجنيه علينا الآخرون. الاستشهاد خارج سيطرتنا، أما الخدمة فليست كذلك.

يجب أن تكون المواعدة بالنسبة إلى المسيحي مثل شارع ذي اتجاهين. فالمسألة ليست ببساطة: «ماذا سأجنيه من هذه العلاقة؟» فقط، لكن أيضاً: «ماذا يمكن أن أساهم به في حياة من أواعده أو أواعدها؟» نحن مدعوون أن نخدم أحدنا الآخر، والخدمة تكون أشد فعالية عن قرب. يمكننا بالتأكيد أن نعلّم مجموعة من الأفراد، لكن أين تسديد الاحتياجات الحقيقية ما لم يحدث ذلك على المستوى الشّخصي؟

ثانياً، المسيح هو أفضل مثال لنا. كان المسيح يخدم الجموع في تعليمه وكرازته، لكنه أيضاً خدم الأفراد. ولئلاً يجادل البعض بأن خدمة يسوع الشّخصية كانت دائماً منحصرة في الاثني عشر (الذين كانوا رجالاً من جنسه)، دعوني أذكّركم بالمرأة التي قابلها عند البئر في (يوحنا ٤) والوقت الذي قضاه مع مريم ومرثا في بيت عنيا. كانت النّساء من بين المجموعة التي صلّت في العلية بعد الصّلب، وكنّ أول من ذهب إلى القبر

المفتوح. خدم يسوع الناس، ذكوراً وإناثاً، ويجب أن يكون هذا نموذجنا نحن أيضاً.

كم ننجز في حياتنا إذا استطعنا أن ننظر إلى الخدمة على أنها واحدة من أغراض المواعدة! ما أكثر المتحفّظين الذين يمكن «انتشالهم من عزلتهم» بالمشورة الحكيمة من أخت مسيحية! وما أكثر المتباهين الذين يمكن تهدئتهم بقول الصدق في محبة!

ألا ترى أن أخذ الخدمة على محمل الجدية قد يغيّر الكثير من مواقفنا نحو المواعدة. نحن مدرّبون على «الظهور بأفضل مظهر» حتى أننا كثيراً ما نرفض قول أي شيء يسلط علينا أضواءً سلبية. لكن الخدمة الحقيقية تطالب بأن نقول الحقيقة في محبة.

نحن لا نخدم بعضنا البعض بتجنّب مواطن ضعف الآخرين. أنا أعلم أن هذا صعب، وأنا لا أقترحه كمعيار للمواعدة غير المسيحية. فذلك سيكون شبه مستحيل. إنما أقترح أننا كمسيحيين مدعوون إلى رسالة الخدمة، وهذه الخدمة يجب أن تنعكس على حياتنا الاجتماعية. عندما نلمس احتياجات

الآخرين وضعفاتهم في المجالات الروحية، أو العاطفية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، ونُحدِث فيها نمواً، نكون خداماً حقيقيين.

وقعت «جولي» في حبّ «توم» منذ أن رأته في السنة الأولى بقسم اللغة الإنجليزية. في السنة الثانية بعد تخصصه في علم الأحياء طلب منها أخيراً الخروج معها في موعد.

لكن توم عندئذٍ كان قد اشتهر بحفاظه على المصادر الطبيعية، خصوصاً الماء. فكان يستحمّ يوم السبت فقط. كان الجميع على علم بذلك لكن لم يكن أحد راغباً في «قول الصدق في محبة». طبعاً كانت هناك محاولات خلفية، مثل المرة التي أهداه فيها رفقاؤه في قاعة المحاضرات تسعة عشر صابونة في عيد ميلاده التاسع عشر. لكن الطرق الخلفية نادراً ما تُحدِث تغييراً بنّاءً.

أرادت جولي أن تساعده، فقررت أن تقبل الموعد على الرغم من مداعبات شريكاتها في العنبر عن ضرورة ارتداء قناع الغاز أثناء الموعد. فلما جاء أول موعد لهما، أخبرته «جولي» بالحقيقة – بصراحة – واقترحت أنّ الاستحمام مرة

كل يوم أمر طبيعي وسليم بيئيّاً. فغيّرت نموذج سلوك شاب في السنة الثانية بالجامعة! نحن نستطيع أن نساعد الآخرين إذا كنا نهتمّ بما فيه كفاية.

من أغراض المواعدة الأخرى إعطاؤنا فكرة واقعية عن نوع الشّخص الذي نحتاجه كشريك في الزّواج. في إطار عملية المواعدة، يجب أن نحرص على الخروج مع تشكيلة من الناس لهم شخصيات مختلفة. إن هذه العملية هي التي تمدنا بمعايير تؤهلنا للحكم الصائب عندما نستقر على شريك معين للزّواج.

أما مَن كانت خبرته في المواعدة محدودة فتنتابه دائماً الفكرة: «*يا تُرى كيف يكون النساء الأخريات/الرجال الآخرون؟ ألعلّ زواجي سيكون أفضل لو أني ارتبطت بنوع مختلف من الأزواج/الزوجات؟*» يخطر هذا السّؤال على بال كل الأزواج تقريباً، خصوصاً عندما تكون هناك مشكلة في الزّواج، لكن الفرد الذي يعود بنظرته إلى ماضيه فيرى حياة اجتماعية ممتلئة ومتزنة قبل الزّواج هو أفضل استعداداً للرد على هذا السّؤال. ويقل عندئذٍ احتمال بناء عالم من الأحلام،

لأن الخبرة قد علّمته أننا جميعاً ناقصون. من ثم يجب أن ننمو مع أزواجنا بدلاً من البحث عن رفيق أفضل.

ونقول طبعاً، في النهاية، إن غرض المواعدة هو العثور على الرّفيق الذي أعدّه الله لك. يحبّذ بعض المسيحيين أن يُسقِطوا الله من حساباتهم في هذا المجال، لكن القصة التي نوردها من الكتاب المقدس في الفصل القادم سوف تكفي للبرهنة بوضوح على أنّ الله يهتمّ جداً باكتشافك الرّفيق الصحيح.

يقول الحكيم في أمثال ٣: ٥-٦: «توَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ» (أمثال ٣: ٥-٦). لاحظ أن الوحي لا يقول بأنّ لا نستعمل فهمنا، لكن بالأحرى أن لا نعتمد عليه. يعني ذلك أن التفكير البشري وحده لا يجب أن يصبح مركز عملية اتخاذ قراراتنا. إنما نضع ثقتنا في الله. المهمة أضخم من أن نقوم بها بمفردنا. ماذا يمكن أن يكون أصعب من العثور على شخص يمكن أن نعيش معه في انسجام وشِبَع لمدة الخمسين سنة القادمة؟ إنّ المتغيّرات كثيراً جداً. والعقل البشري لا يكفي. الله

وحـــده القـــادر عـــلى اتخـــاذ هذا الاختيار الضخم. الله يريد مســـاعدتنا ويطلب منا أن نعترف بسيادته. وحين نسلم له هذا المجـــال مـــن حياتنا ونطلب إرشاده على الدوام، نستطيع أن نأتمـــنه أن يرشـــد أفكارنا وظروفنا .. وباختصار، أن يرشد طرقنا.

معـــلوم أننا نحكّم عقولنا في تحديد إرادة الله من أجلنا. لكن العقول المسلَّمة له، لا العقول البعيدة عنه. إنّ غرض الفصلين القـــادمين اقتراح إرشادات كتابية عامة لفهم اتجاه الله في هذا المجـــال. قد أعطانا الله مبادئ للالتزام بها لنصل إلى الاتجاه الصّحيح.

تحذير: أمامك منطقة خطر

إن هـــذا الـــنوع من التواعد الهادف الذي تحدثنا عنه ليس خاليـــاً مـــن الأخطـــار. هـــناك حُفَر مُعلّمة بموانع وإشارات للانعطاف من حولها، لكن العديد من الأشخاص قد تجاهلوها، فكـــان نصـــيبهم تحطُّم سيارة حياتهم. إذا أدركنا الأخطار، فقد نقدر أن نتجنّبها. والغرض من هذا القسم هو تحديد بعض هذه الأخطار بدقة.

ربمــا كــان الخطر الأكثر شيوعاً في المواعدة هو السماح لــلجانب الجســدي للعلاقة أن يسود. يبدو أن هذا النّموذج هو المُتَّبَع في الكثير جداً من العلاقات بين المسيحيين. فإن ساعات طويلة تُقضّى في نشاط حميم مشحون جسدياً، كان القصد منها جميعــاً أن تكــون مقدمة للاتصال الجنسي. ولأن هذه الخاتمة محرّمة علينا بأمر الكتاب، فإن الحبيبين المسيحيين يسعيان إلى الــتوقّف عند هذه النّقطة وتنتهي الأمسية بإحباط هائل. عندما يشــكّل الجــانب الجسدي الجزء الأكبر في العلاقة، فإن النّمو الشّخصي للأفراد المتورطين بها يُعَاق.

في كثير من الأحيان يثير الشّباب الذين يُحكّمون ضمائرهم هــذا السّؤال: «ما التعبيرات الجسدية اللائقة عن الحبّ، ومتى يجــب أن تصــبح هذه جزءاً من علاقة المواعدة؟» أي جواب محدّد على ذلك السّؤال سيكون تعسفياً، لكن هناك مبادئ عامة يمكننا الاسترشاد بها. أولاً، حيث أننا نعلم بوضوح أنّ الاتصال الجنسي خارج الزّواج لا يمكن أن يخدم أغراض الله، يجب أن نتجــنّب أي تعبيرات جسدية تقرّبنا من الاتصال. ثانياً، نظراً لأن الــناحية الجســدية لــلعلاقة تســود كثيراً على العناصر

الـــروحية، الـــثقافية، الاجتماعية، والعاطفية بسهولة، يجب أن نرسّـــخ هذه المجالات الأكثر أهمية قبل الانتقال إلى أي تعبير جسدي عن الحبّ.

فكيف نطبّق هذه المبادئ؟ أنا أرى أن أي تعبير جسدي عن الحـــبّ أبعد من إمساك الأيدي يجب أن يُدَّخر إلى الوقت الذي يوافـــق فيه الفردان على أنّ هناك اهتمام بعلاقة طويلة الأجل، تنتهي بالزّواج في الغالب. هناك مكان صحّي للتّقبيل والمعانقة عندما تكون المجالات الأخرى من علاقتنا في نصابها الصحيح ويكـــون المسيح في مركز العلاقة. لكن كيف نتجنّب الاتصال الجنسي؟ هاكم ثلاث قواعد بسيطة: لا تخلع ملابسك؛ لا تضع يدك أسفل ملابس الطرف الآخر؛ لا تضطجعا معاً.

ما أقترحه هو أن يكون لنا علاقة مركزها الخدمة مصمّمة للبـــنيان المتـــبادل لا تتضمّن سلوكاً ذا دافع جنسي. قد يوجد ســـلوك صحّي خالٍ من الدوافع الجنسية كجزء طبيعي من هذه العلاقـــة الهادفـــة إلى الخدمة، مثل الحضن الدافئ الذي يظهر الـــبهجة أو الاهـــتمام الودي الرقيق بالطرف الآخر في وقت الحزن. لكن يجب أن ينتظر النّشاط الجسدي ذو الدافع الجنسي

إلى حين بلوغ درجة معينة من النضج في العلاقة. سيجد البعض مثل هذا الاقتراح مرفوضاً، لكني أرى أن هذا المبدأ سيحسّن بشدّة جانب الخدمة في المواعدة.

بفرض أنك اتبعت هذه المبادئ وأنك تواعد الآن شخصاً نراه شريكاً محتملاً للحياة، فأي جزء يجب أن يلعبه الجانب الجسدي في العلاقة؟ أعتقد أننا هنا نتحرّك على خط أعداد يتدرج من القلة إلى الكثرة، على حسب درجة الالتزام وموعد الزّفاف، مع الالتزام دائماً بادّخار الاتصال الجنسي للزّواج. الكلمة الرئيسية هي «الاتزان». لا يجب أن نسمح للجانب الجسدي أن يسود على الروحي، الاجتماعي، والثقافي.

يجب على الفردين أنفسهما تقييم علاقتهما بشكل منتظم. عندما يريان الجانب الجسدي مختل التوازن، يجب أن يناقشا المشكلة ويحددا الطّرق والوسائل اللازمة لإحداث الاتزان. قد يعني هذا تغيير نوعية المقابلات التي اعتادا عليها بشكل جذري، فيبتعدان عن التواجد فترات طويلة وحدهما، ويرتبان المزيد من النشاطات الاجتماعية، وإشراك غيرهما معهما أكثر مما سبق.

يستطيع الحبيبان تجنّب هذا الخطر إذا اختارا ذلك. ولا يمكن أن نلوم غريزتنا الجنسية أو ظروفنا على فشلنا في هذا المجال. إن مصيرنا في أيدينا لا في يد الظروف.

الخطر الثاني هو إساءة تفسير اهتمام الآخرين. فالفتى المنعزل الهادئ قد يتسرّع في الوصول إلى استنتاجات خاطئة عندما تُظهِر فتاة مسيحية اهتماماً بالتعرُّف عليه. يجوز أنها تفكّر في الخدمة، لكنه يفسر ذلك على أنه زواج.

تقول الفتاة: «أريد أن أساعده، لكن كيف أتفادى أذيته؟» على الأغلب هي لا تستطيع ذلك! لكن الإصابة بالأذى ليست أسوأ شيء في العالم. في الحقيقة، أغلب عمليات النّمو يرافقها الألم. من الأفضل أن تتألم وتنمو عن ألاّ تتألم على الإطلاق. الله قادر أن يستعمل وجع القلب وأيضاً وجع الرأس لمساعدتنا أن ننمو.

يجب ألاّ نتراخى فنهمل خدمة أعضاء الجنس الآخر، لأننا نخشى إيذائهم. لكن يجب أن لا نسعى إلى أذيتهم. ربما الجواب الأفضل على هذه المشكلة هو التفاهم بانفتاح في مُستَهلّ العلاقة. أنا لا أعني أنّ الفتاة يجب أن تذهب إلى الفتى وتقول:

«اسمع، أنا ليس عندي أي اهتمام عاطفي بك، لكن أريد أن أساعدك. هل تتناول معي الآيس كريم بعد الاجتماع اللّيلة؟».

لكن يجب أن نوصّل دوافعنا الحقيقية بعضنا تجاه البعض بطريقة ما. هذه آمن وسيلة لتجنّب إساءة تفسير الاهتمامات. ونظراً لأننا لا نقدر أن نقرأ عقل أحدنا الآخر، فلا سبيل لنا للكشف عن أفكارنا ونوايانا سوى الاتصال. قد وجد البعض فائدة في تسمية هذه العلاقات «علاقة أخ بأخته» أو «صداقة» بدلاً من «مواعدة». إذا ما استطعنا تجريد «المواعدة» من مضمونها الرومانسي، فربما يمكن أن ندعو تلك الأوقات التي نتلاقى فيها «مواعيد صداقة».

ثالث خطر، ومرجعه في أكثر الأوقات عدم الأمان، هو خطر قَصْر خبرة مواعدتنا على فرد واحد. إن أغلب أغراض المواعدة التي قد ناقشناها لن تتحقق - إلاّ بالحد الأدنى - إذا أصبح هذا الوضع النّموذج المعتاد. فإننا إذ نفعل ذلك، نحوّل مسار العملية إلى طريق مختصر ونصل إلى مقاصدنا قبل الأوان، دون الاستمتاع بأشد خبرات الحياة إثراءً وغنىً.

أعلم أنّ هناك استثناءات جديرة بالملاحظة، وأنا سعيد من أجل كل استثناء منها. أي أن هناك شخصين تواعدا في سن مبكّرة جداً ولكنهما الآن يستمتعان بزواج سعيد. أنا لا أقترح أن يعودا و«يعوّضا الوقت المفقود». هذا محال وغير مرغوب فيه.

ما أقوله هو أنّك إذا كنت لا تزال أعزب واتبعت هذا النّموذج، فأشعر أنّك ستُسدي إلى نفسك خدمة عظيمة إذا وسّعت قاعدة صداقاتك بتنمية العلاقات الأخوية مع أعضاء الجنس الآخر. يمكن أن يتم ذلك بدون حدوث غَيْرة لا داعي لها في علاقتك الحالية إذا كان كلاكما تفهمان الغرض.

أما الخطر الرابع هو عمى الألوان الرومانسي. أنا مثلاً أخلط بين اللون الأخضر والبني في أوقات كثيرة، وكذلك القرنفلي والبيج، ومُركّبات لونية أخرى. يفعل العديد من الثنائيات نفس الشيء في علاقات مواعدتهم. ولأنهم منغمسون في ثورة الغرام، يفشلون في رؤية الأشياء على حقيقتها. عندما نحبّ أحداً، نميل إلى رؤية مواطن قوته أو قوتها،

ونتغاضى عن الضّعفات. والحقيقة هي أنّنا جميعاً لنا مواطن قوة ومواطن ضعف في شخصيتنا والصفات المميزة لسلوكنا.

عادةً في برنامج المشورة السابق للزواج الذي أجريه، أطلب من الفتاة أن تُعدّد كل الأشياء التي تحبّها في خطيبها. وأطلب من الفتى أن يعمل نفس الشيء. عادةً يمكنهما – بشيء من التفكير – أن يقدماً قائمة تبعث على الانبهار. ثمّ أطلب منهما أن يُعدّدا مواطن ضعف الطرف الآخر: أي الأشياء التي لا يحبّونها فيهم أو الأشياء التي يرونها مشاكل محتملة. ما لم يستطع الاثنان تعديد بعض الخصال من هذا الصّنف على الأقل، أخبرهما أنهما ليسا جاهزين للزّواج.

إن العلاقة الناضجة، أي المستعدة للزّواج، ستكون دائماً واقعية بما يكفي للاعتراف بضعفات الشّخص الآخر. أنت لن تتزوّج شخصاً كاملاً. يجب أن نفهم هذا، ليس فقط نظرياً، لكن شخصياً. إن الإعراب عن هذه الضّعفات يساعدنا أن نواجه الحقيقة.

ستعود على الاثنين فائدة عظيمة من مناقشة الضّعفات التي يلاحظانها في أحدهما الآخر بشكل مفتوح. هل يمكن تغيير هذه

الضّعفات؟ يمكن تغيير غالبيتها إذا اختار الفرد أن يتغيّر. إما إذا لم يحدث تغيير، فما المشكلة التي يحتمل أن يسبّبها ذلك في الزّواج؟ يجب أن تكون المناقشة الواقعية لهذه الأسئلة جزءاً من عملية اتخاذ القرار بخصوص الزّواج.

بقي خطر آخر وهو «وهم الوقوع في الحب». منذ وقت مضى، تلقّيت مكالمة من شاب طلب مني أن أقوم بمراسم زفافه. استفسرت عند موعد زواجه ووجدت أن تاريخ الزّفاف كان بعد أقل من أسبوع. فوضّحت له أنّي عادةً أعقد من أربع إلى ست جلسات مشورة لأولئك الراغبين في الزواج.

فكان رده تقليدياً: " بصراحة أنا لا أظنّ أننا نحتاج أي مشورة. فنحن نحبّ أحدنا الآخر حقاً، ولا أظنّ أننا سنعاني من أي مشاكل ". ابتسمت ثم بكيت في داخلي. ضحيّة أخرى من ضحايا " وهم *الوقوع في* الحب ".

لا يُقدِم أكثر الأزواج على الارتباط ما لم يظنّوا أنهم وقعوا في الحب. وأكثرهم يشعرون أن القاعدة الأساسية للزّواج هي الوقوع في الحب. كثيراً ما أسأل الخطيبين الذين يأتيان طلباً للمشورة قبل الزواج: " لماذا تريدان الزواج؟ " بعد تبادل

النظرات والضحك والابتسام، يقولان بطريقتهما الخاصة: «إننا نحبّ بعضنا البعض!»

لكن عندما أُلِحّ عليهما لأكتشف ما يعنيانه بكلمة «حبّ»، أجد أن قلة قليلة هي القادرة على وصف مشاعرها. ويكون غاية ما تقوله الغالبية العظمى إنهم يشعرون شعوراً عميقاً كل منهما تجاه الآخر. وإن هذا الشعور قد دام لبعض الوقت، وإنه بطريقة غامضة يختلف عمّا شعروا به تجاه الآخرين الذين تواعدوا معهم من قبل.

تحضُرني هنا طريقة صيد الحيوانات في أفريقيا. يتم حفر حفرة في منتصف الطريق الذي يسلكه الحيوان إلى الماء، ثمّ يُموّه بفروع الأشجار وأوراقها. فيأتي الحيوان التعيس، سائراً في حال سبيله، وإذا به فجأة يسقط في الحفرة ويقع في الفخ.

هذا هو الأسلوب الذي نتكلّم به عن الحبّ. نكون منشغلين في تأدية واجباتنا العادية، وإذ فجأة ننظر في يوم من الأيام إلى الناحية الأخرى من الغرفة أو القاعة فنراها/نراه .. فيصيبنا «سهم الحب». ولا نستطيع أن نفعل شيئاً حِياله. إنه خارج عن سيطرتنا بالكامل. فلا يكون أمامنا سوى خيار واحد: الزّواج!

وكلما عجّلنا كان أفضل. فنخبر أصدقاءنا، ولأنهم يسلكون بحسب نفس المبدأ، يوافقون على أنه طالما «وقعنا في الحب»، فمن الأحسن أن نعجّل بالزّواج.

ولا يفكّر أحد في أنّ اهتماماتنا الاجتماعية والروحية والثقافية تختلف كل الاختلاف. أنظمة تقييمنا للأمور وأهدافنا متناقضة، لكننا «غارقين في الحب». المأساة الكبرى التي تنتج من هذا الوهم أننا بعد ذلك بستة شهور نجلس في مكتب أخصائي المشورة ونقول: «نحن لم نعُد نحب بعضنا البعض». ولذلك، نحن مستعدون للانفصال. فعلى أي حال، إن كان «الحبّ» قد زال، فلا يمكن أن نظل معاً.

عندي كلمة تعبّر عن الخبرة العاطفية الموصوفة أعلاه، لكنها ليست «الحبّ». أنا أطلق عليها «الإثارة». لا تسيئوا فهمي، فالإثارة مهمة. ومشاعر النشوى حقيقية، وأنا من المنادين ببقائها، لكنها ليست قاعدة لزواج مُرضٍ. في الفصل الثاني, سأناقش ما أشعر أنه القاعدة الحقيقية للزّواج. لكني أقول هنا ببساطة إننا لا يجب أن نسمح لبيئتنا أن تضغط علينا فتشكّلنا

بحسب هذا القالب العاطفي القائل بأن مشاعر الإثارة هي كـل ما نحتاج إليه ليكون زواجنا سعيداً.

أنا لا أقترح أنّ يتزوّج الفرد بدون الشعور بالإثارة. إنّ ذلك الشّعور الدّافئ الجيّاش، وتلك القشـعريرة، وذلـك الإحسـاس بالقبول، واللّمسات المثيرة، وغير ذلك ممـا يكـوّن مشـاعر الإثارة هي بمثابة الكريز فوق كأس الأيس كريم، لكـن ليـس المفروض أن تتناول الأيس كريم بالكريز فقـط. إن العوامـل العديدة الأخرى التي سنناقشها في الفصلين القادمين يجـب أن توضع في الاعتبار عند اتّخاذ قرار بالزّواج.

قد نشعر بالإثارة والانفعال مع العديد من أفـراد الجنـس الآخر قبل أن نقابل الشخص الذي يجب أن نتزوّجـه. يشـهد كثير من المسيحيين أنّه يجوز أيضاً أن تشعر بهذه الإثارة تجاه شخص غير رفيقك حتى بعد الزواج. لكن ذلك لا يعنـي أنّنـا ننساق وراء الإثارة ونتورّط في علاقـة محرمـة مـع هـذا الشخص.

بالعكس، نعترف بمشاعرنا، لكن شكراً لله أننـا لا ننسـاق وراء مشاعرنا. ونسلّم أنفسنا لشريكنا – بقوة الله – ونستمرّ في

تطوير علاقتنا. مشاعر الإثارة مؤقتة ولا يجب أبداً أن تتحكم في تصرفاتنا.

الحبّ الصادق، الذي سنناقشه بشمول أكثر في الفصل الخامس, عامل ضروري في اتّخاذ قرار الزّواج. هذا النّوع من الحبّ ينعكس في الأفعال لا المشاعر. الحبّ رحيم، صبور، مقدّر لمشاعر الغير، لا يصر على تنفيذ إرادته، كما يقول الرّسول في (١كورنثوس ١٣: ٤-٨). يمكنك أن تستنتج إذا كان شريكك يحبّك من الطريقة التي يعاملك أو تعاملك بها. فلا تقدر أن تعلم مشاعر شريكك دائماً، لكن يمكنك ملاحظة أفعاله دائماً. نعم، يجب أن يكون الحبّ الشرط الأساسي للزّواج، لكن يجب أن يكون حبّاً عاملاً، لا مجرد عواطف. يذكّرني هذا بالأغنية القائلة:

ضمّني إلى صدره فسرت القشعريرة في ظهري.

اعتقدت أن ذلك هو الحبّ، فإذ بها مَصّاصَتِه تذوب.

لئلا يساء فهمي، دعوني أصرّح بوضوح أني أومن بوجوب وجود شعور عاطفي، دافئ، وقوي نحو من ستتزوّجه. نحن مخلوقات عاطفية، ويجب أن يكون لعواطفنا دور في أي قرار

هام مثل قرار الزّواج. نعم، يجب أن نشعر «بالإثارة»، لكن لا يجب أن نتّخذ قراراً بالزّواج مستنداً فقط على تأثرنا العاطفي. إنما يجب أن يكون قرار الزّواج قراراً عقلانياً وعاطفياً معاً. العاطفة وحدها دليل أعمى. أما العاطفة والعقل معاً فيهبانا البصيرة التي نحتاجها.

الخطر الأخير الذي أودّ أن أذكره هو خطر محاولة المستحيل. جميل أن تحلم، لكن الأحلام غير الواقعية حماقة. قد حذّرنا الله من أن نحاول المزج بين النور والظلمة؛ ذلك مستحيل. والله يريد أن يوفّر علينا إضاعة الجهد والوقت. يقول المبدأ الكتابي، كما صاغه بولس في ٢كورنثوس ٦: ١٤-١٥: «لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟».

سيعترض أحدهم ويقول: «لكني أعرف فتاة مسيحية تزوّجت فتى غير مسيحي، وبعد زواجهما أصبح مسيحياً، وهما سعيدان أشد السعادة». نشكر الله! لكن يجب أن نعلم أن تلك

الفتاة قد اختبرت الاستثناء، لا القاعدة. هذه ليست القاعدة، كما يشهد الكثيرون. والحكيم من لا يعتمد على الاستثناء.

وقد يعارض الآخرون: «لكني أعرف مسيحياً متزوّجاً من غير مسيحية، وهما سعيدان في زواجهما». نشكر الله! أنا من أنصار الزّيجات السّعيدة حيثما توجد. لكن، كما سنناقش فيما يلي، جوهر الزّواج هو الوحدة: أي ذلك الإحساس العميق بأنكما واحد في كل مجالات الحياة، ذلك الإحساس بمشاركة كل خبرات الحياة بِحُرِّية. ولا يستطيع المسيحي وغير المسيحي مشاركة أعمق الخبرات: أي الشركة الشخصية مع الله الحيّ. فحين يبقى هذا المجال مقصوراً على طرف واحد لا يتشارك فيه مع الآخر، ولأن هذا المجال مهم جداً، تتأثر باقي المجالات الأخرى بهذا النقص في العلاقة.

لا، الارتباط المسيحي / غير المسيحي لا يستطيع أن يختبر كل ما قد قصده الله لنا في الزّواج. ولا يعود ذلك إلى صعوبة الحصول على هذه الوحدانية، بل إن الحصول عليه مستحيل. إن نواهي الله وتحريماته الغرض منها فائدتنا.

يــثار هنا سؤال شائع من قِبَل الشّباب المسيحي الذي يحكّم ضــميره: «هل أواعد غير المؤمن؟» يرد البعض بالنفي بشدة وتأكيد! أولئك الذين يتخذون هذا الموقع عادةً يؤكّدون على أنّ المواعــدة تقــود إلى الزّواج. ويقولون أحياناً: «لا تواعد غير مؤمن، فتضمن أنك لن تتزوّج بغير مؤمن».

يصعب علي أن أجادل صحة ذلك القول. فإن أضمن طريقة لتجنّب «محاولة المستحيل» هي الخروج مع غير المؤمنين في موعد.

لكن إذا أخذنا جانب خدمة المواعدة مأخذ الجد، وإذا اعتقدنا أنّ غيــر المســيحيين يحــتاجون إلى المســيح، قد نخدم غير المؤمــنين فــي إطــار المواعــدة. ولعلنا نصير الآلات التي يســتخدمها الله لإحضــارهم إلى المســيح. يشــهد العديد من المســيحيين بأنّهم جاءوا إلى المسيح من خلال الشهادة المُحبّة لشريك المواعدة المؤمن.

المبدأ الكتابي هو: «لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ». أنــا لا أرى المواعــدة الهادفة إلى الخدمة على أنها نير. النير يتضمّن الالتزام. والمراحل الأولى للمواعدة لا تتطلّب التزاماً.

ليست المواعدة سوى اتّفاقية لصرف كمية محدّدة من الوقت في المحادثة مع الشّخص الآخر، ربما صاحب ذلك بعض النّشاطات الاجتماعية الأخرى مثل الأكل أو لعب البولنج. إذا كان هذا التزاماً، فهو التزام من أدنى درجة.

إنما الخطر الذي يتهدّد الفرد المسيحي المؤمن هو تبرير المواعدة بأنها تهدف إلى الخدمة وهي في الواقع ليست كذلك. إذا وجدت نفسك لا تقدّم المسيح للطرف الآخر وأنك لا تناقش قضايا روحية من أول أو ثاني مرة تلتقيان معاً، فأنت تخدع نفسك. أما إذا عبّرت عن إيمانك بالمسيح، ولم تلقَ مزيداً من الاهتمام بمناقشة المسألة، فمن الحماقة أن تستمرّ في تطوير جوانب أخرى من العلاقة. إن السماح باستقرار أفكار ومشاعر في قلبك تتعلق بإقامة علاقة طويلة الأمد مع هذا الشّخص لهو بحق كارثة. بالنسبة إلى المسيحي، الجانب الروحي من الحياة محوري ومنتشر إلى شتى الجوانب الأخرى. يجب مواجهة هذه الحقيقة في علاقات المواعدة.

لماذا لا تقيّم سجل المواعدة الخاص بك؟ هل توافق على الأغراض المقدّمة في هذا الفصل؟ أي الأغراض تضيف؟ هل

تفهم الأخطار التي ناقشناها؟ هل أنت متـــــورط فـــي الوقـــت الحاضر في أيٍّ من هذه الأخطار؟ ماذا يمكن أن تعمـــل إزاءهـــا؟ إنّ الاقتراحات التالية مصممّـــــة لتســـاعدك أن تختـــبر نمـــواً شخصياً.

واجبات النمو

للعُزّاب:

١. خذ اختبار تحليل النفس على الصّفحة التالية لـــترى إذا كنت تجني أقصى استفادة من خبرة المواعدة. (إذا كنت تواعـــد شخصاً في الوقت الحاضر تعتبره شريكاً محتملاً، يجب أن تكتـــب أجوبتك على هذه الأسئلة وبعد ذلك تستعملها كمحفّز للمناقشة.)

٢. ناقش أجوبتك على اختبار تحليل النفس مـــع صديـــق مؤتمن قادر أن يساعدك بصدق في تقييم العلاقة.

٣. في ضوء فهمك لذاتك، أي التّغييرات يجب أن تجريـــها في علاقة المواعدة؟ اذكرها بالتحديد واتخـــذ إجـــراءً عـــاجلاً لإحداث تغيير. قد يتضمّن مثل هذا التّغيير ما يلي:

أ. إنهاء العلاقة.

ب. تغيير أسلوب استعمالك للوقت الذي تقضيانه معاً.

ج. مناقشة غرضك من العلاقة بصراحة.

د. اتخاذ خطوات لتجنّب المخاطر.

٤. إذا كان سِجِل مواعدتك لا وجود له، يمكنك أن تقرأ كتاب *258 Great Dates While You Wait*، من تأليف سوزي شلنبرجر وجريج جونسون، للحصول على مساعدة عملية في كيفية البدء (انظر الملحق).

للأزواج:

١. كُن واقعياً. لا يمكنك الرجوع مرة أخرى والبدء من جديد. إنّ دلائل النّضج يجب أن تبدأ من الحاضر وتعمل نحو المستقبل.

٢. اعترف بفشلك الماضي، واقبل غفران الله. لا تسمح بالفشل المغفور أن «يُعشِّش» في حياتك. مثل هذه الهياكل العظمية يجب أن تدفن.

٣. ألزم نفسك بدراسة صادقة للمبادئ الواردة في هذا الكتاب، بغرض الانتفاع بزواجك أشد النفع.

٤. كشخص بالغ، اقبل مسؤولية إرشاد الجيل القادم الملقاة على عاتقك. مع من يمكنك مشاركة محتويات هذا الفصل الخاص بالمواعدة؟

اختبار تحليل النفس عن المواعدة

١. إلى أي درجة يبلغ عدم تحفظي مع أعضاء الجنس الآخر (أي، هل أتعامل مهم كأشخاص؟)

______جيّد جداً______متوسط______دون المستوى

٢. ما هي الطريقة أو الطرق المحدّدة التي تحسّنت بها شخصيتي خلال خبرة المواعدة؟

٣. اصنع قائمة بالمساهمات التي تظن أنك قدّمتها إلى الشّخص الذي تواعده. يجوز أيضاً أن تستفيد من ترتيبها حسب نوعياتها: روحية، عاطفية، فكرية، اجتماعية، وغيرها.

٤. ما الخصال والصفات المميزة التي أبحث عنها في رفيقي المتوقّع؟

٥. ما الدّور الذي يلعبه الانخراط الجسدي في علاقتنا؟

أكثر من اللازم ________صحّي ________لا شيء

٦. هل عندي تصور واقعي عن علاقتنا؟ كيــــف ينظــر شريكي إلى العلاقة؟ كيف أرى العلاقة؟

٧. هل اقتصرت خبرة تواعدي بشكل كبير علـــــى فــرد واحد؟ (إذا كانت الإجابة بنعم، فمن هو؟ ما أسباب اعتقـــادي بأن ذلك أفضل لنا؟)

٨. ما الضّعفات أو الضّعفات الممكنة في شريك مواعدتي؟ هل ناقشناها بصراحة؟ ما التّقدم الذي حققتماه؟

٩. هل عواطفي تقودني نحو علاقة ليست واقعية؟

١٠. هل نحاول المستحيل؟ هل نتّفق على الأمور الروحية؟

كيف أجد الرّفيق

إذا سألنا: هل كانوا يتزوّجون على الإطلاق في أزمنة الكتاب المقدس؟ سيقول أحدهم: لا تكُن أحمق. من الواضح أن العديد من الناس قد تزوّجوا في أزمنة الكتاب المقدس.

ما أعنيه هو: هل يخبرنا الكتاب المقدس كيف حدث ذلك؟ كيف كان الفتى يقابل الفتاة، وماذا ترتب على هذا؟ سيتذكّر الكثيرون قصّة راعوث وبوعز، وكم هي قصّة حبّ جميلة، لكن هناك قصّة أقل اشتهاراً تقدّم تفاصيل أكثر عن تجميع الله الذكر والأنثى معاً. إنها قصة إسحاق ورفقة، المسجّلة في تكوين ٢٤. الإصحاح بكامله مكرّس لموضوع: « كيف يحصل الرجل على زوجة؟» أو «كيف تحصل المرأة على زوج؟» تقدّم

سبعة وستون آية تفاصيل دقيقة عن تلك العملية، ومع ذلك لم يقرأها أكثرنا ولو مرة واحدة.

أقترح أنّ تقرأ هذه القصة الجذّابة قبل المضي قُدُماً. لاحظ أن البيئة كانت مختلفة بشكل جذري عن بيئتنا، لكن المبادئ واحدة. مثلاً، خادم إبراهيم هو الذي قام بالرّحلة ليدبّر زوجة لإسحاق، بينما بقي إسحاق في البيت.

إليكم بالقصة كما وردت في تكوين ٢٤: ١-٦٧

وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ: «ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فَخْذِي، فَأَسْتَحْلِفَكَ بِالرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ وَإِلهِ الأَرْضِ أَنْ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ».

فَقَالَ لَهُ الْعَبْدُ: «رُبَّمَا لاَ تَشَاءُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَتْبَعَنِي إِلَى هذِهِ الأَرْضِ. هَلْ أَرْجعُ بِابْنِكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا؟»

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: «احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَرْجعَ بِابْنِي إِلَى هُنَاكَ. اَلرَّبُّ إِلهُ السَّمَاءِ الَّذِي أَخَذَنِي مِنْ بَيْتِ أَبِي وَمِنْ أَرْضِ

مِيلاَدِي، وَالَّذِي كَلَّمَنِي وَالَّذِي أَقْسَمَ لِي قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، هُوَ يُرْسِلُ مَلاَكَهُ أَمَامَكَ، فَتَأْخُذُ زَوجَةً لاِبْنِي مِنْ هُنَاكَ. وَإِنْ لَمْ تَشَإِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَتْبَعَكَ، تَبَرَّأْتَ مِنْ حَلْفِي هذَا. أَمَّا ابْنِي فَلاَ تَرْجِعْ بِهِ إِلَى هُنَاكَ». فَوَضَعَ الْعَبْدُ يَدَهُ تَحْتَ فَخْذِ إِبْرَاهِيمَ مَوْلاَهُ، وَحَلَفَ لَهُ عَلَى هذَا الأَمْرِ.

ثُمَّ أَخَذَ الْعَبْدُ عَشَرَةَ جِمَالٍ مِنْ جِمَالِ مَوْلاَهُ، وَمَضَى وَجَمِيعُ خَيْرَاتِ مَوْلاَهُ فِي يَدِهِ. فَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى أَرَامِ النَّهْرَيْنِ إِلَى مَدِينَةِ نَاحُورَ. وَأَنَاخَ الْجِمَالَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ عِنْدَ بِئْرِ الْمَاءِ وَقْتَ الْمَسَاءِ، وَقْتَ خُرُوجِ الْمُسْتَقِيَاتِ.

وَقَالَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ، يَسِّرْ لِي الْيَوْمَ وَاصْنَعْ لُطْفًا إِلَى سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ. هَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ، وَبَنَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَارِجَاتٌ لِيَسْتَقِينَ مَاءً. فَلْيَكُنْ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقُولُ لَهَا: أَمِيلِي جَرَّتَكِ لأَشْرَبَ، فَتَقُولَ: اشْرَبْ وَأَنَا أَسْقِي جِمَالَكَ أَيْضًا، هِيَ الَّتِي عَيَّنْتَهَا لِعَبْدِكَ إِسْحَاقَ. وَبِهَا أَعْلَمُ أَنَّكَ صَنَعْتَ لُطْفًا إِلَى سَيِّدِي».

وَإِذْ كَانَ لَمْ يَفْرَغْ بَعْدُ مِنَ الْكَلاَمِ، إِذَا رِفْقَةُ الَّتِي وُلِدَتْ لِبَتُوئِيلَ ابْنِ مِلْكَةَ امْرَأَةِ نَاحُورَ أَخِي إِبْرَاهِيمَ، خَارِجَةٌ وَجَرَّتُهَا عَلَى كَتِفِهَا. وَكَانَتِ الْفَتَاةُ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا، وَعَذْرَاءَ لَمْ يَعْرِفْهَا رَجُلٌ. فَنَزَلَتْ إِلَى الْعَيْنِ وَمَلأَتْ جَرَّتَهَا وَطَلَعَتْ.

فَرَكَضَ الْعَبْدُ لِلِقَائِهَا وقَالَ: «اسْقِينِي قَلِيلَ مَاءٍ مِنْ جَرَّتِكِ».

فَقَالَتِ: «اشْرَبْ يَا سَيِّدِي». وأَسْرَعَتْ وأَنْزَلَتْ جَرَّتَهَا عَلَى يَدِهَا وسَقَتْهُ.

ولَمَّا فَرَغَتْ مِنْ سَقْيِهِ قَالَتْ: «أَسْتَقِي لِجِمَالِكَ أَيْضًا حَتَّى تَفْرَغَ مِنَ الشُّرْبِ». فَأَسْرَعَتْ وأَفْرَغَتْ جَرَّتَهَا فِي الْمَسْقَاةِ، وَرَكَضَتْ أَيْضًا إِلَى الْبِئْرِ لِتَسْتَقِيَ، فَاسْتَقَتْ لِكُلِّ جِمَالِهِ. والرَّجُلُ يَتَفَرَّسُ فِيهَا صَامِتًا لِيَعْلَمَ: أَأَنْجَحَ الرَّبُّ طَرِيقَهُ أَمْ لاَ.

وحَدَثَ عِنْدَمَا فَرَغَتِ الْجِمَالُ مِنَ الشُّرْبِ أَنَّ الرَّجُلَ أَخَذَ خِزَامَةَ ذَهَبٍ وَزْنُهَا نِصْفُ شَاقِلٍ وسِوَارَيْنِ عَلَى يَدَيْهَا وَزْنُهُمَا عَشَرَةُ شَوَاقِلِ ذَهَبٍ. وقَالَ: «بِنْتُ مَنْ أَنْتِ؟ أَخْبِرِينِي: هَلْ فِي بَيْتِ أَبِيكِ مَكَانٌ لَنَا لِنَبِيتَ؟»

فَقَالَتْ لَهُ: «أَنَا بِنْتُ بَتُوئِيلَ ابْنِ مِلْكَةَ الَّذِي وَلَدَتْهُ لِنَاحُورَ». وقَالَتْ لَهُ: «عِنْدَنَا تِبْنٌ وعَلَفٌ كَثِيرٌ، ومَكَانٌ لِتَبِيتُوا أَيْضًا».

فَخَرَّ الرَّجُلُ وسَجَدَ لِلرَّبِّ، وقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَمْ يَمْنَعْ لُطْفَهُ وحَقَّهُ عَنْ سَيِّدِي. إِذْ كُنْتُ أَنَا فِي الطَّرِيقِ، هَدَانِي الرَّبُّ إِلَى بَيْتِ إِخْوَةِ سَيِّدِي».

فَرَكَضَتِ الْفَتَاةُ وأَخْبَرَتْ بَيْتَ أُمِّهَا بِحَسَبِ هذِهِ الأُمُورِ.وكَانَ لِرِفْقَةَ أَخٌ اسْمُهُ لاَبَانُ، فَرَكَضَ لاَبَانُ إِلَى الرَّجُلِ

خَارِجًـا إِلَى الْعَيْـنِ. وَحَدَثَ أَنَّهُ إِذْ رَأَى الْخِزَامَةَ وَالسِّوَارَيْنِ عَلَى يَدَيْ أُخْتِهِ، وَإِذْ سَمِعَ كَلاَمَ رِفْقَةَ أُخْتِهِ قَائِلَةً: «هكَذَا كَلَّمَنِي الـرَّجُلُ»، جَاءَ إِلَى الرَّجُلِ، وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ الْجِمَالِ عَلَى الْعَيْـنِ. فَقَالَ: «ادْخُلْ يَا مُبَارَكَ الرَّبِّ، لِمَاذَا تَقِفُ خَارِجًا وَأَنَا قَدْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ وَمَكَانًا لِلْجِمَالِ؟».

فَدَخَـلَ الـرَّجُلُ إِلَى الْبَيْتِ وَحَلَّ عَنِ الْجِمَالِ، فَأَعْطَى تِبْنًا وَعَلَفًا لِلْجِمَالِ، وَمَاءً لِغَسْلِ رِجْلَيْهِ وَأَرْجُلِ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَعَهُ. وَوُضِعَ قُدَّامَهُ لِيَأْكُلَ. فَقَالَ: «لاَ آكُلُ حَتَّى أَتَكَلَّمَ كَلاَمِي».

فَقَالَ: «تَكَلَّمْ».

فَقَـالَ: «أَنَـا عَـبْدُ إِبْرَاهِيمَ، وَالرَّبُّ قَدْ بَارَكَ مَوْلاَيَ جِدًّا فَصَـارَ عَظِيمًـا، وَأَعْطَـاهُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَفِضَّةً وَذَهَبًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَجِمَالاً وَحَمِيرًا. وَوَلَدَتْ سَارَةُ امْرَأَةُ سَيِّدِي ابْنًا لِسَيِّدِي بَعْدَ مَا شَاخَتْ، فَقَدْ أَعْطَاهُ كُلَّ مَا لَهُ. وَاسْتَحْلَفَنِي سَيِّدِي قَائِلاً: لاَ تَـأْخُذْ زَوْجَةً لاِبْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ فِي أَرْضِهِمْ، بَلْ إِلَى بَيْتِ أَبِي تَذْهَبُ وَإِلَى عَشِيرَتِي، وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لاِبْنِي.

فَقُلْتُ لِسَيِّدِي: رُبَّمَا لاَ تَتْبَعُنِي الْمَرْأَةُ.

فَقَالَ لِي: إِنَّ الرَّبَّ الَّذِي سِرْتُ أَمَامَهُ يُرْسِلُ مَلاَكَهُ مَعَكَ وَيُنْجِحُ طَرِيقَكَ، فَتَأْخُذُ زَوْجَةً لاِبْنِي مِنْ عَشِيرَتِي وَمِنْ بَيْتِ أَبِي. حِينَئِذٍ تَتَبَرَّأُ مِنْ حَلْفِي حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى عَشِيرَتِي. وَإِنْ لَمْ يُعْطُوكَ فَتَكُونُ بَرِيئًا مِنْ حَلْفِي.

فَجِئْتُ الْيَوْمَ إِلَى الْعَيْنِ، وَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ، إِنْ كُنْتَ تُنْجِحُ طَرِيقِي الَّذِي أَنَا سَالِكٌ فِيهِ، فَهَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ، وَلْيَكُنْ أَنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي تَخْرُجُ لِتَسْتَقِيَ وَأَقُولُ لَهَا: اسْقِينِي قَلِيلَ مَاءٍ مِنْ جَرَّتِكِ، فَتَقُولَ لِيَ: اشْرَبْ أَنْتَ، وَأَنَا أَسْتَقِي لِجِمَالِكَ أَيْضًا، هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي عَيَّنَهَا الرَّبُّ لاِبْنِ سَيِّدِي.

وَإِذْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَفْرَغْ بَعْدُ مِنَ الْكَلاَمِ فِي قَلْبِي، إِذَا رِفْقَةُ خَارِجَةٌ وَجَرَّتُهَا عَلَى كَتِفِهَا، فَنَزَلَتْ إِلَى الْعَيْنِ وَاسْتَقَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: اسْقِينِي.

فَأَسْرَعَتْ وَأَنْزَلَتْ جَرَّتَهَا عَنْهَا وَقَالَتِ: اشْرَبْ وَأَنَا أَسْقِي جِمَالَكَ أَيْضًا. فَشَرِبْتُ، وَسَقَتِ الْجِمَالَ أَيْضًا.

فَسَأَلْتُهَا وَقُلْتُ: بِنْتُ مَنْ أَنْتِ؟

فَقَالَتْ: بِنْتُ بَتُوئِيلَ بْنِ نَاحُورَ الَّذِي وَلَدَتْهُ لَهُ مِلْكَةُ.

فَوَضَعْتُ الْخِزَامَةَ فِي أَنْفِهَا وَالسِّوَارَيْنِ عَلَى يَدَيْهَا. وَخَرَرْتُ وَسَجَدْتُ لِلرَّبِّ، وَبَارَكْتُ الرَّبَّ إِلهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ الَّذِي هَدَانِي فِي طَرِيقٍ أَمِينٍ لآخُذَ ابْنَةَ أَخِي سَيِّدِي لابْنِهِ. وَالآنَ إِنْ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً إِلَى سَيِّدِي فَأَخْبِرُونِي، وَإِلاَّ فَأَخْبِرُونِي لأَنْصَرِفَ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً».

فَأَجَابَ لاَبَانُ وَبَتُوئِيلُ وَقَالاَ: «مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ خَرَجَ الأَمْرُ. لاَ نَقْدِرُ أَنْ نُكَلِّمَكَ بِشَرٍّ أَوْ خَيْرٍ. هُوَذَا رِفْقَةُ قُدَّامَكَ. خُذْهَا وَاذْهَبْ. فَلْتَكُنْ زَوْجَةً لابْنِ سَيِّدِكَ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ».

وَكَانَ عِنْدَمَا سَمِعَ عَبْدُ إِبْرَاهِيمَ كَلاَمَهُمْ أَنَّهُ سَجَدَ لِلرَّبِّ إِلَى الأَرْضِ. وَأَخْرَجَ الْعَبْدُ آنِيَةَ فِضَّةٍ وَآنِيَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا وَأَعْطَاهَا لِرِفْقَةَ، وَأَعْطَى تُحَفًا لأَخِيهَا وَلأُمِّهَا. فَأَكَلَ وَشَرِبَ هُوَ وَالرِّجَالُ الَّذِينَ مَعَهُ وَبَاتُوا.

ثُمَّ قَامُوا صَبَاحًا فَقَالَ: «اصْرِفُونِي إِلَى سَيِّدِي».

فَقَالَ أَخُوهَا وَأُمُّهَا: «لِتَمْكُثِ الْفَتَاةُ عِنْدَنَا أَيَّامًا أَوْ عَشَرَةً، بَعْدَ ذلِكَ تَمْضِي».

فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تُعَوِّقُونِي وَالرَّبُّ قَدْ أَنْجَحَ طَرِيقِي. اِصْرِفُونِي لأَذْهَبَ إِلَى سَيِّدِي».

فَقَالُوا: «نَدْعُو الْفَتَاةَ وَنَسْأَلُهَا شِفَاهًا». فَدَعَوْا رِفْقَةَ وَقَالُوا لَهَا: «هَلْ تَذْهَبِينَ مَعَ هذَا الرَّجُلِ؟»

فَقَالَتْ: «أَذْهَبُ».

فَصَرَفُوا رِفْقَةَ أُخْتَهُمْ وَمُرْضِعَتَهَا وَعَبْدَ إِبْرَاهِيمَ وَرِجَالَهُ. وَبَارَكُوا رِفْقَةَ وَقَالُوا لَهَا: «أَنْتِ أُخْتُنَا. صِيرِي أُلُوفَ رِبْوَاتٍ، وَلْيَرِثْ نَسْلُكِ بَابَ مُبْغِضِيهِ».

فَقَامَتْ رِفْقَةُ وَفَتَيَاتُهَا وَرَكِبْنَ عَلَى الْجِمَالِ وَتَبِعْنَ الرَّجُلَ. فَأَخَذَ الْعَبْدُ رِفْقَةَ وَمَضَى.

وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ أَتَى مِنْ وُرُودِ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ. وَخَرَجَ إِسْحَاقُ لِيَتَأَمَّلَ فِي الْحَقْلِ عِنْدَ إِقْبَالِ الْمَسَاءِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا جِمَالٌ مُقْبِلَةٌ. وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ عَيْنَيْهَا فَرَأَتْ إِسْحَاقَ فَنَزَلَتْ عَنِ الْجَمَلِ. وَقَالَتْ لِلْعَبْدِ: «مَنْ هذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلِقَائِنَا؟»

فَقَالَ الْعَبْدُ: «هُوَ سَيِّدِي». فَأَخَذَتِ الْبُرْقُعَ وَتَغَطَّتْ.

ثُمَّ حَدَّثَ الْعَبْدُ إِسْحَاقَ بِكُلِّ الأُمُورِ الَّتِي صَنَعَ، فَأَدْخَلَهَا إِسْحَاقُ إِلَى خِبَاءِ سَارَةَ أُمِّهِ، وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا. فَتَعَزَّى إِسْحَاقُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ.

تكتظّ هذه القصّة بالإرشادات العملية لأي رجل أو امرأة يبحثان عن شريك للزّواج. أولاً، أريد أن أتناول معك بعض من الإرشادات العامّة، ثمّ أقدّم اقتراحات للرّجال والنّساء عن أدوارهم المحدّدة في مغامرة «مشروع الزّواج» المثيرة.

إرشادات عامّة

سننظر في هذه الإرشادات بحسب تكشّفها لنا في القصة الكتابية، لكن ليس بالضرورة بحسب ترتيب أهميتها. أما المبدأ الأول هو مبدأ التبادل.

مبدأ التبادل

كلما زادت رقعة الأشياء المشتركة بينكما، كان الأساس أفضل. قال إبراهيم لخادمه: «فَأَسْتَحْلِفَكَ لاَ تَأْخُذَ زَوْجَةً لابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِلَى أَرْضِي وَإِلَى عَشِيرَتِي تَذْهَبُ وَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي إِسْحَاقَ» (الآيتان ٣-٤).

ماذا كان مبعث قلق إبراهيم الأكبر؟ خير ابنه. أراد أفضل زواج ممكن لإسحاق، وأدرك احتياجه إلى أساس مشترك. إن ثقافة الكنعانيين وديانتهم ولغتهم وقيمهم الأخلاقية كانت تختلف عن تلك التي لأقارب إبراهيم اختلافاً شاسعاً. كانت الفجوة أوسع من أن تُعبَر. كانت الطّبيعة المنحطّة للقيم الكنعانية تستشري كالسرطان حتى أن الله أمر في النهاية باستئصال الثّقافة والبيئة الكنعانية بكاملها. أدرك إبراهيم أن الوحدة الزّوجية لا يمكن تحقيقها إذا لم يكن عند الشريكين أساس مشترك يبنيان عليه.

ما مدلول هذا المبدأ بالنسبة إلينا؟ هذا يعني أساساً أنّنا يجب أن نمتحن علاقتنا لنقيّم فيما إذا كان عندنا أساس كافٍ للزّواج. حين ننظر إلى الجوانب الروحية والثقافية والاجتماعية والجسمية لعلاقتنا، هل نجد عندنا قاعدة مشتركة؟ أنا لا أعني أنّنا يجب أن نكون متطابقين، لكن يجب أن نكون على درجة كبيرة من التقارب حتى نحقق التناغم المطلوب.

هو مرشح لنوال درجة الدكتوراه وواقع بشدة في «حُب» شقراء، جميلة، فاتنة. وبعد الزّواج بثلاثة أسابيع، يجد أنها لا

تستطيع القراءة. في ظل مثل هذا الحاجز الثقافي، ما احتمالات كون هذا الزواج مشبعاً لكلٍّ منهما؟ أو تكون الفتاة مكرَّسة حياتها بعمق وبصدق ليسوع المسيح كربّ لها. أما هو فلا «يرتدي رداء المسيحية» إلاّ صباح الأحد ولا يعرف عن الدين إلاّ القشور. فكيف يمكن أن يتوافقا معاً؟

هذه هي النّقطة التي يسألني عندها طلابي عادةً عن وجهات نظري عن التزوّج بأشخاص من أجناس مغايرة. وهذا هو المبدأ الذي أشعر أننا يجب أن يراعيه أولئك الذين يفكّرون في مثل هذا الأمر. وقطعاً لا يمكن أخذ هذه الفقرة باعتبارها تصريح قاطع وجازم ضدّ الزّواج من الأجناس المغايرة. لم يكن الجنس هو القضية، بل البيئة والثقافة. فإنه من المحتمل أن الكنعانيين وسكان أور (موطن إبراهيم) متشابهين جداً عرقياً (أي جسمانياً). إنما القضية كانت تتعلّق بالثقافة: الدّين، اللغة، التقاليد الاجتماعية، والقِيَم. وهذه القضية قائمة إلى الآن. إذا سألتني صراحةً: «هل تنصح بالتزوج من شخص من جنس آخر؟» سيكون جوابي: لا. أظنّ أن الموانع الثّقافية هائلة. لكن يجب إضافة أنّي أعتقد أن كل مسيحي يجب أن يتخذ قراره الخاص في تلك المسألة.

أنا لن أقول أن الله لن يقود المسيحيين المكرّسين إلى التزوّج من خارج نطاق جنسهم. إن مثل هذا القول سيدين بعض أعظم قادة التّبشير في العالم. إنما ما أقوله هو: إن مثل هذه الزّيجات هي الاستثناء، لا القاعدة. الزّوجان اللذان يفكّران في مثل هذا يجب أن يُلِمّا بثقافة كل منهما الآخر بشكل شامل بقضاء وقت طويل ومتعمّق في بيت كل منهما الآخر وخلفيته الاجتماعية.

يجب أن نتأكّد من أنّنا لا نسعى إلى بناء جسر على هوّة واسعة يستحيل عبورها. وفي النهاية يجب أن تكون «إرادة الله» هي ما يطلبه أي شاب مسيحي. لكن لا يجب أن نسمح لفهم سطحي لـ «إرادة الله» أن يمحو مراعاتنا لمبدإ التبادل.

أريد أن أتعمّق في هذا المبدأ عندما نتطرّق إلى مناقشة غرض الزّواج، لكن في هذه النّقطة يجب أن نمتحن الجوانب الروحية، الثقافية، الجسمانية، والاجتماعية لعلاقتنا. الزّواج لا يمكن أن يُبنى على مجال واحدة فقط. إن الأساس المشترك في هذه المجالات لا يضمن زواجاً سعيداً، لكنه بالتأكيد يزيد من احتمال كونه كذلك.

مبدأ الفعالية الإلهية

أنت لست وحيداً في بحثك عن الرّفيق. كما أن تلك العملية غير متروكة لمجرد الصّدفة. قال إبراهيم: «هُوَ يُرْسِلُ مَلاَكَهُ أَمَامَكَ، فَتَأْخُذُ زَوْجَةً لابْنِي». هل تظنّ أن الله كان أكثر اهتماماً بإسحاق منك؟ إنه لا يحابي الأشخاص. وعملاؤه السّريون في جانبك أنت أيضاً.

أعلم أن بعضكم يودّون لو أن أولئك العملاء «يؤدون وظيفتهم» لكن دعوني أذكّركم أن الله لا يجعل موظّفيه يعملون وقتاً إضافياً. كل شيء يسير بحسب الجدول. ربما أنت تركّز أكثر من اللازم على إيجاد الشّخص الصحيح فلا تجد وقتاً لتكون أنت الشّخص الصحيح.

بالطبع، لا تقتضي خطة الله لكل مؤمن أن يتزوّج. فكم كان العالم سيخسر إذا أزلنا من التّاريخ كل أولئك القديسين غير المتزوجين الذين قد بذلوا حياتهم عبر العصور في خدمة اختيارية لله. ذلك موضوع كامل بمفرده، لكنني أشعر بشدة أنّ الزّواج كدعوة ليس أعلى أو أسمى من التبتّل. السّعداء حقاً هم

أولئك الناس، سواء كانوا متزوّجين أو عزّاب، الذين قد اكتشفوا أن السّعادة لا توجد في الزّواج، لكن في العلاقة السليمة مع الله.

غير أن الزّواج هو المعيار، على أساس أنه أسلوب الحياة الذي يريده الله لغالبية أولاده. والكتاب المقدس، من بدايته إلى نهايته، يتكلّم عن الزّواج والعائلة. أعتقد أنك تستطيع أن تفترض جدلاً أن الزّواج هو خطة الله لك ما لم يكشف لك عن غير ذلك في وقته.

وهو ليس فقط خطة الله لأكثر الناس، بل الله متضامن بشكل فعّال في مجرى الأحداث. لو أن ملاكاً سبق خادم إبراهيم (وبقية الإصحاح لا تتركنا في شك من ذلك)، إذاً فيمكن أن نعلّق الآمال على المساعدة الخارقة للطبيعة في سعينا نحن أيضاً. لابد أن يكون هذا حافزاً على التّشجيع لتلك النفوس الحائرة التي تعتقد أنها لا تمتلك المقومات والرشاقة الاجتماعية مثل نظرائهم. هذا ليس مجرّد مسعى بشري. الله فعّال، وهو سيرشد.

يلمّح هذا المبدأ المتعلق بالفعالية الإلهية إلى لزوم التّجاوب بشكل عملي من جانبنا: فنصلّي، ونصلّي، ونصلّي! أقولها

ثلاث مرات لأن خادم إبراهيم، في الإصحاح الـذي أمامنا، صلّى ثلاث مرات. أي أن الوحي سجّل لنا ثلاث صلوات. بل ربما صلّى أكثر من ذلك. لكن ما يعنينا هنا أن في هذا السرد المختصر نجد تسجيلاً لثلاث مرات من الصّلاة. صلّى أولاً قبل مقابلة الفتاة (الآيتين ٢٦-٢٧). ثم صلّى ثانيةً بعد ظهور بعض علامات النجاح الأولية (الآيتين ٢٦-٢٧). ثم انحنى في صلاة تسبيح بعد ذلك بعد أن وافق والداها.

الطريقة المثلى؟ صلِّ قبل أن تواعد أحداً. صلِّ وأنت تواعد أحداً. وصلِّ بعد الانتهاء من الموعد. يتعيّن أن تتم مغامرة العثور على رفيق بكاملها في شركة مستمرة مع الله. هذا ليس مسعى خاصّ أو علماني. يؤذي العديد من الأزواج أنفسهم باستبعاد الله عن هذا المجال من مجالات حياتهم. لماذا تقطع الشوط وحدك في حين يمكنك الانتفاع بكل مساعدة السّماء؟

مبدأ الجمال

يجب أن يكون الشّخص الذي تتزوّجه «حسن المنظر»، على الأقل بالنسبة إليك. يقول الوحي عن رفقة: «وَكَانَتِ الْفَتَاةُ حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا» (آية ١٦). مهلاً، أنا لا أقصد أن أعلّي شأن عبادة

الجمال المنتشرة في يومنا هذا، التي يُعبَد الجمال فيها فوق كل شيء. أنا لا أقترح أنّكم يجب أن تتزوّجوا من ملكات جمال أو أمراء في درع برّاق. إنما ما أقترحه هو أنّ الشّخص الذي ستتزوّجه يجب أن يكون جذّاباً بالنسبة إليك. يجب أن تشعر شعوراً طيباً عن مظهره أو مظهرها.

كما أني أنا لا أدعوك إلى النّفاق. أنت لست مضطراً أن تقول إنّها أجمل الجميلات أو إنه أوسم رجل وقعت عليه عيناك. وعلى أية حال فمعظمنا على درجة من الحنكة والتمرّس بحيث يصعب انخداعنا بذلك. لا، أنا لا أتحدّث عن التملّق لكن عن شعور طيّب صادق، بأن هذا الشّخص يمكنك أن تنظري إليه بكل انشراح لمدة الأربعين سنة القادمة من حياتك.

بالطبع، الجمال يزيد بكثير عن كونه مجرد ملامح جسمانية. أحياناً أولئك الذين لا يروقون لنا في بادئ الأمر ولا نستحسنهم، يزدادون حسناً وجمالاً حين نتعرّف عليهم. إن الشّخصية، واتجاه التفكير، والحبّ، والصفات المميزة الداخلية الأخرى لها أسلوبها الخاص في جعل الشّخص الذي يبدو متواضع المظهر جميلاً في عينيك.

لذلك، عندما أقول إن رفيقك يجب أن يكون جميلاً، أنا أفكّر في الشّخص ككل. لكن هذا لا يعني أن هذا المبدأ غير مـــــهم. فنحن مخلوقات جمالية ولنا القدرة على تقدير الجمـــال، ومـــن مقوّمات الأساس الجيد للزّواج الاقتناع بأن الشّخص الذي أنـــت على وشك أن تتزوّجه شخص جميل.

مبدأ المبادئ الأخلاقية

وردت في قصّة إسحاق ورفقة بعض التفـــاصيل الشـــخصية جداً. بعد ذكر أن رفقة «حَسَنَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا»، يضيـــف الوحـــي أنّها كانت «عَذْرَاءَ». وخشية أن يكون هناك أي تساؤل حول معنى هذه الكلمة، يوضّح: «لَمْ يَعْرِفْهَا [أي يضطجع معها] رَجُلٌ»(آيـــة ١٦).

دعوني أقولها صراحةً حتى لا يقع خطأ في الفهم: إن خطة الله للرّجال والنّساء تقضي بأن يُقدِمون على الزّواج بـــدون أن يقيموا علاقة جنسية قبله. والله لم يعطِنا هذا المبدأ لإيذائنا لكن لمساعدتنا. وهو لا يحاول أن يُصعّب علينا الأمور لكنه يطلـــب

خيرنا ورفاهيتنا. إن الكتاب المقدس، من البداية وحتى النهاية، يوضّح هذا المبدأ دون لبس. إذا كان عندك أي سؤال على هذه النّقطة، فافحص الحقائق بنفسك. احصل على فهرست للآيات الكتابية وامتحن كل الفقرات التي تتكلّم عن «الزّنا». هذه أكثر الكلمات الكتابية المستعملة بشكل عام للدلالة على الاتّصال الجنسي قبل الزّواج. والكتاب المقدس، بعهديه القديم والجديد، يصر على استنكاره وإدانته. إن المثل الأعلى عند الله دائماً هو التمسّك بالعّفة قبل الزّواج.

سأكون ساذجاً لو فشلت في التّعامل مع حقيقة أنّ هذا المثل الأعلى بالنسبة إلى العديد من الشّباب في أيامنا لم يعُد ممكناً. أي أنهم قد فشلوا بالفعل فيما يتعلق بهذا المثال الكتابي. فما عساهم يصنعون؟ جوابي سيكون هو نفس الجواب الذي أقدمّه لو كانت المشكلة في أي مجال آخر من الفشل. التوبة والإيمان بيسوع المسيح لا يزالان الجواب والحل الوحيد للإنسان الذي أخطأ الهدف.

لا تسمح لفشل الماضي أن يجعلك تترك الحرب. إن فقدانك معركة لا يعني أنّك خسرت الحرب. نحن لا نقدر أن نغيّر

الماضي أو نلغيه. لكن نقدر أن نخطّط مسارنا للمستقبل. لا تلتمس العذر لمسلك حاضر بسبب فشل الماضي. اعترف بخطئك واقبل غفران الله (١يوحنا ١: ٩).

مثل هذا الفعل من جانبك لا يعني استئصال كل نتائج خطأك. الله يغفر، لكن النّتائج الطّبيعية للخطية لا تزول كليةً. الرجل الذي يسكر ويصدم سيارته بعامود النور، مما يتسبب عنه كسر في ذراعه وتحطّم سيارته، يستطيع أن ينال غفران الله قبل ذهابه إلى المستشفى، لكن ذراعه تظل مكسورة ويخسر سيارته. وهكذا، في المرات التي نفشل فيها أخلاقياً، لا تزول آثار الخطإ تماماً بالاعتراف. فماذا نفعل إذاً مع هذه الآثار؟

أنا أرى أن أمر الكتاب هو أن نكون «صادقين في كل شيء» (أفسس ٤: ١٥، ٢٥). إذا كنا قد فشلنا في الماضي، والآن ونحن تحت سيطرة الله نريد أفضل ما في الزّواج، يجب أن نكون صادقين مع زوج المستقبل. اكشف بالكامل عمّا قد حدث في الماضي. الزّواج ليس به حجرات لتخزين الهياكل العظمية. الله قد غفر إذا كنت قد اعترفت. والآن ما عليك إلاّ أن تثق بشريكك أن يغفر لك ويقبلك كما أنت، لا كما يود أو

تود أن تكون. إذا لم يمكن نوال مثل هذا القبول، إذن لا يجب إكمال الزّواج. يجب الشّروع في الزّواج بعد أن تكشف كل أوراقك ولا تخفي منها شيئاً.

بالإضافة إلى قبول زوج المستقبل لك، يجب أن تقبل نفسك أنت أيضاً وتتغلّب على ماضيك. إذا كنت تنظر إلى الجنس، مثلاً، نظرة سلبية بسبب خطأك في الماضي، لا يجب أن تكنس هذا تحت السجّادة وتستمرّ كما لو أن هذا الموقف لم يحدث. بل واجهه .. وتعامل معه.

نقطة الانطلاق للتّغلّب على مثل هذا الموقف السلبي هو الدّراسة المتعمّقة لما يقوله الكتاب المقدس عن الجنس. إن الشخص لا يخرج من مثل هذه الدّراسة بدون تكوين انطباع بأن وجهة النظر الكتابية عن الاتّصال الجنسي ضمن إطار الزّواج إيجابية. إنه أمر صحّي، وجميل، ومن ترتيب الله. سيحرّرك فهم هذه الحقيقة من المواقف السّلبية. فلتشكر الله عليها وتطلب منه أن يغيّر مشاعرك للتوافق مع الحقيقة.

لا، نتائج الخطية لا تُمحَى البتة. حالتك لا تتحسّن أبداً بعد ما تخطئ، لكن هناك شفاء جوهري. تلك هي رسالة نعمة الله.

الله لن يكتب عليك الفشل في الزّواج بسبب خطية سالفة. إنما ما ستضطر إلى التغلّب عليه هو الموانع والحواجز التي ما كانت ستتراكم في طريقك لو اتبعت مثال الله الأعلى، لكن الروح القدس قد أتى ليشفي ضعفاتنا ويساعدنا أن نبلغ كل امكانياتنا الكامنة.

أما غير المسيحي فليس له مثل هذه المساعدة. لذلك فإن الخبرة الجنسية السابقة للزواج لغير المسيحي لها نتائجها الضّارة الطّويلة الأمد. فعلى نقيض العديد من الأفكار الواسعة الانتشار، تشير الأبحاث العلمانية إلى أن الاختلاط الجنسي قبل الزّواج له ارتباط إيجابي بالعلاقات الجنسية خارج العلاقة الزوجية ضمن إطار الزواج[1]. فالمعاشرة الجنسية قبل الزّواج لا تزيد درجة الوفاء في الزّواج لكن، بالأحرى، تضعفه. الله، الذي صنعنا، قد أعطانا القواعد أيضاً. إننا نؤذي أنفسنا أذى عظيماً عندما نتجاهلها.

مبدأ العلاقات الأبوية

الوالدان مهمان. قال أحد الحكماء: «أعطانا الله الكثير من الإرشاد عندما أعطانا الوالدين». ذلك قول حق حتى عندما

يكون هذان الوالدان غير مسيحيين. بدونهما ما كنّا وصلنا إلـى ما نحن فيه. فعندما نأتي إلى الزّواج، لا يجب تجنّب توجيههما وإرشادهما. نحن نحتاج بركة والدينا كلما كان ذلك مستطاعاً.

من الشيّق أن من بين السّبعة وستين آية التي تروي اتحـاد إسحاق برفقة، أكثر من نصفها يتناول علاقتهما بوالديهما (آيات ١-٩؛ ٢٨-٦٠). لعب إبراهيـم دوراً فعّـالاً فـي إعطـاء الإرشادات العامة الأساسية، وتم استشارة والدي رفقة بالكـامل فيما يتعلق برغبتهما في إعطاء رفقة زوجةً لإسحاق.

أنا أعلم أن الوضع الثّقافي والبيئي كان مختلفاً بشكل جذري عن وضعنا الخاص. فدور الوالدين كان أعظم بكثير مما هـو في المجتمع الغربي، لكن حتى عندما نأخذ الاختلافات الثّقافيـة في الاعتبار، نجد أن الكتاب المقدس لا يزال يؤكّد بشدة علـى الحفاظ على صحة العلاقة مع الوالدين.

صحيح أننا في الزّواج نترك والدينا ونلتزم ببعضنا البعض، وهو ما أريد أن أتحدّث عنه فيما بعد، لكن ذلك التّرك لا يتـم بالمعنى المطلق. فتيموثاوس الأولـى، الأصحـاح الخـامس, توضّح أنّ مسؤوليتنا نحو والدينا تدوم العمر كله.

ماذا يعني هذا بالنسبة إلى شابّين يفكّران في الزّواج؟ يعني إطلاع الوالدين على مثل هذه الخطط بالكامل. بعد ما قابلت رفقة خادم إبراهيم عند البئر، كان أول شيء فعلته إخبار والديها بما قد حدث (آية ٢٨). بعد ذلك، أبلغ الخادم والديها بالكامل بسبب اعتقاده أن رفقة هي الزّوجة المناسبة لإسحاق. وأكّد لهما أيضاً أن إسحاق قادر على تسديد الاحتياجات المادية لابنتهما. ثم تكلّم عن الالتزام الرّوحي العميق لدى إسحاق، كابن لإبراهيم، خليل الله. وبعد ما روي كل ذلك، انتظر مزيداً من التّأكيد بأن هذه خطة الله- أي موافقة والديها على طلب الزّواج (آية ٤٩).

على الزّوجين الحصول على بركة والدَي كلٍّ منهما بقدر المستطاع. أنا لا أقول بأنه لا يجب أبداً أن يتزوّج الاثنان متى عارض والداهم الزواج. إنما إذا وجدت اعتراضات، فأرى أنه يجب على الثنائي الانتظار وإتاحة الوقت لله ليغيّر المواقف.

يحتاج الوالدان أن يعلما بأنّنا نحترم حكمهما وأننا نريد بركتهما. لا يجب أبداً أن ننقل الفكرة بأن ما يعتقدانه غير مهمّ لنا. الحياة شديدة القصر والهشاشة عن أن تُبنى على العلاقات

المكسورة. نحتاج إلى الاستقرار العاطفي الذي ينبع من الاتجاه الإيجابي والصحّي نحو والدينا ووالدي أزواجنا.

إذا اعترض والداك على زواجك، إلى متى تنتظر موافقتهما؟ ذلك سؤال وليد صراع ويستحقّ إجابة جيدة. ولكني أعتذر عن عدم امتلاكي إجابة جيدة للرد على هذا السؤال. يمكن أن أقول حتى تبلغ الثالثة والعشرين، لكن ذلك سيكون رداً اعتباطياً. أنت وحدك القادر أن تجيب على ذلك السّؤال، لكن أكثر الذين قد تزوّجوا ضدّ رغبة والديهم كان يمكنهم الانتظار بضع سنوات ويستفيدون من الانتظار. هل يمكن أن يكون رفض والديك هو أسلوب الله الخاص لإبطائك؟

مبدأ التّوقيت

هناك مبدآن يتعلّقان بالتوقيت في هذه القصة، كلاهما هام على حد سواء. أولهما «لا تبدأ العدو قبل سماع الطلق الناري!» كم من السهل أن تتسرع، أن تفترض أكثر من اللازم. قد صلّى خادم إبراهيم صلاة محدّدة جداً. ولم يطلب فقط أن تتقدم الشابة التي عيّنها الله لتسقيه، حين يقف بجانب البئر العمومية ويطلب من الشّابات أن يشرب، لكن أيضاً أن تعرض عليه أن تستقي

ماءً لجماله. وبينما هو يصلّي، خرجت رفقة، فبدأ بتنفيذ الخطة بسؤالها أن تسقيه. أجابت رفقة بسرور. فرقص قلبه طرباً حين قالت رفقة: «أَسْتَقِي لِجِمَالِكَ أَيْضًا» (آية ١٩).

كان ذلك بالضبط ما قد صلّى لأجله. استجاب الله صلاته. لابد أن هذه هي ضالته المنشودة! دعونا نعلن الخطوبة! قولوا للجميع: «قد وجدت ضالتي المنشودة». هذا هو رد فعل الكثيرين منا.

لكن ذلك لم يكن رد فعل الخادم. بالأحرى، كان «الرَّجُلُ يَتَفَرَّسُ فِيهَا صَامِتًا لِيَعْلَمَ: أَأَنْجَحَ الرَّبُّ طَرِيقَهُ أَمْ لاَ» (آية ٢١). هل استجاب الله صلاته؟ واضح أن الدلائل كانت تقطع بذلك. لكن ألا ترى، إن ضمان إرادة الله لا يتحقق باختبار واحد صغير.

«يا ربّ، إذا كان هو نصيبي، فلتدعه يطلب مني زيارة عائلته معه في عيد الميلاد». هذا اختبار لا بأس به، لكنه لا يكفي. أنا لا أعترض على مثل هذه الصّلوات، لكن لا يجب أن نرفع من شأنها أبعد من الحد الملائم. أعرف ثنائيات شعروا بضرورة الزّواج لأن بعض مثل هذه الصّلوات استجيبت، ولو ظاهرياً، حتى عندما كانت كل الإشارات الأخرى تدل على وجوب اتخّاذ الطريق المعاكس!

لم ينطلق خادم إبراهيم قبل سماع «إشارة البدء»، بل انتظر ليتأكّد من أنّ هذا كان من الله. لم يكتفِ بعلامة واحدة. ولكن انتقل إلى العلامات ذات المدلول الأعمق: هل هي ميّالة إلى الفكرة، وهل والداها موافقان؟ قد أُفرِدت السّبعة والعشرون آية التالية لوصف الهدايا؛ المحادثات مع الأمّ، الأبّ، الأخ، والآخرين؛ بحث الأمور المادية، ترتيبات الحياة، الأمور الروحية، وهكذا. حتى بعد كل هذا، لا نزال نجد انفتاحاً من جانب الخادم. «وَالآنَ إِنْ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعْرُوفًا وَأَمَانَةً إِلَى سَيِّدِي فَأَخْبِرُونِي، وَإِلاَّ فَأَخْبِرُونِي لأَنْصَرِفَ يَمِينًا أَوْ شِمَالاً» (آية ٤٩). بدت العديد من العلامات إيجابية الآن، لكنه أراد علامة أخرى: بركة والديها، وهو ما قد ناقشناه من قبل.

من المؤسف أن روح الانفتاح لقيادة الله التي نجدها في خادم إبراهيم معدومة في علاقة العديد من الثنائيات. نحن بطبيعتنا عرضة للانطلاق بسرعة، لافتراض أنّ مجرد شعورنا بما يستحوذ علينا من مشاعر، وبأن هذا صحيح طالما أن ذلك صحيح، فيجب أن نتزوّج. فلا نولي اعتباراً كافياً للأمور الأخطر؛ مثل التبادل الروحي، والاجتماعي، والثقافي،

والفكري. قيادة الله ليست عادة ضدّ العقل. خذ وقتك. ولا تَقُل كل شيء يجول بخاطرك.

ناقشا القضايا. استكشفا الأساس. لا تتّخذا قراراً أهوج. إن الحق، أي الحقيقة، هو الذي يحرّرنا.

ولكي نوازن تركيزنا على هذا الجانب، دعونا نناقش مبدأً آخر متعلقاً بالوقت. «بمجرد أن يضيء الضوء الأخضر، لا تنتظر رؤيا في اللّيل!» أقول هذا خصوصاً لتلك النفوس الخجولة التي تلاقي صعوبة في تقرير نوع المربّى التي يجب أن تشتريها! أعني أولئك الذين يتباطأون في اتخاذ القرار حتى يضيع الوقت هباءً. معظمكم ليس بحاجة إلى هذا المبدأ، لكنه هام بالنسبة إلى البعض. بمجرد حصول الخادم على رد والدَي رفقة بالموافقة، مشفوعاً بكل الأضواء الخضراء الأخرى التي ناقشناها أعلاه، كان مستعداً للتّحرّك. حاولت أمّها وأخاها أن يقنعاه بتأخير الرّحلة لمدة عشرة أيام أو نحو ذلك، لكنه قال: «لاَ تُعَوِّقُونِي» (آية ٥٦). دعوني أذهب. إن أجراس الزّفاف تدقّ.

الزّواج خطوة كبيرة. بل يفضّل البعض استعمال كلمة «قفزة» بدل خطوة. إذا كنت وجدت صعوبة في أخذ القرارات طيلة حياتك، إذن يمكن أن أؤكّد لك أنّك ستصاب بالهلع عندما يقترب موعد التقدّم على المذبح لعقد القران. (استغرق سنتين ليقرّ أنّه يريد الالتحاق بالجامعة وست سنوات ليحصل على درجته العلمية لأنه غيّر مادة تخصصه خمس مرات. احذر، لأنه سيصاب بصدمة نفسية إذا ظهرت أمامه إمكانية حدوث الزّواج.)

ما الذي أحاول أن أقوله؟ عندما تكون على علاقة مع عضو من الجنس الآخر مركزها المسيح وعندما يوجد خيط من الأضواء الخضراء من هنا إلى مدينة شيكاغو، فلا تنتظر يد خفية على الحائط تصرّح لك بالزّواج. عليك – في منعطف من المنعطفات – أن تأخذ قراراً. لا تسِئ فهمي. إذا كانت هناك بعض الأضواء الحمراء السّاطعة تومض، أي بعض الأشياء التي تضايقك حقاً، أو بعض الموانع غير المُذلّلة، فأنا لا أقترح أن تهملها. مثل هذه الأضواء توجد دائماً لإنذارنا. ونحتاج أن نهتمّ بالمشاكل حتى تتحوّل الأضواء إلى اللون الأخضر، أو إذا لم يحدث ذلك ننحرف عن طريقنا. إذا كانت كل الإشارات خضراء، فتوكّل على الله وامضِ قُدُماً.

مبدأ إرادة الله

إرادة الله فوق «الحبّ» كقاعدة للزّواج. كما نوّهنا سابقاً، عادةً أسأل الثنائيات الذين يأتون طلباً للمشورة قبل الزواج لماذا يريدون أن يتزوّجوا. يبدو السؤال منطقيّاً لي. يبدو أكثرهم مندهشاً من مجرد طرحي هذا السؤال، لكن عندما يقرّرون أنّي جاد يردّون عادةً: «لأننا نحبّ كل منّا الآخر». يُفترض أن يكون ذلك سبب الزّواج. يبدو أن المسيحي وغير المسيحي يوافقان على أن الحبّ هو القاعدة الرئيسية للزّواج. عندما ألح عليهم وأطلب منهم تعريفاً للحبّ، أجد أن المسيحي وغير المسيحي – غالباً – لا يختلفان في نظرتهما للحبّ إلاّ قليلاً.

لو كان الحبّ هو أساس الزّواج، إذن لما كان إسحاق ورفقة تزوّجا! فهما لم يريا أحدهما الآخر حتى يوم الزّفاف. يقول الكتاب المقدس: «وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا» (آية ٦٧). تم الأمر بهذا الترتيب. جاء الحبّ عقب زواجهما. ما كانت هناك فرصة قبل الزّواج. أما نحن فترتيبنا يختلف، ولا شك أنّ لذلك محاسنه. فعندنا على الأقل فرصة لتنمية الحبّ قبل الزّواج. لكن نظراً لأن نموذجنا ليس عالمياً، يجب أن يوجد هناك شيء

أساسي يكون قاعدة للزّواج المسيحي أكثر من الحبّ. أنا أعتقد أن ذلك الأساس هو إرادة الله- خطة الخالق.

على المسيحي أن يتزوّج لأنه أو لأنها تقتنع بعمق بأن هذا الزّواج هو عمل الله، أن الله في حكمته اللانهائية قد وفّق الاثنين معاً وقصد لهما أن يعيشا حياتهما في وئام ووحدة أحدهما مع الآخر، ومعه. أي شيء أقل من هذا الاقتناع لا يفي بالشروط الكتابية الأساسية للزّواج. كل الأسس الأخرى للزّواج قابلة للتغيير. حتى الحبّ، مهما كان تعريفه، يأتي ويذهب، لكن إرادة الله ثابتة.

الله لن يقودك إلى الزّواج بغرض الفشل. إذا كان اختيارك لرفيقك مبنياً على إرادته سيزيد احتمال الشبع في الزّواج إلى أعلى درجة. هذا لا يعني أن الله لن يساعدك إذا التجأت إليه متأخراً في حياتك. ربما لم تكن تعرفه في وقت الزّواج ولذلك لم يكن ممكناً أن تستفيد من إرشاده. يريد الله دائما أن يأخذنا - حيث نكون- ويساعدنا أن نصل إلى أقصى طاقاتنا الكامنة من تلك النقّطة. هناك أمل لكل زواج يلتجئ فيه الزّوجان إليه طلباً

للإرشاد. لكن إذا لم تكن تزوّجت حتى الآن، فلماذا تريد شيئاً أقل من أفضل اختيار عند الله؟

فكيف عساك أن تميّز إرادة الله؟ هذا غرض كل القسم الأول من هذا المجلد. قيادة الله، كما نوّهنا أعلاه، تتوافق مع العقل. أعطانا الله وسيلة إرشاد عندما أعطانا عقولنا. حين تكون عقولنا مكرّسة له، حينما نطبّق مبادئه في البحث عن الرّفيق، يرشدنا إلى الاختيار الذي يضمن لنا تحقيق إرادته بكل ثقة. وهذه الثّقة هي التي ستحفظنا متحدين عندما تهيج عليها العاصفة. «نعم، نحن نواجه مشكلة، لكن الله قد جمّعنا، لذلك يوجد حل». سيكون هذا تفكيرك المنطقي، وستجد ذلك الحل وتنطلق من النّزاع إلى النّمو.

اقتراحات

بالإضافة إلى المبادئ العامّة سابقة الذكر، هناك أيضاً بعض الاقتراحات العملية إلى كلٍّ من الرّجال والنّساء التي يمكن ملاحظتها في هذه القصة الخاصة بإسحاق ورفقة. أريد أن أخاطب الرّجال أولاً.

للرّجال

أكثِر من الهدايا. عدد الهدايا المذكور في هذا السرد يثير العجب. واضح أن الهدايا كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إلى خادم إبراهيم، حتى أنه قطع الرّحلة مُحمـلاً بها. عرف أنّه عندما يجد الفتاة المناسبة، سيُغدِق عليها الهدايا. جاءت هديته الأولى عقب العلامة الأولى الدالة على أن هذه الفتاة هي التي اختارها الله بوقت وجيز. فبعد استجابة صلاته الأولى، قدّم لها سوارين وخاتماً من الذّهب الخالص (آية ٢٢). ولاحقاً، بعد أن عبّر والداها عن قبولهما، قدّم مزيداً من الهدايا لرفقة وأيضاً لأمّها وأخيها (آية ٥٣).

معلوم أنّ نوع الهدية ومكان الإهداء يختلفان من بيئة إلى بيئة، لكن في دراستي لبيئات وثقافات متعدّدة، لم أصادف ثقافة لم يكن إهداء الهدايا جزءاً فيها من عملية الزّواج. هناك شيء ما في تقديم الهدايا يعبّر عن الحبّ والتقدير.

أنا لا أقترح أنّه يجب على الرجل في مجتمعنا أن يقدم الهدايا باستخفاف وبذخ. من المُرجّح أن المبذّر الذي يقدم هدايا غالية لكل فتاة يخرج معها سيُنظَر إليه على أنه شخص أحمق،

بدلاً من أن يكون محط إعجابها. إنما يندر أن توجد فتاة لا تقدّر الهدية من الرّجل الخاصّ في حياتها طالما كانت مصحوبة بموقف الحبّ. في رأيي، يجب أن تُدَّخر الهدايا للشّخص الذي أنجذب إليه انجذاباً خاصّاً ويكون عندي سبب مقنع للاعتقاد بأن هذا ربما يكون اختيار الله لي.

تصبح الهدايا أكثر أهمية مع تطوّر العلاقة. يرتكب بعض الرّجال خطأً فادحاً عند هذا المنعطف. بعد الخطوبة والزّواج يعتادون على شركاء حياتهم ويفترضون أن الهدايا غير مهمّة. مع أن العكس هو الصحيح. كلما تعرّفتما كل منكما على الآخر، ازداد حبكما الواحد تجاه الآخر، وازدادت حاجتكما إلى تقديم الهدايا.

لا داعي أن تكون الهدايا غالية. يقول المثل القديم "الأعمال بالنيّات". المهم هو تفكيرك في الشخص ذاته. لكن لا يجب أن تستعمل هذا كعذر لتكديس المال. من أفضل الاستثمارات التي يمكن أن تستثمرها في حياتك هي الأموال التي تستثمرها في الهدايا لشريكك.

اذهب حيث توجد الفتيات. عندما تفكّر في الأمر، تجد أن المهمة الملقاة على عاتق خادم إبراهيم كانت هائلة: أن يرجع إلى موطن إبراهيم ويوفّر عروساً لإسحاق. فأين عساه أن يبدأ البحث؟ أما مهمتك أنت فأكثر هولاً. فبسبب الانفجار السكاني تزيد رقعة الاحتمالات زيادة مفزعة. كيف عساك أن تجد المرأة التي من نصيبك؟

للرد أقول: هناك محك بسيط، لكن عميق: اذهب حيث توجد النّساء! يقول الكتاب المقدس عن خادم إبراهيم: " وَأَنَاخَ الْجِمَالَ خَارِجَ الْمَدِينَةِ عِنْدَ بِئْرِ الْمَاءِ وَقْتَ الْمَسَاءِ، وَقْتَ خُرُوجِ الْمُسْتَقِيَاتِ " (آية ١١). بدأ بالذهاب إلى المكان الذي ترده النّساء في ذلك الحي كل مساء لاستقاء الماء. أما نحن فليس عندنا آبار في أحيائنا، لكن عندنا مكتبات عامة، ملاعب كرة، نشاطات كنسية، دروس الكتاب المقدس، والعديد من الأماكن الأخرى حيث تذهب النساء المسيحيات بشكل منتظم. يبدو لي أن هذه ستكون أماكن منطقيّة يذهب إليها الرجل إذا أراد توجيه الله في العثور على شريكة للزّواج.

أنا لا أقصد أن أفرض أي نموذج واجب التطبيق. كما لا أرغب أن أنقل الإحساس بأن الرّجل يجب أن يتجوّل في المكتبة كل مساء، متوتّراً مثل الحيوان الذي على وشك الانقضاض على فريسته. ما أريد أن أقوله هو أنّنا نحتاج أن نتعامل بشكل طبيعي وعادي مع النّساء في الأوضاع الاجتماعية التي يوفّرها لنا مجتمعنا. على الأغلب عندما يختار الله أن يعرّفك على اختياره لك، سيحدث ذلك في هذا السّياق. لماذا تُصعِّب الأمر على الله بالجلوس في غرفتك كل ليلة تقرأ الكتب والروايات؟ اذهب حيث توجد الفتيات!

أنا أعلم بوجود مدرسة فكرية تنادي بأن الرّجال المسيحيين المكرّسين يجب أن يقاطعوا النّساء ويركزوا على نموهم الرّوحي. أنا لا أُشكّك في دوافع مثل هؤلاء، لكني أشكّك في النّتائج. الرّوحانية لا يمكن أن تتطوّر من فراغ. قد يشعر المرء بأنّه يحقق تقدماً روحياً عظيماً، لكن عندما يُجابه بالعالم الحقيقي، يسقط على وجهه. أعتقد أن أفضل وسيلة لتحقيق النّمو المسيحي الطّبيعي تكون في إطار التّفاعل الاجتماعي مع أفراد الجنس الآخر.

ضع *الروحيات في المركز*. هذا مكان جيد للتحدّث عن دور الحياة الرّوحية في علاقات المواعدة. لا يمكن أن تقرأ قصة إسحاق ورفقة دون الإحساس بأن الله كان محور تفكيرهم. تكلّم الخادم من البداية إلى النهاية بحرّية عن إيمان سيّده إسحاق بالله. صلّى في السرّ وفي العلانية في مرأى ومسمع عائلة رفقة. أخبر والديها بوضوح بإيمان إسحاق بالله وكيف قد أرشده الله إلى قراره بخصوص رفقة.

من حسن التصرف أن تحذو حذو الخادم. علاقتك مع الله هي أهم جانب من حياتك. إيّاك أن تتركه في الكنيسة عندما تخرج في موعد. يجب أن يكون حديثك عن علاقتك بالله صريحاً وصادقاً.

وأعتقد أيضاً أن الثنائيات الذين يتحرّكون نحو الزّواج يجب أن يصلّيا بشكل منتظم معاً، ويدرسا الكتاب المقدس معاً، ويحضرا خدمات العبادة معاً، ويناقشا طموحاتهما ورؤيتهما معاً. من خلال هذا النوع من حرية التفاعل يقرر الإنسان حَجَر زاوية الزّواج: التبادل الرّوحي. فتحفران معاً لتجدا أساسكما الرّوحي الفردي وبعد ذلك يساعد الواحد منكما الآخر على

النمو. إذا احتفظتما بالمسيح في مركز العلاقة قبل الزّواج، فأغلب الظن أنه سيظل في مكانه بعد الزّواج.

تتوفّر في الأسواق بضعة دراسات كتابية ممتازة للأزواج. في القسم الخاص بالواجب في هذا الفصل، اقترحت دراسة ساعدت العديد من الأزواج في امتحان علاقتهم من منظور كتابي وتحقيق النّمو أثناء القيام بها.

للنّساء

كوني أمينة في روتين حياتك اليومي. يا ترى كم عدد المرات التي ذهبت فيها رفقة إلى تلك البئر؟ أشك في أنّها كانت تذهب هناك مدفوعة بدافع خاص هو البحث عن عريس. كانت تقوم بعملها المعتاد: تستقي ماءً لعائلتها. كان ذلك في بيئتها واحداً من أعمالها الروتينية المنتظمة، لا شيئاً شاذاً غير طبيعي، بل واحداً من تلك الواجبات التي كانت تؤديها يومياً.

هل يصيبك الملل أحياناً من الرّوتين؟ هل تأخذين موقف اللامبالاة نحو الحّياة لمجرد أن الأشياء تظل على حالها يوماً بعد يوم؟ هل يحتمل أنّك تُصعّبين على الله مهمته بسبب موقفك

وسلوكك؟ من الجائز جداً أن تقابلي الرّجل الذي سيكون من نصيبك في مكان غير رومانسي مثل صالة طعام الكلية أو المكتبة أو اجتماع الشباب أو دراسة مختلطة للكتاب المقدس.

إنّ التفاصيل اليومية مهمة. ينصحنا بولس أن نعمل كل شيء من كل القلب، كما لو كنّا نعمله للمسيح نفسه (كولوسي ٣: ٢٣). إذا ألزمتِ نفسك بهذه الفلسفة وطبّقتيها على تلك الواجبات الرّوتينية التي تؤديها يوماً بعد يوم، ستضعين نفسك في أفضل موقع للتعاون مع الله على تحقيق مقاصده لحياتك.

إنّ الرّوتين لا يكون روتيناً على الإطلاق عندما نؤدّيه مع الله. القصد من الحياة كلها أن تُعاش في شركة معه. ما أتعس الكثيرين منا الذين يؤدون مهاماً فقط، بدلاً من أنْ يؤدوا تلك المهام معه. حضوره يصنع كل الفرق في الوجود. هو يريد الشركة معنا على طول الطّريق بينما يكشف لنا خططه لحياتنا. في يوم من تلك الأيام الرّوتينية، عندما تكونين مستعدة، سيجلب الرجل المناسب إلى البئر.

كوني *عطوفة*. تعلّمنا العطف ونحن أطفال، ومن المؤسف أننا ننساه في الكبر. العطف في صورته النقيّة الأصيلة غير

المغشوشة هو واحد من الخصائص العظيمة للمرأة المتحــررّة بحق. لم تكن رفقة أنانية تحب ذاتها إلى الدرجة التي تجعلـــها عاجزة عن خدمة الآخرين. الحرية الحقيقية لا تعني أنّ نعيــش لأنفسنا. بالأحرى، تعني أنّ نتحرّر من عبودية الأنانية وتكون لنا حرية استثمار حياتنا فيما يعود بالخير على الآخرين. كــان المعروف صغيراً: سقي الجمال. هذا عمل قريب الشبه كثـــيراً بخبز الكعك أو مدح رجل على نظافة ســـيارته. ليــس ذلــك بالكثير، لكنه كان تعبيراً عن العطف. ما الأعمال التي يعملـــها المرء فتكون أكثر بلاغةً من هذا؟

إن الشّفقة أو العطف فضيلة تحتاج إلى الرعاية والتنميـــــة. إنها واحدة من الأذرع الطويلة للحبّ وهي ملائمة فـــــي كــل وقت. ليست الشّفقة أبداً مظهراً من مظاهر سوء الخلــق. بــل بالأحرى كان إظهار الشّفقة من جانب العديـــد مــن الفتيــات الشرارة التي أشعلت ناراً لم تخبُ. الشّفقة لها قيمة لا تنتــــهي، وهي ستخدم أغراض الوحدانية طالما طالت بكما الحياة. فـــلا تقدُّم الزّوج في العمر يجعله عاجزاً عن تقديـــر الشــفقة مــن زوجته، ولا الزّوجة تعجز عن تقديمها له.

شاركي أفراحك مع والديك. عندما حصلت رفقة على أول دليل على أن الله على وشك صنع شيء ما، أخبرت والديها (آية ٢٨). قد ذكرت هذا آنفاً، لكني أقولها ثانيةً هنا لأني أرى أن العديد من النّساء يحرمن أمهاتهن من بهجة عظيمة بعدم إخبارهن بحرّية بعمل الله في حياتهم. إذا كان والداك على قيد الحياة، فلابد أنهما يهتمان بمصلحتك وخيرك. هما يبتهجان متى تبتهجين ويبكيان متى تبكين. ربما أنتِ لا تريدين أن تريهما بيكيان، لكن بالتأكيد تودين أن يشاركاكِ بهجتك. يمكن أن تضيفي الكثير إلى حياتهما بإشراكهما في بهجة النّمو السابق للزّواج.

تحذير

يجب أن أقدّم توضيحاً واحداً خِشيةَ أن يُساء فهم مضمون هذا الفصل. لا يجدر بالمسيحي أن يتغافل عن كل المهام والواجبات الأخرى وينطلق في رحلة للـ «بحث عن زوجة» أو للـ «بحث عن زوج». مثل هذه الرحلات كانت ضرورية في حالة إسحاق بسبب العوامل الجغرافية والثّقافية التي ناقشناها أعلاه. أما بالنسبة إلى معظمنا فاختيار الله يُستعلَن في سياق ممارستنا الطّبيعية لمهام الحياة.

كما نوّهنا قبلاً، معظمنا يحتاج إلى التركيز على أن يصبح هو الشّخص الصحيح، بدلاً من التركيز على البحث عن الشّخص الصحيح. عندما نكون مستعدين، يسهل جداً على الله تدبير الأمور والمواقف التي تجمّعنا معاً.

أصيب الكثير من المسيحيين بعدوى المرض المعروف بشكل عام بين طلاب الجامعات باسم «رُعب آخر سنة دراسية» فاتخذوا قرارات غير حكيمة وغير رشيدة. لا تكن متلهّفاً أكثر من اللازم. توقيت الله على نفس قدر أهمية الشخص الذي من عند الله.

الزّواج ليس الحل لكل نقائص الإنسان. الله هو الحل! ففي سعينا للتعرّف على الله، يسعى هو من ناحيته لمساعدتنا في كل مجالات الحياة. لكنه لا يتّخذ القرارات نيابةً عنا. تلك المسؤولية متروكة لنا. المبادئ المتضمّنة في هذا الفصل مصمّمة بحيث تجعل منا صنّاع قرار حكماء.

واجبات النّمو

للعزاب:

١. إذا كنت مخطوباً أو تتحرك مع شريكك بثبات في ذلك الاتجاه، فاقرأا وناقشا كل إرشاد من «الإرشادات العامّة» في هذا الفصل. استعملا هذا الفصل لتسهيل الأمانة والصراحة في هذه المجالات.

٢. إذا وجدتما بعد ذلك أنكما لا تزالان ملتزمين بمواصلة العلاقة، فابدأا دراسة أسبوعية أو نصف شهرية للكتاب المقدس معاً. وأقترح عليكما كتاب *Before I Marry*، من تأليف جي. ألن بيترسون (انظر الملحق). أكملا درس الكتاب المقدس بشكل فردي وناقشا المفاهيم عندما تجتمعان معاً.

٣. ابدأا الصّلاة معاً على الأقل مرة كل أسبوع.

٤. خذا ملاحظات على الرسائل الكتابية التي تسمعانها وناقشاها معاً.

٥. أولئك الذين لا يواعدون أي واحد بجدية يجب أن يعيروا انتباهاً خاصّاً لتلك المقاطع التي بعنوان «اذهب حيث

توجد الفتيات» و«كوني أمينة في روتين حياتك اليومـــي». مـــا الخطوات التي يمكنك اتخاذها لتضع هذه المبادئ موضع التنفيذ في حياتك الخاصة؟

للأزواج:

١. قد يبدو أن هذا الفصل لا ينطبق على حياتك بما أنك قد وجدت شريك الحياة. بعد قراءتك الفصل، يجوز أن يكــون ردّ فعلك واحداً من اثنين: إما إحساس بالامتنان والبهجـــة حيــن تتذكّر الأسلوب الذي قادك الله به إلـــى رفيقــك، أو إحســاس باليأس حين تدرك قلة معرفتك بطرق الله قبل أن تتزوّج. مـــا هو رد فعلك الصّادق على هذه النّقطة؟

٢. إنّ رسالة الكتاب المقدس الرّائعة تقول إنّ الله يريــد أن يأخذنا على عِلاّتنا، حيثما نكون، ويقودنا إلى حيثما يجـــب أن نكون. هل أنت منفتح بصدق على النمو في علاقتك الزّوجية؟

٣. أي عمل من أعمال الشّفقة ستصنعه من أجل رفيقـــك هذا الأسبوع؟ أي هدية ستقدمها له/لها؟

٤. اقرأ كولوسي ٣: ٢٣-٢٤ «وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ». هل يحتاج موقفك من مسؤولياتك اليومية إلى التغيير؟ هل أنت مستعد لطلب المساعدة من الله؟

٣

هدف الزّواج

قبل أن ننطلق في دراسة الزّواج، ربما يجب أن نتوقّف هنيهة لنسأل: «ما هو غرض الزّواج؟» بالنسبة إلى أولئك المتدرّبين على اتخاذ القرارات ووضع الأهداف، سيبدو هذا سؤالاً مبدئياً واضحاً. أما بالنسبة إلى الآخرين، الذين تحجّرت أفكارهم، سيبدو هذا السؤال عديم الفائدة. ومع ذلك، يعرف الكل غرض الزّواج - أم أن الوضع غير ذلك؟ إذا سألت عشرة أصدقاء ذلك السّؤال وطلبت منهم أن يكتبوا أجوبتهم سراً، فكم عدد الأجوبة المختلفة التي تعتقد أنك ستستلمها؟ أودّ أن أسجّل هنا بعض الأجوبة التي قد استلمتها من العزاب والأزواج.

* الجنس
* العشرة

* الحبّ
* توفير بيت للأطفال
* القبول الاجتماعي
* الفائدة الاقتصادية
* الأمن

يسأل الإنسان العصري: «لكن ألا يمكن تحقيق هذه الأهداف خارج نطاق الزواج؟» حقاً يتشكّك الكثيرون في المجتمعات الغربية من الفائدة الاجتماعية والاقتصادية من الزواج اليوم. ومجتمعنا قد بيّن بالتأكيد أن العلاقات الجنسية ليست بالضرورة حكراً على الزّواج. ثم ماذا عن الحبّ ، الأمن، العشرة، وتوفير بيت للأطفال؟ ألا يمكن أن يتمّ هذا كله – نوعاً ما – بدون زواج؟ إذن فلماذا نتزوّج؟

هذه أفكار الإنسان العصري غير المتديّن. لكن ماذا يقوله الكتاب المقدس؟ هل يعالج الله هذه المسألة؟ ما هو غرض الزواج بحسب الكتاب المقدس؟

إنّ الصّورة الكتابية للزّواج هي مزج حياتين بأعمق طريقة ممكنة في وحدة جديدة تكون مشبعة للفردين المعنيين وتصلح لأغراض الله بأسمى الطرق. إن قلب البشرية يصرخ من أجل الوحدة. نحن مخلوقات اجتماعية. الله بنفسه قال عن آدم: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ» (تكوين ٢: ١٨). جدير بالذكر أن هذا التّحليل كان قبل سقوط الإنسان، وأن هذا الإنسان كان يتمتّع أصلاً بشركة شخصية دافئة مع الله. لكن الله قال: «هذا لا يكفي!»

كان حل الله لمشكلة آدم خلق المرأة، فتكون معيناً نظيره (تكوين ٢: ١٨). الكلمة العبرانية المترجمة نظيره هنا تعني حرفياً: وجهاً لوجه. أي أن الله خلق لآدم واحدة يستطيع أن يقيم معها علاقة مواجهة. وهذا يشير إلى ذلك النوع من العلاقات الشخصية المتعمّقة التي يتّحد عن طريقها الاثنان في وحدة لا تنفصم عُراها تشبع أعماق أشواق القلب البشري. كان الزّواج حل الله لاحتياج آدم البشري الأعمق: اتحاد الحياة مع شخص الآخر.

وإذ تكشف صفحات الكتاب المقدس عن تاريخ الإنسان، نرى أن هذه الوحدة تشمل الحياة كلها. إنه ليس مجرد علاقة

جسدية. ولا هي ببساطة تقديم واستلام المساندة العاطفية. إنها بالأحرى الاتحاد التّامّ لحياتين على المستويات الفكرية والعاطفية والروحية والاجتماعية والجسدية.

لا يمكن أن يَنتُج هذا النوع من الاتحاد بدون الالتزام العميق والثابت الذي قصد له الله أن يصاحب الزواج. الزّواج ليس عقداً لتحليل العلاقات الجنسية. ولا هو مؤسسة اجتماعية لإعالة الأطفال. إنه ليس مجرد عيادة نفسية ننال فيها الدعم العاطفي الذي نحتاجه. ولا هو وسيلة للحصول على المكانة الاجتماعية أو الأمن الاقتصادي. بل إن الغرض الأسمى من الزوّاج لا يتحقق حين يكون الزواج وسيلة للحصول على الحب والعشرة، على الرغم من قيمتهما الثمينة.

إنّ الغرض الأسمى للزّواج هو اتحاد فردين على أعمق مستوي ممكن وفي كل المجالات، الذي يجلب – بدوره – أعظم إحساس ممكن من الشبع لكلا الطرفين وفي نفس الوقت يخدم أفضل أغراض الله لحياتهما.

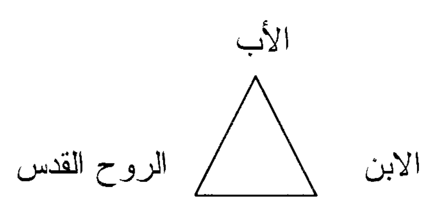
طبيعة الوحدانية الزّوجية

من الواضح أن التّزوج لا يوفّر هذا النوع من الوحدة للزوجين. هناك اختلاف بين «الاتحاد» و«الوحدانية». كما كان يقول واعظ بلدتنا المسن: «عندما تربط قطّتين معاً من ذيليهما وتعلّقهما على السور، تكون قد وحّدتهما، أما الوحدانية فمسألة مختلفة».

لعل أفضل مثل كتابي على ذلك النوع من الوحدة هو الله ذاته. فمن المثير للاهتمام أن الكلمة العبرانية المترجمة «واحد» في تكوين ٢: ٢٤، حيث يقول الله: «لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا **وَاحِدًا**»، هي نفس الكلمة العبرانية التي استعملها الله نفسه في سفر التثنية ٦: ٤ حيث نقرأ: «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ **وَاحِدٌ**».

كلمة «واحد» تشير إلى الوحدانية الجامعة (المُركّبة) بعكس الوحدانية المطلقة. يعلن لنا الوحي أن الله آب، وابن، وروح قدس، ثلاثة في واحد. نحن لا نعبد ثلاثة آلهة، بل إلهاً واحداً، مثلّث الأقانيم. والإيضاحات على الثّالوث عديدة، إنما تقصر

عن وصف الثالوث في نقطة أو في أخـــرى، لكـن دعونـي استعمل إيضاحاً شائعاً جداً لأبيّن بعض مدلولات هذه الوحدة.



يمكن وضع المثلث على أي جانب، وتحريك أمـاكن الآب والابن والروح القدس إلى أي موضع. لا فرق، فالله واحد. ما لا يمكن أن نفعله هو محو ضلع أو لقب من الألقاب المُدوّنة. يجب أن يقف الكل معاً. الله ثالوث، وهو واحد. نحن لا نستطيع أن نفهم هذا التّصريح بالكامل، لكن يجب أن نتكلّم عن الله بهذا الأسلوب، لأن هذا هو الأسلوب الذي أعلن به عن نفسه. وما كنا لنعلم أن الله مثلث الأقانيم لولا أعلن الله عن أنه ثالوث. وما كنا لنعلم أن الثالوث وحدانية لولا أعلن الله أنها كذلك.

الله وحدانية. لكن، من ناحية أخرى، هو تعدُّدية. فلا يمكن أن نقول بشكل صحيح إنّه لا يوجد تمايزات بين الثّالوث. إذا تحرّينا الصدق التام، فسنقول إن الروح القدس لم يمت من أجلنا على الصّليب. كان ذلك عمل الابن. ونحن – المؤمنين – لا

ننعم بسكنى الآب، بل الرّوح. إنه من غير المعقول أن يعمل أعضاء الثّالوث كأقانيم منفصلة. لأننا إذا طالعنا الكتاب المقدس من تكوين ١: ٢٦ حيث يقول الوحي: «**نَعْمَلُ** الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا **كَشَبَهِنَا**» إلى الرؤيا ٢٢: ١٦-٢١، نجد الثالوث يعمل معاً كوحدة جامعة (مركبّة).

لكن ما دلالة هذه الوحدانية الإلهية بالنسبة إلى الزواج؟ دعوني أستعمل مثلثاً آخر للتوضيح.

الله

الزّوجة الزّوج

هذه المرة لا يمكن إمالة المثلث ليستند على أي ضلع آخر. يجب أن يظل الله على قمة الزواج المسيحي. لكن يمكننا استبدال علامتي «الزّوج» و«الزّوجة»، لأنهما سيصبحان واحداً، هدفهما أن يتعاونا مع الله في تنمية وحدتهما. هذا لا يعني أنّ الزّوجة ستفقد هويتها كشخص تماماً مثلما لا يفقد الروح القدس هويته في الثّالوث.

الوحدة الزوجية ليست من النوع الذي يستأصل الشخصية، وإنما هي بالأحرى من النوع الذي يحرّرك لتعبّر عن اختلافك، ومع ذلك تختبر وحدانية مع رفيق حياتك. لك مطلق الحرّية أن تكون كل ما قصد الله لك أن تكونه، وفي نفس الوقت نختبر كل ما قصده الله حين صنعنا ذكرا وأنثى. ما من حقيقة تمنحنا حرية وشبعاً أكثر من هذه.

مدلول ذلك عند العُزّاب

إذا كان هدف الزّواج هو الاتحاد العميق بين فردين في كل مجالات الحياة، إذن ما مدلول هذا الهدف عند الفرد الذي يفكّر في الزّواج؟ يظهر لي أن مثل هذا الفهم يفتح أمامنا العديد من المجالات التي يلزم استكشافها.

إذا كان هدفنا الوحدانية، إذن فالسّؤال الرّئيسي قبل الزّواج يجب أن يكون: «ما الأسباب التي تجعلنا نعتقد بإمكانية أن نصبح واحداً؟». حين نمتحن المجالات الفكرية، الروحية، الثقافية، الجسدية، العاطفية، والاجتماعية من الحياة، ماذا نجد؟ هل نشترك في عدد من هذه المجالات يكفي لتكوين أساس

للوحدانية؟ لا يجب أن يبنى بيــــت بــدون أســاس مناســب. وبالقياس، لا يجب الشروع في الزّواج حتى يستكشف الثنــائي الأساس.

ماذا يعني هذا بالمعنى العملي؟ يعنـــي أن الثنــائي اللــذان يفكّران في الزّواج يجب أن يقضيا وقتاً قيّماً في مناقشـــة كــل مجال أساسي من الحياة لكي يحدّدا أين هما. من العجيـــب أن العديد من الثنائيات يتزوّجون وهم لا يفهمون إلاّ القليل جداً عن الاهتمامات الفكرية لكل منهما الآخر. ويتزوّج الكثيرون بنـــاء على فهم سطحي فقط لشخصية كل منهما الآخــر أو تركيبتــه العاطفية. بينما يتزوّج الآخرون على ظن بأن القيـــم الدينيــة والأخلاقية غير مهمّة، ولذلك يكرّسون وقتاً قليلاً في التفكـــير فيها. إذا أردت الانتفاع بالزّواج على أكمل وجه، ألا يكون من المنطقي أن تفكّر في الأساس؟

الوحدة الفكرية

دعوني أقدّم بعض الاقتراحات العملية للعزاب. حدِّدا وقتـــاً معيّناً لمناقشة كل المجالات الرّئيسية للحياة أثنـــاء المواعــدة. مثلاً، تناقشا معاً حول أنواع الكتب التي تقرآنها. هذا يكشـــف

عن شيء من اهتمامكما الفكري. إذا كان الإنسان لا يقرأ الكتب البتة، فهذا أيضاً يكشف عن حقيقة. هل تقرأ الصّحف بانتظام؟ ما المجلات التي تقرئينها؟ أي نوع من البرامج التلفزيونية التي تتمتّع بها أكثر؟ ستدلّ الأجوبة على كل هذه الأسئلة على شيء من اهتماماتك الفكرية.

كذلك يجب مراعاة الدّرجات العلمية. لا يعني هذا أن تكون لديكما نفس الاهتمامات الفكرية، لكن لابد أن تتواصلا على نفس المستوى الفكري إلى حد ما. قد انتبه العديد من الأزواج بعد زواجهم بوقت قصير ليكتشفوا أنهم محرومون من هذا المجال الحياتي كله بسبب العجز عن فهم كل منهما الآخر. قبل الزّواج، لم ينظروا في هذه المسألة قط.

أنا لا أتحدّث عن الكمال، لكن عن الأسس. هل تشتركان فيما يكفي فكرياً لكي تكون لديكما قاعدة للنّمو؟ ربما كانت أفضل وسيلة للإجابة على ذلك تجربة بعض تدريبات النّمو. اتّفقا على قراءة نفس الكتاب واقضيا بعضاً من الوقت القيّم في مناقشة مفاهيمه. اقرأ مقالة رئيسية في الصّحيفة كل يوم وناقشا

مزاياها ومدلولاتها. سيكشف هذا عن الكثير والكثير من حالتك الحاضرة وإمكانيتك للنّمو في المستقبل.

الوحدة الاجتماعية

أو خذ المجال الاجتماعي، على سبيل المثال. أتذكّر الزّوجة الشّابة التي قالت: «يريد أن يشغّل تلك الموسيقى الريفية الغربية السخيفة طول الوقت، وأنا لا أستطيع تحمّلها!» لم يبدُ هذا مهماً قبل الزّواج. يا تُرى ما السبب؟ ألعلّ السبب كان «وهم الحب؟»

نحن مخلوقات اجتماعية، لكن لكل منا اهتمامات اجتماعية مختلفة. من حقّك على نفسك أن تستكشف الأساس. هل هو معجب بالألعاب الرياضية؟ كم عدد السّاعات التي يقضيها كل أسبوع أمام التلفزيون؟ (لا تظنّي أنه سيتغيّر بعد الزّواج.) ما اهتماماتك الموسيقية؟ ماذا عن الأوبرا، الباليه، والحفلات الموسيقية الكرازية؟ أي نوع من النشاطات الترفيهية تتمتّعين به؟ هل سمعت قط عن «أرامل الجولف» (من ترمّلن في حياة أزواجهنّ بسبب تهافتهم على لعب الجولف)؟ هل تتمتّعان بالحفلات؟ وما نوع تلك الحفلات؟ هذه أسئلة لا يسعنا إلاّ أن نرد عليها.

نسأل: «هل يجب أن يكون لنا نفس الاهتمامات الاجتماعية؟» لا، لكن يجب أن يكون لنا أساس مشترك. هل تشتركان فيما يكفي لبدء النمو معاً؟ مثل هذا النّمو الاجتماعي يجب أن يبدأ قبل الزّواج. إذا لم يحدث ذلك، فمن غير المحتمل أن يبدأ بعدئذٍ. وسّع نفسك. اذهب إلى الأشياء الذي لم تتعلّم أن تتمتّع بها من قبل. انظر إذا كان يمكنكما أن تتعلّما الاستمتاع بنفس الأشياء. إذا وجدتما أنكما تزحفان في اتجاهين مختلفين اجتماعياً، تذكّرا أنّ هدف الزّواج هو الوحدة. اسألي نفسك: «إذا لم يغيّر اهتماماته الاجتماعية أبداً، هل سأكون سعيدة بالحياة معه بقية حياتي؟»

ثم ماذا عن شخصيتك؟ هل يمكن أن تكتب فقرة وصفية حول نوعية شخصيتك؟ فلماذا إذن لا تفعل ذلك وتجعل رفيقك المتوقّع يفعل نفس الشيء؟ ليطّلع كل منكما على ما كتبه الآخر ثم ناقشا آراءكما عن نفسيكما بالمقارنة مع كيف تظهرون للآخرين.

يقولون إن «الأقطاب المتضادة تتجاذب». نعم، لكنها لا تنسجم دائماً مع بعضها البعض. هل يفهم كل منكما الآخر بما

فيه الكفاية لتعتقدا أنه يمكنكما العمل معاً كفريق؟ بالتأكيد يمكن أن تتمّم شخصيتك شخصيته، لكن هل يريد أحداً يتمّمه؟

ما الصِّدامات التي قد صادفتكما في أثناء المواعدة؟ ما المجالاّت التي تريانها عرضة لخلق المشاكل عندما تفكّران في الحياة معاً؟ ناقشا هذه المجالات بصراحة. هل يمكن أن تحرزا تقدّماً في التّغلّب على هذه الصّعوبات قبل الزّواج؟ إذا لم تُحل المشكلة قبل الزّواج، فستتفاقم بعده.

هذا لا يعني أنّ تكون شخصيتكما متطابقة. يمكن لذلك أن يجعل الزّواج مُملاً. لكن يجب أن يكون هناك فهم أساسي لشخصية أحدكما الآخر وتصور لكيفية تعاملكما الواحد مع الآخر. أعجب من الثنائيات الذين يعانون من خلافات وعدم اتفاق قبل الزّواج بسبب تضارب الشّخصيات ويظنّون أن الزّواج سيمحو المشكلة.

الوحدة الرّوحية

الأسس الرّوحية هي أقلّ ما نفتّش عنه في كثير من الأحيان، حتى إذا كان الاثنان يحضران الكنيسة بانتظام. يجد العديد من الأزواج أن أعظم إحباط يعانون منه في الزّواج

يرجع إلى قلّة الوحدة في هذا المجال. قالت إحدى الزوجات: «نحن لا نصلّي معا البتّةً». وقالت سيدة أخرى: «الكنيسة هي مثل شيء فردي يقوم به كل واحد منا على حدة. مع أننا نجلس معاً، لا نناقش ما قد جرى». بدلا من الوحدانية، هناك انعزال متزايد، وهو عكس قصد الله للزّواج تماماً.

لا تتناول الكثير من المناقشات حول الدّين السابقة للزواج إلا حضور الكنيسة والأمور الخارجية الأخرى ، وتقصر عن التصدّي للقضايا الأساسية والأهم الخاصة بالله وعلاقتنا الشّخصية معه. كثيراً ما أسأل: «هل خطيبك مسيحي؟» فتكون الإجابة الطّبيعية: «آه، نعم، هو عضو في كنيسة القديس مرقس». أنا لا أتحدّث عن عضوية الكنيسة كمقابل لعدم العضوية في كنيسة. أنا أتحدّث عن أساس روحي للزّواج. هل تؤمن بوجود إله شخصي لانهائي؟ هل تعرف هذا الإله؟ أخبرني عنه. هذه الأسئلة تصيب المسألة في الصميم.

قد ناقشنا في مكان آخر استحالة اتحاد المسيحي بغير المسيحي. لكن دعونا نفترض أنّ كلا الطرفين مسيحي حقيقي،

أي أن كليهما يعترفان بيسوع المسيح مخلّصاً وقبلا عطية الغفران والحياة الأبدية. هل هذا كفاية؟

لنفترض أن الرّجل سلّم حياته للمسيح ويتبعه كربّ، ويحس بأن الله يقوده ليكون مرسلاً، لكن المرأة تحلم بشاليهات في الصّيف، سيارة كاديلاك، وفراء من جلد ثعلب المِنك. فهل يمتلكان أساساً كافياً للزّواج؟

هل قلباكما يدقان معاً روحياً؟ هل تشجّعان أحدكما الآخر على النّمو الرّوحي، أم أن الواحد يجذب الآخر بلطافة - لكن بإصرار - في الاتجاه المقابل؟ الأسس الروحية مهمة. بل هي أهم شيء. بدون إرشاد الخالق، نحن عاجزون عن بلوغ إمكانياتنا كمخلوقات متزوّجة.

الوحدة الجسدية

ماذا عن الأساس للوحدة الجسدية؟ عادة ليست هذه مشكلة. إنما البناء على ذلك الأساس يمكن أن يكون مشكلة، لكننا سنناقش ذلك في القسم الخاص بالنّمو في الزّواج. إذا كان كل منكما منجذباً جسدياً للآخر، فمن المحتمل أنكما تمتلكان الأساس للوحدة الجسدية. لكن هناك حقيقة شيّقة خاصة بالوحدة

الجنسية: أنها لا يمكن أن تنفصل عن الوحدة الرّوحية والعاطفية والاجتماعية. في الحقيقة، المشاكل التي تظهر في الجانب الجنسي من الزّواج يكون منشؤها دائماً واحداً من هذه المجالات الأخرى. إن عدم التوافق الجسدي غير موجود تقريباً. إنما تكمن المشكلة في المجالات الأخرى؛ ولا يتم التعبير عنها إلا في المجال الجنسي.

لكن هناك بضعة أشياء يجب أن تُعمل لكي نحدّد طبيعة الأساس في هذا المجال. من الضروري إجراء فحص جسدي شامل على كلا الطرفين. إذا كانت هناك مشاكل جسدية، فعادة ستُكتَشف هنا ويمكن تصحيحها في الغالب. إذا كانت هناك عاهات أو تشوهات جسدية لا يمكن ملاحظتها بسهولة، يجب أن تُناقَش مع رفيقك المتوقّع. إذا كان هذا الشّخص هو اختيار الله لك، فسيكون راغباً في قبولك كما أنت. لا يجب أبداً أن تبدأ الزّواج بالخداع في أي صورة.

عالجنا في الفصل الثاني مشكلة حدوث مواقف فشل أخلاقي في الماضي. الاقتراحات التي قدّمت في هذا الشأن مهمة للغاية لوضع أساس صحيح للوحدانية الجسدية. دعوني أرشّح مساعدة

عملية لما يمكن أن يكون أكبر مشكلة قد تواجه المسيحيين البالغين العزاب: مشكلة ضبطهم لرغباتهم الجنسية الطّبيعية المعطاة من الله.

يجب أن يُفهَم بوضوح أن الجنس كان فكرة الله. صنّاع السينما لم ينشئوه؛ إنما استغلّوه. صنعنا الله ذكوراً وإناثاً ثم رأى بعد ذلك أن كل ما صنعه «حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين ١: ٢٦-٣١). لذلك، فإن تلك الرغبات العاطفية الجسدية التي نشعر بها نحو أعضاء الجنس الآخر صحّية. فقط عندما نسيء استعمالها أو نفشل في اتباع «إرشادات المُنتِج» نقع في مشاكل. لابد أن يحدث إشباع تلك الرغبات في سياق الزّواج كتعبير عن حبّ كل منا للآخر. في ذلك تكمن المشكلة بالنسبة إلى البالغين العُزّاب. يزداد هذا الحافز الجنسي القوي في أواسط فترة المراهقة وأواخرها، لكن الوقت المناسب للزّواج في مجتمعنا عادة يتأخر بضع سنوات. فماذا يعمل الفرد في أثناء ذلك؟

عندما خلق الله الإنسان لم يطلب نصيحتي. لو كان سألني، لكنت اقترحت جدول مواعيد مختلف لنشاط الإنسان الجنسي. كنت سأنتظر حتى يبلغ الإنسان أربعة وعشرين عاماً، يحصل على ليسانس الآداب والماجستير، ثمّ كنت أثيره جنسياً، وأفتح

عينيه على «النّصف الآخر»، وأقدّم له حوّاء التي تخصه، مرفقاً هذا كله بموعد الزّفاف بعد ثلاثة شهور من تاريخه. يجب أن تعترف أنّ ذلك يبدو أسهل طريقة.

لكن الله لا يختار الطّريقة السّهلة دائماً. في الحقيقة، لا تتم العديد من الأشياء القيّمة بشكل سهل. قد سألت نفسي والآخرين مراراً: «لماذا تظن أن الله خلقنا بهذا التوقيت الجنسي؟» الجواب الوحيد الذي وجدته هو أنّه أراد أن يَبسِط لنا ثقته ويعلّمنا بهجة ضبط النفس.

في ذلك تكمن مساعدتنا الكبرى. إن رغبة الله تقضي بأن أسيطر على تلك الرغبات الجنسية، لا أن أنكرها. قد خطّط بوضوح أن يُدَّخر الإشباع الكامل لتلك الرغبات للزّواج، ولا يجب أن أهمل تلك القاعدة الإرشادية. مسؤوليتي، بمساعدة الروح القدس، أن أحترم تلك الرغبات باعتبارها صحّية لكن، في نفس الوقت، أتحكّم فيها بأسلوب مسؤول.

فكيف إذن أضع برنامج تحكم مسيحي في هذا المجال؟ من الوسائل التي قد تساعدك كتاب «ريك ستيدمان» *" Pure Joy: The Positive Side of Single Sexuality "* (انظر الملحق). يأخذ ستيدمان

منهجاً كتابياً في تناول موضـــوع النشـــاط الجنســـي ويعـــالج الاختلافات الجسدية بين الذّكور والإناث بشكل شامل. يتحـــدّث بواقعية عن الاستمناء (العادة السّرية) وإثارة الذات. يمكـــن أن يكون برنامجه العملي لضبط النفس من المســـاعدات الهائلـــة للبالغين العُزّاب.

إذ يتحرك الاثنان نحو الزّواج، يجب أن يوجدا وقتاً لإجراء برنامج تنشيطي عن الجانب الجسدي للـــزّواج. علـــى طـــول الطّريق، يلتقط معظمنا الكثير من المعلومات المضللـــة. قبـــل الزّواج، نحتاج إلى إعادة فحص صحة أفكارنا عـــن الجنـــس. نحتاج أن نفهم أجسامنا وكيف تعمل، وأيضاً الطّبيعة الجنســـية لرفقائنا.

لهذا الغرض، أوصي بكتاب إد وغاي هويت *"Intended for Pleasure"*، وهو عبارة عن مشورة جنسية حميمة من طبيـــب مسيحي وزوجته (انظر الملحق). هذا الكتاب يجب أن يقـــرأه كل خطيبين مقبلين على الزّواج ومرة ثانيـــة أثنـــاء الشّـــهور الأولى الثّلاثة من الزّواج. إنه مفيد بشدة أيضاً لأولئك الذين قد تزوّجوا منذ سنوات عديدة.

نحن نناقش أسس الوحدانية الزّوجية. إذا كان الجنس هدفك الوحيد، فإن الأمور التي سبق وناقشناها قد تكون غير مهمة نسبياً. وإذا أردت فقط واحدة تطبخ وجباتك أو واحداً يدفع الإيجار، إذن فكل ما تحتاج إليه هو شريك مستعد لذلك. لكن إذا كان هدفك هو وحدة الحياة كلها، فيجب أن تمتحن الأساس بدقة. قد أشار يسوع إلى حماقة بناء بيت على الرمل (متى ٢٤-٢٧).

«يسعى الله من خلال روح القدوس إلى تحقيق السعادة والرفاهية لنا على أفضل وجه. وهو نادراً ما يقوم بهذا بوساطة عمل خارق للطبيعة. إنما يسعى إلى أن يتغلغل في تفكيرنا حتى تصير قراراتنا طبق قراراته»[1].

مدلولات ذلك عند المتزوجين

يمكنني أن أسمع العديد من المتزوّجين الذين قد قرأوا الكتاب حتى هذه النقطة يقولون: «أنت متأخر جداً! أنا قد تزوّجت منذ زمان. لماذا لم تقدّم لي كل هذه الأفكار من عشرين سنة؟ قد أسأت الاختيار، وكُتِب عليَّ البؤس والشّقاء».

تمهّل قليلاً! سوف أصل إليك سريعاً. إن نصف هذا المجلد مكرّس لك ولصالحك.

لم ينقطع الرجاء بعد؛ المعجزات لا تزال تحدث. قد كتبت هذه الفصول للعزاب لأني أومن أن البالغين العزاب في حاجة ماسة إلى العلاج الوقائي, لكني أريد أن أذكّركم بأن المرض والموت غير مترادفين. قد يكون زواجك مريضاً، لكن الوقت مبكّراً جداً للاتصال بالمشرحة.

أتمنّى أنّ يكون هدف الزّواج واضحاً في أذهانكم: الوحدة على أعمق مستوى ممكن في كل مجالات الحياة. قد يكون هذا مجرد حلم بالنسبة إليك، لكن إذا كنت مستعداً أن تعمل على تحقيقه، فبالإمكان أن يصير حقيقة. هل تتخيّل كيف يكون الحال حين تبلغا درجة من الوحدة الفكرية؟ الوحدة الاجتماعية ؟ الوحدة الروحية؟ الوحدة الجسدية؟ لا تستسلم. قد تكون على أعتاب اكتشاف جديد.

لعلك تقول: «لكن شريك حياتي غير مهتم بالتعاون معي. لا أستطيع أن أنجز ذلك وحدي». نعم، لكنك تستطيع أن تنجز شيئاً ما وحدك. وهذا الشيء قد يستخدمه الله لإحداث تغيير في رفيقك. أعتقد أن المبدأ الذي سنناقشه في الفصل التالي هو أهم

مبدأ للسّعادة الزّوجية والصّحة الجيدة. فاقرأ بعناية، وفكّر بوضوح، ولا تنسَ الواجب في نهاية الفصل.

واجبات النّمو

للعُزّاب:

١. إذا كنت تفكّر في الزواج من الشّخص الذي تواعده الآن، فلتمضِ وقتاً في فحص أساس زواجك. على صفحة منفصلة، اصنع أربعة أعمدة متوازية بالعناوين التّالية:

فكرياً	روحياً	جسدياً	اجتماعياً

تحت كل عنوان من هذه العناوين، اذكر العوامل التي تشعر بأنك تشترك فيها مع رفيقك المتوقّع. في أي المجالات يكون الأساس أضعف ما يمكن؟ هل الأساس قوي بما فيه الكفاية لتحمل وزن الزّواج؟

٢. اقترح أن يصنع شريكك قائمة مشابهة ويجيب على نفس الأسئلة. استعمل هذا كمحفّز للمناقشة عن علاقتكما.

٣. لابد أن تساعدك الخطوات المذكور سابقاً في إعادة تقييم علاقتك. بعد تمييز مجالات الضّعف، ارجع واقرأ القسم الملائم له في هذا الفصل. يقدّم كل قسم اقتراحات عملية للنّمو. استقرّا على بعض الخطوات المحدّدة التي ستتخذانها لتثبيت أساسكما. اتّفقا على هذه الخطوات وقيّما نموكما في خلال شهر واحد.

٤. إذا لم يمكنك تحقيق نمو على مدى فترة زمنية طويلة، ربما يجب أن تعيد تقييم عزمك على الزّواج. إذا لم يمكنك أن تنمو في الوحدانية قبل الزّواج، فلا يحتمل أن الزّواج سينشئ النّمو.

للأزواج:

١. ألق نظرة جيدة على زواجك. يجب أن نتعرّف على الضعف قبل أن نبدأ في تحسينه. على صفحة منفصلة، اصنع أربعة أعمدة متوازية بالعناوين التّالية:

فكرياً روحياً جسدياً اجتماعياً

تحت كل عنوان من هذه العناوين، اذكر السمات المميزة التي تشعر بأنك تشترك فيها مع رفيقك. في أي المجالات يكون الأساس أضعف ما يمكن؟ ماذا يمكن أن تفعل لتحفّز النمو في هذا المجال؟ ماذا ستفعل؟

٢. اقترح أن يقرأ رفيقك الفصل، ويصنع قائمة مشابهة، ويجيب على الأسئلة السابقة. عندما يشعر كلاكما بشعور طيب وتكونان منفتحين للنمو، ليخبر أحدكما الآخر بالنتائج واتّفقا على العمل الذي سيزيد وحدانيتكما. ركزا على مجال واحد في المرة.

الجزء الثاني

النّمو في الزّواج



٤

" آه لو أن زوجتي تُصلِح من سلوكها! "

سألت: «ما المشكلة؟». أجاب: «إنه زواجي. يبدو أننا لا نستطيع الانسجام الواحد منا مع الآخر».

«ما هي المجالات التي تسبب المشكلة؟»

«أولاً، زوجتي تستمع لأمّها أكثر من اللازم. فهي سهلة الانقياد، وأمّها تحطّم زواجنا».

فاستفسرت: «هل هناك مجالات أخرى؟»

«نعم، زوجتي تظنّ أني أجد النقود في النهر. دخلي جيّد والحمد لله، لكنها تظنّ أن ما عندنا لا يكفي أبداً. قد أغرقتنا في

الديون إلى درجة لا أعلم إذا كنا سنخرج منها أم لا».

«إذن عندك مشكلة مع أمّها ومشكلة مع النقود. أي مجالات أخرى تسبب مشاكل؟»

«الكثير من الأشياء الصغيرة. إنها تثير ضجري إلى حد الانفجار. تظل «تَزِنّ على دماغي» حتى أعمل الشيء الذي تريده. عندما أرجع إلى البيت من العمل، تتصرّف وكأنني عبدها. ولا يرضيها شيء على الإطلاق».

بعد الاستماع لعدة مجالات أخرى من الشّكوى عن زوجته، سألته: «هل عندك أي فكرة كيف ستحلّ هذه المشاكل؟»

أجاب: «في الحقيقة لا أعرف كيف. ويا ليتني أعرف. آه لو فَهِمَت أنّي أنا أيضاً بشر عندي احتياجات، لكنها لا تحسب حسابي على الإطلاق». ثمّ نظر إليّ وقال: «ألا يمكن أن يفهّمها أحد ذلك؟».

هل يبدو ذلك مألوفاً؟ أحياناً الزّوجة هي التي تُدلي بانتقادات مشابهة عن الزّوج، لكن النّموذج واحد. فنسكب مشاعرنا ضدّ رفقائنا. ونَصِفُ مشاكلنا على أنها بسبب تقصيرات رفقائنا

وعيوبهم. ما نقوله حقاً هو: «مشكلتي هي زوجتي/زوجي. انظر، أنا بطبيعتي شخص لطيف، لكن شريكي أتعسني».

كثيراً ما أعطي أوراق وأقلام رصاص للزوجين، ضمن إجراءات المشورة، وأطلب منهما أن يكتبا لي الأشياء التي يكرهانها في شريكهما. يجب أن تلقوا نظرة على هذه القوائم. فالبعض منهم يطلب ورقاً إضافياً. يكتبون بهمة ونشاط وحرية. ثمّ، بعد ذلك بقليل، أطلب منهما أن يعدّدوا لي مواطن ضعفهما الخاصة التي يشعران بها. عادةً أجد ردودهم مسلّية. فهم يستطيعون أن يفكّروا في ضعف واحد على الفور، ويكتبون ذلك الضعف. ثمّ يعصرون أذهانهم حقاً لإيجاد موطن ثانٍ للضعف. وبعضهم لا يجدونه البتة. ألا يُدهشكم ذلك؟ ليس بي إلا عيب واحد (أو على الأغلب ثلاثة أو أربعة)، لكن رفيقي به عشرات العيوب.

انظر الخشبة

لسان حالنا: «لو أن شريكي يُصلح من حاله، لأصبح زواجنا سعيداً». فنتشكّى ونناقر ونبكي وننسحب ونيأس .. لكن بلا جدوى.

شريكي لا يتغيّر، ولذلك كُتِب عليَّ التعاسة. لا تصدّق هذا الخداع! يمكن أن يتحسّن زواجك، ويمكن أن يبدأ التحسن اليوم، بغض النظر عن موقف شريكك.

هناك إستراتيجية للتّحسّن، قالها يسوع وسجّلها متى في إنجيله الإصحاح ٧: ١-٥. في الاقتباس التّالي، استبدلت كلمة " أخ" بكلمة " زوج" لكي نقدر أن نرى المبدأ عاملاً في الزّواج.

«لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ ... لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ **زوجك**، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ **لزوجك**: دَعْني أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَامُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ **زوجك**».

مهلاً عليّ ولا تسيئوا فهمي. أنا لا أدعو أي أحد للنفاق. هذا ليس إلاّ اقتباس لمبدإ نادى به يسوع. يقول يسوع إنّ الإنسان إذا حاول أن يحسّن زواجه بِحَثّ شريكه على التغيير (أي الاجتهاد في إزالة القذى من عينه)، فإن طاقاته تُنفَق في الاتجاه الخاطئ. ما يجب أن نبدأ به هو عيوبنا الخاصة (الخشبة أو اللّوح الذي في عين كلٍّ منا).

أنا لا ألمّح إلى أن الشّريك خالٍ من الضعفات أو العيوب. ما أقوله هو أن محاولة التعامل مع عيوب الزوج أو الزوجة ليس هو نقطة البدء. أول سؤال يجب أن يبدر لأي منّا حين نواجه عاصفة زوجية هو: «ماذا بي؟ ما هي عيوبي؟».

قد يبدو هذا المنهج غريباً عليكم، فعلى كل حالٍ شريكك يشكّل ٩٥ بالمائة من المشكلة. أليس كذلك؟ أنت لست كاملاً، لكن عيوبك أقل ما يمكن. بالتأكيد لا تزيد على ٥ بالمائة. دعنا نفترض أن هذا صحيح، مع أنّ النسب المئوية قد تتغيّر حين تبدأ التأمل في الموقف. حتى إذا كان دورك في المشكلة لا يشكّل سوى ٥ بالمائة، فإن مفتاح التّحسن في يدك أنت. قال يسوع: «أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ».

ما هي الخطوات الميكانيكية التي ينطوي عليها هذا العمل؟ كيف تتدبّر أمر انتزاع «لوح الخشب» من عينك؟ أقترح أن تنفرد بالله، ويا حبّذا لو كان ذلك في مكان يمكنك فيه أن تتحدّث بصوت مسموع. (إذا كنت تشعر بعداوة قوية نحو رفيقك حقاً، فقد تفضّل أن تصنع قائمة مكتوبة بعيوبها/عيوبه

مقدماً. لعل ذلك يساعدك في إفراغ العقل نفسياً، لكي تستطيع التعامل مع عيوبك الخاصة.)

والآن، بعدما انفردت بالله، اسأله ببساطة: «يا ربّ، ماذ بي؟ ما هي عيوبي؟ ما هي خطاياي؟ أنا أعلم أن رفيقي به الكثير من العيوب، ولقد دوّنتها بالفعل، لكن الآن ما أريد أن أعلمه هو: ما هي خطاياي؟» جهّز قلمك الرصاص وورقة، لأن هذه صلاة يستجيبها الله. ثم اصنع قائمة بخطاياك.

قد تجد خطية المرارة، التي يدينها الرسول في (أفسس ٤: ٣١): «لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ». من الجائز طبعاً أن يكون شريكك هو الذي أثار موقفك السّلبي، لكن أنت الذي سمحت بالمرارة أن تنمو. من الخطإ دائماً إضمار المرارة نحو واحد من مخلوقات الله.

وقد تجد خطية القسوة، التي تخالف الأمر الرسولي (أفسس ٤: ٣٢): «وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ». قد تقول لنفسك: «لكن رفيقي لم يُنهِض مشاعر الشفقة فيّ». نعم، لكن أنت الذي

تقرّر أن تكون رحيماً أو قاسياً. غياب الشّفقة خطأ دائماً بالنسبة إلى المؤمن المسيحي.

قد تكتشف نقص الحبّ نحو رفيقك. سنناقش هذا أيضاً في الفصل الخامس, لكن اسمحوا لي أن أقول هنا إنّ الحبّ كما يوصف في ١كورنثوس ١٣ هو عمل إيجابي أو موقف قلبي أكثر منه عاطفة تجيش في الصدر. «الْمَحَبَّةُ تَصْبِرُ طَوِيلاً؛ وَهِيَ لَطِيفَةٌ ... الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَتَكَبَّرُ. لاَ تَتَصَرَّفُ بِغَيْرِ لِيَاقَةٍ، وَلاَ تَسْعَى إِلَى مَصْلَحَتِهَا الْخَاصَّةِ. لاَ تُسْتَفَزُّ سَرِيعاً، وَلاَ تَنْسُبُ الشَّرَّ لأَحَدٍ» (ترجمة كتاب الحياة). عندما تفشل في أن تعبّر عن الحبّ لشريكك، تكون قد أخطأت.

ربما يذكّركم الروح القدس بالعديد من الخطايا. اكتبوها الواحدة بعد الأخرى حتى لا يتبقى منها في أذهانكم شيء بعد، ثمّ افتحوا الكتاب المقدس واقرأوا ١يوحنا ١: ٩ «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ». بتدوينك تلك القائمة تكون قد اعترفت بخطيتك فعلاً، لأنك اتفقت مع الله على أن هذه الأشياء أخطاء في حياتك.

لكـــن أقترح أن تراجع القائمة وتوافق ثانية مع الله أن هذه الأمـــور خطأ، وفي نفس الوقت تشكره على الصّليب وبالتالي على غفران خطيتك. بكلمات من عندك أنت تقول: «أيها الآب، هذا خطأ – خطأ للغاية. كيف يمكن أن أكون بهذه الدرجة من الحماقـــة؟ لكني أريد أن أشكرك على الصليب – أن المسيح قد دفـــع أجـــرة هذه الخطية، وصار لي الغفران. شكراً أيها الآب على الغفران».

أكمـــل القائمـــة تـــباعاً واقبل غفران الله على كل فشل في الماضـي. ربما تريد أن تمزّق قائمتك كرمز لغفران الله. الله لا يقصد لنا أن نعيش تحت العبء العاطفي لتقصيرات الماضي. لنا غفران عنده.

ضمير نقي

بعـــد قـــبول غفـــران الله، هـــناك خطوة ثانية نحو الزواج الناضج. يرفع بولس الرّسول الشعار التالي في أعمال ٢٤: ١٦ كمـــبدإ أساسي في حياته الخاصة: «لِذلِكَ أَنَا أَيْضًا أُدَرِّبُ نَفْسِي

لِيَكُونَ لِي دَائِمًا ضَمِيرٌ بِلاَ عَثْرَةٍ (أو نقي كما في كتاب الحياة) مِنْ نَحْوِ اللهِ وَالنَّاسِ».

أرى أنّ لنا في هذا التّصريح أهم مبدأ للصّحة النفسية، ولذلك فهو أهم مبدأ للصّحة الزّوجية. لا يقول بولس إنّه لم يرتكب أي خطإ، لكن بالأحرى إنه بعد ارتكابه أخطاءً، أفرغ ضميره أو نقّاه أولاً نحو الله ثمّ نحو الناس. ونحن نفرغ ضميرنا نحو الله عندما نعترف بخطيتنا. ونفرغ ضميرنا نحو أزواجنا عندما نذهب إليهم ونعترف بالفشل والتقصير.

«لكن ماذا إذا كان زوجي غير مستعد أن يغفر لي؟» تلك مشكلته وليست مشكلتك. مسؤوليتك أن تعترف بالخطأ الذي تحمله وتطلب الغفران. أما رد فعل زوجتك فهو ليس مسؤوليتك. قد عملتَ ما بوسعك أن تعمله بالتّعامل مع خطأك. لا يمكنك القول إنك عملت كل ما بوسعك أن تعمله حتى تتعامل مع غلطاتك الخاصة. إنك لا تستطيع أن تعترف بخطية زوجتك، لكن يمكنك أن تتعامل مع الـ٥ بالمائة الخاصة بك.

تستطيع أن تقول لزوجتك بكلماتك الخاصة، بعد إحدى الوجبات: «يا حبيبتي، [أو أي أسلوب نداء تفضّله]، قد تعامل

الله معي اليوم، وأنا أدرك الآن أني كنت مخطئاً في الكثير من الأشياء. وقد اعترفت بها لله وأريد أن أطلب مغفرتك. كنت أنانياً جداً حين طالبتك بأن ... ولم أكن رحيماً في ... أنا قد فشلت في تسديد احتياجاتك إلى ... وأنا أسألك: هل تغفرين لي؟» كن محدّداً مع زوجتك كما كنت مع الله. وامنحها أو امنحيه فرصة للردّ.

ماذا يحدث حين تفعل هذا؟ يحتمل أن يكون هذا فجر يوم جديد. من ناحية أخرى، قد تقول زوجتك: «أوه، نعم، قد سمعت هذا من قبل، ولا أصدّقه». ما ستفعله حينئذٍ سيحدّد ما إذا كنت تحتاج إلى جلسة اعتراف أخرى مع الله، أو إذا كنت ستستمرّ في تحسين زواجك. إذا انفجرت باكياً أو متوعّداً أو تطايرت الأطباق، فستحتاج أن تتراجع لتستغفر الله على فشلك مرة أخرى.

لماذا لا تردّ بالقول: «أستطيع أن أفهم مشاعرك. وأعلم جيداً بأنّي قد اعترفت من قبل، وأنّي قد فشلت مرات عديد في أن أصبح ما تريدينني أن أكون. لذلك أنا أفهم لماذا يصعب عليك أن تصدّقي أن الأمور ستختلف هذه المرة».

لا تقدّم أي وعود طائشة عن المستقبل. الآن أنت تتعامل مع الماضي. اختم اعترافك بعناق وقبلة. ابتسم حتى إذا دُفِعتَ جانباً.

لا تقلق بشأن رد فعل زوجك لاعترافك. لا تظنّ أنه يجب أن يخر على ركبتيه ويعترف بأخطائه هو أيضاً. ربما يحدث ذلك، وإذا حدث ذلك فما أعظمه! ستستمتعان بأمسية رقيقة. لكن ربما لا تستسلم المشاعر السلبية بسهولة. وتقف الكبرياء حاجزاً عند جميعنا. اترك وقتاً ليعمل الله في رفيقك. عندما تكون اعترفت بخطإك وأفرغت ضميرك نحو الله وشريكك، تكون قد عملت أعظم شيء يمكن أن تعمله لرفيقك. وقد لا يردّ بالمثل، لكنك قد سهّلت عليه كثيراً أن يعترف بخطإه.

لا يجمل بنا أن نتلاعب بعواطف الناس. كل شخص له إرادة حرّة. ونستطيع أن نختار أن نكون حاقدين، جارحين، أو مهينين، حتى ونحن في موقف الاعتراف. لكن زواجك سيكون أفضل حتى إذا لم يعترف شريكك بخطإه، لأنك الآن حرّ أن تنطلق للقيام بدورك الجديد كعامل إيجابي حفّاز في العلاقة. أنت حرّ الآن لتكون جزءاً من الحل بدلاً من كونك جزءاً من المشكلة.

العديــد مــن الأزواج في حالة جمود لأنهم قد سمحوا بقيام ســور بيــنهم. والأسوار دائما تُقام قالباً قالباً. فقد يفشل أحد الزوجين في مسألة معيّنة. يحتمل أن تكون مسألة صغيرة مثل عــدم إخــراج الــزبّالة أو كبيرة مثل عدم تسديد الاحتياجات الجنســية. وبــدلاً مــن التّعامل مع ذلك الفشل، نهمله. نتلمّس الأعــذار لأنفسنا، قائلين: «*ماذا يتوقّعه منـي علـى أي حال؟ أنا أقوم بواجبي! لماذا لا يفكّر هو فـي احتياجاتـي؟*»

لســبب من الأسباب، يهمل أحد الزوجين عيب الآخر مرة بعــد الأخــرى، حتى يرتفع حائط سميك عالٍ بين إنسانين بدأ علاقتهما بــ «الحب». يتباطأ التواصل بينهما حتى يتوقف، ولا يبقى شيء سوى الاستياء.

كيف يمكن تدمير مثل هذا الحائط؟ بهدم قوالب الطوب التي بنتها العيوب ومرات الفشل المتكرر. إذ نعترف بفشلنا وعيوبنا بأكبر قدر ممكن من التحديد، ندمّر المانع الذي يقف أمام النّمو. وبديهــي أن الجدران يجب أن تُهدَم من كلا الجانبين إذا أريد لــلعلاقة أن تصــبح مثالية، لكن إذا هدمت جانبك، تُسهّل على شريكك أن يبدأ الهدم من جانبه. إذا كنتما أنتما الاثنان مستعدين

لهدم الحائط الفاصل بينكما، فسيمكنكما أن تبنيا علاقة جميلة على الأنقاض.

وبمجرد تدمير الحائط بالاعتراف والغفران، يجب أن نمارس اعترافاً فورياً عن كل فشل لاحق. لا يجب أبداً أن نسمح للحائط أن ينتصب ثانية. يجب أن يصبح الاعتراف طريقة حياة.

منذ بضعة شهور مضت، في أثناء محاولة من تلك المحاولات الجنونية لتوصيل الأطفال للمدرسة في الوقت المناسب، قلت لزوجتي: «يا كارولين، أين حقيبتي؟»

فأجابت: «لا أعلم».

كرّرت سؤالي بصوت أعلى: «هيّا يا كارولين، أنا في عجلة من أمري. أين حقيبتي؟ قد وضعتها هنا في هذه الخزانة ليلة أمس، والآن لا أجدها. أين وضعتيها؟»

فأجابت بحرارة: «يا جاري، أنا لا أعلم أين حقيبتك».

كرّرنا نفس هذا الحوار مرّتين أو أكثر، إلاّ أن أصواتنا كانت ترتفع في كل مرة. حينئذٍ كان خُلُقي قد ضاق حقاً. كان

من الواضح أنها حرّكت حقيبتي من مكانها، لكن الأمر لم يشغل بالها بما يكفي لتفكّر أين وضعتها. في غضبي أسرعت بإخراج الأطفال من الباب وانطلقت بالسيارة صوب المدرسة. تحدّثت إليهم بلطف عن واجبهم الدراسي، لكن بعد إنزالهم، عدت إلى غضبي على كارولين بسبب وضعها حقيبتي في غير موضعها. قطعت الأميال التّسعة من مدرسة أطفالي إلى مكتبي أفكر: *كيف تزوّجت مثل هذه المرأة المهملة؟ حقيبتي مهمة. في الحقيقة، أنا لا أستطيع العمل بدونها. ماذا سأعمل اليوم؟*

أُجيب على ذلك السؤال في اللّحظة التي خطوت فيها داخل مكتبي. فهناك وجدت حقيبتي ملقاة حيث تركتها يوم أمس.

في تلك اللحظة، كان أمامي اختيار. كان يمكن أن أكنس المسألة تحت السجّادة، وأعد نفسي أن لا أخبرها أبداً بأني قد وجدت حقيبتي وأُمنّي نفسي أنّها لن تسأل. وأبرّر ردي عليها بسبب نقص النّوم والتمارين، إلخ. أو كان يمكن أن أمارس ما أعظ به وأنظر اللوح الخشبي، فأعترف بخطيتي، وأطلب الغفران.

لذلك استدرت إلى الله وقلت: «يا الله، كيف يمكن أن أكون أحمق إلى هذه الدرجة؟ اغفر لي الأساليب الشّنيعة التي عاملت بها كارولين- على نقص حبّي، كلمات الاتّهام والنقد القاسية، وعلى روح المرارة. شكرا لك، أيها الآب، على الصّليب. شكرا لك أنك دفعت العقوبة. شكرا لك على الغفران». فأفرغت ضميري من نحو الله.

جاء بعد ذلك المكالمة الهاتفية: «يا كارولين، أنا - - - وجدت حقيبتي».

فقالت: «نعم».

تابعت الحديث بتعثّر: «كانت هنا في المكتب. أنا حقاً متأسف على الطّريقة التي حدّثتك بها. كانت فظيعة، وكان الخطأ خطإي، وأريد أن أسأل: هل تغفرين لي؟»

هل تعلمون ماذا قالت؟ «كنت أخمّن أنك ستتصل!».

لماذا؟ لأننا قد ألزمنا أنفسنا بإبقاء الحائط منخفضاً. كانت تعلم أنّي لن أقضي وقتاً طويلاً دون حسم هذا التقصير. الحياة أقصر من أن نترك الجدران تعلو وتعلو. لماذا نضيّع الحياة؟ الحائط لن يُبنى إذا تعاملنا مع كل فشل أولاً بأول حال حدوثه.

خدمة الروح القدس

وهناك خطوة ثالثة يجب أن ترافق الاثنتين الأوليين. في الحقيقة، إذا لم نقبل هذه الخطوة الثالثة ونقر بها، فليس من المحتمل أن نأخذ الاثنتين الأوليين.

أنا أتحدث عن خدمة الروح القدس في حياة المسيحي. إن الروح القدس هو الذي يبكّتنا (يوبّخنا) عندما نخطئ (عبرانيين ١٢: ٥) ويحثّنا على الاعتراف. هو حقاً «الله معنا» ويسكن كل مؤمن (رومية ٨: ٩). وهو يُدعى المعزي الذي يثبت فينا الى الأبد (يوحنا ١٤: ١٦). كما يدعى أيضاً «روح الحق»، الذي مهمته أن يذكّرنا بالحق لكي نقدر أن نرتب حياتنا وفقاً لذلك (يوحنا ١٤: ١٧; ١٦: ١٣). يصير معلّمنا ويُحضِر إلى أذهاننا تعاليم يسوع (يوحنا ١٤: ٢٦). مهمته أن ينتج فينا الخصائص والصفات المميزة التي شوهدت في حياة يسوع ودعاها بولس «ثَمَرُ الرُّوحِ»، الذي هو «مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ» (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣).

لاحظوا أن هذه الصفات تدعى «ثَمَرُ الرُّوحِ» بدلا من ثمر المجهود الذّاتي. الحياة المسيحية ليست التزاماً بأن نحاول أن

نكون مثل يسوع. هي بالأحرى إخضاع حياتنا للروح القدس لكي يستطيع أن يعبّر فينا عن صفات يسوع.

نحن لا نقدر أن نجتهد بما فيه الكفاية لننتج السّلام. فالسّلام يأتي كناتج عرضي لإخضاع حياتنا بالكامل للروح القدس. ونفس الشيء يصدق على الفرح، الصبر، اللطف، الصلاح، وكل الصفات الأخرى سابقة الذكر. المفتاح إلى النّصرة المسيحية هو الاعتراف بسيطرة الروح القدس وقبولها.

ينصحنا الرسول بولس في أفسس ٥: ١٨ أن لا نسكر بالخمر لكن أن «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ»، أي نقتاد بالروح. أي أن لا نترك الخمر يتحكم فينا، لكن نعطي للروح القدس دفة القيادة. هذا أمر لازم لكل مسيحي. فكما يختار الشخص بمحض إرادته أن يضع نفسه تحت سيطرة الخمر، كذلك المسيحي يختار بمحض إرادته أن يضع نفسه تحت سيطرة الروح القدس.

ليس الامتلاء بالرّوح عبارة عن خبرات عاطفية غريبة، مع أنّه قد يكون لعواطفنا دخل في الأمر. إنما هو بالأحرى عمل إرادي نُخضِع به حياتنا لسيطرة الروح القدس. الروح ساكن في جميع المؤمنين المسيحيين بالفعل (رومية ٨: ٩)، لكن ليس

كل المسيحيين خاضعون لسيطرة الرّوح. هذا ما يحثّنا عليه الرسول في أفسس ٥: ١٨.

فكيف نمتلئ إذن بالروح القدس، أو ننقاد بالروح القدس فيسيطر هو علينا؟ بعد ما نعترف بخطايانا ونقبل غفران الله، نطلب منه أن يملأنا، أو يسيطر علينا، تماماً بروحه. أي أن نطلب من الروح القدس أن يعتلي عرش حياتنا. تلك هي الصلاة التي يستجيبها الله لأنه قد وعد: «إِنْ طَلَبْنَا شَيْئًا حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا» (يوحنا الأولى ٥: ١٤-١٥). نعلم أنه «حَسَبَ مَشِيئَتِهِ» أن يملأنا بروحه بسبب الأمر الوارد في (أفسس ٥: ١٨) «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ». لذلك، عندما نسأله أن يملأنا، أو يسيطر علينا، نعلم أنّه سيفعل.

نحن نقبل سيطرة الرّوح على حياتنا بالإيمان. ولا ننتظر ونلتمس خبرة عاطفية هائلة. بعدما نعترف بخطايانا ونطلب سيطرته علينا، نصدّق ببساطة أنه على عرش حياتنا، فننطلق خارج ذواتنا لعمل الأشياء التي يجب أن تُعمَل. إننا نعتمد على

الرّوح أن يؤيدنا بالقدرة التي نحتاج إليها للتعامل مع رفقائنا بما يعود عليهم بالفداء.

في العادة، يكون تسلسل الأحداث في تطبيق هذه المبادئ على الزّواج كالتالي:

١. أدرك أنّ زواجي ليس كما يجب أن يكون.

٢. أكف عن لوم رفيقي وأسأل الله أن يريني أين أخطات.

٣. أعترف بخطيتي وأقبل غفران الله، بحسب ١يوحنا ١: ٩.

٤. اسأله أن يملأني بروحه ويؤيدني بالقدرة على إجراء تغييرات بنّاءة في حياتي.

٥. أذهب – بقدرته – إلى رفيقي، معترفاً بفشلي وعجزي، وأطلب غفرانه.

٦. أستمرّ – بقدرته – في تغيير سلوكي وكلامي ومواقفي، بحسب المبادئ التي أكتشفها في الكتاب المقدس.

ولابد لمثل هذا العمل أن يحسّن الزّواج.

مساعدة رفيقك على إزالة الخشبة

لست أرغب أن أنقل الفكرة بأنك لا يجب أن تناقش عيوب رفيقك. دعوني أقدّم إيضاحاً شخصياً يدل على دور الاعتراف وعلاقته بمناقشة العيوب.

في يوم سبت بالصيف الماضي، كنا أنا وزوجتي نتناول الغداء مع أطفالنا، مستمتعين بجمال المنظر خارج نافذتنا. كانت الطّيور تغنّي، والزهور تتفتّح، وكانت قلوبنا مسرورة – حتى أعلنت زوجتي أنها ستأخذ ابننا إلى مركز التسوق وتبتاع له بعض الأحذية. وبعد هذا الإعلان بقليل غادرت المنزل. كانت صحون المتسخة لا تزال على السفرة.

ولكوني شخصاً ناضجاً بالطبع لم أقل أي شيء، لكن فيما هي تقود سيارتها مبتعدةً، تراجعت إلى الشّرفة الخلفية، واسترحت في كرسيَّ الهزاز، وشرعت أضرم نيران الغضب منها. وبمساعدة شخصيتي السّوداوية، فكّرت في كل الأفكار الكئيبة.

على كلٍّ هذا يوم عطلتي الوحيد. أنا أحاول دائماً أن أكون في البيت في أيام السبت. وهي لا تعمل خارج البيت. كان عندها الأسبوع بطوله لتذهب تتسوّق. لماذا انتظرت حتى يوم السبت؟ من الواضح أنها لا تحبّني وإلّا ما كانت تتركني وحدي. لا، في الواقع هي لم تتركني وحدي. لقد تركت بصحبتي كل تلك الصّحون الوسخة على المنضدة. إن أقلّ ما كان يمكن أن تعمله هو أن تنظّف المنضدة. أظن أنها تتوقّع مني أن أقوم انا بذلك. حسناً، سأريها. أنا لست خادمها.

ذهبت الأفكار من سيء إلى أسوأ، ونجحت في أن أصيب نفسي بالكآبة في حضور الطّيور المغرّدة والزهور المتفتّحة. ثمّ خطر ببالي بهدوء شديد - كما لو أن الله تردّد في أن يزعج كآبتي وبؤسي - عنوان محاضرتي «انظر الخشبة» وكلمات يسوع «أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ».

استدرت إلى الله وقلت: «آه يا ربّ، ما أحمقني! ما أغبلني! ماذا بي حتى أتكدّر من زوجتي إلى هذه الدرجة لمجرد أنها ذهبت إلى مركز التسوق؟» عاد الجواب بسرعة. أولاً، كنت أحكم على دوافع القرار الذي اتّخذته زوجتي، فقلت إنّها

غادرت البيت لأنه لا تحبّني أو تفكّر فيّ. أدان يسوع مثل هذا الحكم في متى ٧: ١٠(على فكرة، مثل هذا الحكم أحمق أيضاً، لأن أحداً لا يستطيع أن يعلم دوافع الآخر ما لم يختار ذلك الشّخص أن يكشفها له.) وثانياً، كان موقفي أنانياً جداً. بعدما اعترفت بهذا وقبلت غفران الله، أخضعت عرش حياتي للروح القدس واستطعت أن أغسل الصّحون بروح متفائلة وموقف إيجابي نحو زوجتي.

في ذلك المساء، بعد ما كان الأطفال قد آووا إلى فراشهم، أتيحت لي الفرصة لأحكي لزوجتي مشكلة بعد الظهر. قلت: «هل تعلمين، يا عزيزتي، أني خضت صراعاً حقيقياً بعد ظهر اليوم؟ كان الصراع مريراً، في الحقيقة، حتى أنني أخطأت واضطر الله أن يتعامل معي بشأنه. والآن، وقد اعترفت به، وقد غفر الله لي، أردت أن أطلعك على ما جرى».

كيف يمكن أن تقاوم؟ مضيت أخبرها بموقفي وأفكاري، وأني قد رأيت مدى خطإها. لم أكن بحاجة إلى الاعتراف لها لأنها حتى لم ترَني وأنا في حالة تلبّس بالفشل. قد كان اعترافي موجهاً إلى الله، لكني أخبرتها لأن هدفنا هو الوحدانية. لا

تــتحقق الوحدانيـــة إلاّ عـــندما نكون مستعدين أن نُعرِب عن التقصيرات وأيضاً النجاحات. عندما كشفت مشكلتي واعترافي لله، كـــانت زوجــتي مفتوحة جداً لمناقشة فعلتها، واتّفقنا على بعـــض القواعد العامة للمستقبل كان كلانا يقبلها. ألا ترى أن اعترافي قد مهّد الطّريق لمحادثة بنّاءة عن فعلتها؟

يجـــب التنويه بأنّ في هذا الإيضاح لم ترتكب زوجتي أي خطـــأ أدبي. فالتسوّق يوم السبت ليس خطية. إنما كنت أنا مَن قـــد أخطـــأ. عندما اعترفت بمشكلتي، بدلاً من إشارة أصابع الاتّهـــام نحوها، تحررت عاطفياً لتناقش فعلتها وتسألني: «ماذا يمكن أن أفعل لأساعدك على حل هذه المشكلة؟»

وكـــم كـــانت النّتائج ستختلف لو أني قرّرت أن أستمرّ في كآبـــتي وســـمحت للمرارة أن تنمو! عندما رجعتْ إلى البيت، كان يمكن أن أنهال عليها بالإدانة أو أعاملها المعاملة الصّامتة وأتـــركها تســـتجديني أن أكشف عن سبب عداوتي. وكان من الممكـــن أن أكنسها تحت السجادة فتصبح جزءاً من مجموعة نامية من المشاعر السّلبية نحوها. وما أحمقنا إذ نستجيب بمثل هذا الأسلوب.

حيـــنما تتعطّل العلاقة، يكون لكلا الطرفين يد في التّعطيل. قــد يحمـــل واحد المسؤولية أكثر من الآخر، لكن يمكن لأيٍّ منهما أن يتحرّك لإعادة بنائها. يجب أن يعالج كل منهما الخطأ الذيـــن ارتكـــباه، وذلك حقاً هو كل ما يمكن لأي منهما عمله. الاعتراف هو عمل شخصي. يجب أن يسمح كل منهما للآخر بحرية تقرير ما إذا كان سيعترف أو لا. وفي أثناء ذلك، يمكن أن نعترف نحن بفشلنا، ولعل هذا يكون الحافز على الاعتراف من ناحية رفيقنا.

الخلاصة

فـــي هـــذا الفصل، قد ناقشنا إستراتيجية للنمو في الزّواج. الخطوات المقترحة أعلاه قد غيّرت مسار العديد من الزّيجات وهدتهـــا في طريقها نحو النّمو. إن هذه المبادئ قابلة للتطبيق طالما عاش اثنان من الناس معاً.

بعـــد الاعتراف الرئيسي الأول، لن تحتاج أن تسجّل قائمة بعيوبك، لكن يجب أن تتعامل معها الواحد بعد الآخر تباعاً. في أي يـــوم تنتبه فيه للاحتكاك والعداءات، ونقص الوحدانية في

علاقتكما، يجب أن تكون الأسئلة الأولى: «يا ربّ، ماذا بي من عيب؟ لماذا أنزعجت هكذا من الأمر؟ ماذا فعلت أو تقاعست عن فعله فنتج عنه ذلك الفعل من جانب زوجتي؟ حتى إذا كانت هي المخطئة في فعلتها، فماذا عن موقفي؟ هل رد فعلي لذلك العمل صواب أم خطأ؟»

وحين تنظر موضع خطإك، اعترف به، واقبل غفران الله، واسأل روحه أن يسيطر عليك. الناس ليسوا سبب تعاستنا أو كآبتنا. إننا نحن الذين نختار أن نكون تعساء. قد تكون العاطفة المباشرة التي تتولّد بعد فعل شريكك تلقائية وخارجة عن سيطرتك، لكن ما تصنعه مع تلك العاطفة هو قرارك الشخصي. إذا كنت مستعداً أن تفتّش قلبك وتعترف بأي خطإ تكتشفه، فحينئذٍ - كشخص متحرّر - ستستطيع أن تبتهج بسلام داخلي، مع أنك قد لا تكون سعيداً بصفة خاصة بالموقف القائم. باعتبارك الطرف الذي له سلام مع نفسه، يزيد احتمال كونك عاملاً بنّاءً في العلاقة بدلاً من أن تكون الطرف الذي يعقّد المشكلة.

زواجك يمكن أن يتحسّن حتى إذا كان شريكك لا يتغيّر أبداً. يستطيع أحد الزوجين تغيير الزّواج نحو الأفضل حتى عندما لا يكون لدى الآخر رغبة للتّحسين. أنا لا أقول إنّك تستطيع أن تتمتع بزواج مثالي ومرضٍ تماماً في كل مجال. فذلك يتطلب عملاً من كلا الفردين تحت توجيه الله. لكن يمكن أن ترى نمواً جوهرياً في زواجك، لو كنت مستعداً أن تتغيّر.

إذا اتخذت خطوات عملية مثل التي اقترحناها في هذا الفصل، فستكون اتخذت أهم وأول خطوات إستراتيجية نحو زواج ناضج. فمن يدري ماذا سيصنعه الله مع رفيقك إذا خدمته كمساعد لا كمعوّق؟

واجبات النّمو

للأزواج:

١. اصنع قائمة بضعفات شريكك. أين موطن فشله/فشلها؟ (سنتحدّث فيما بعد عن كيفية استعمال هذه القائمة. أما الآن، فاكتفِ بصنع القائمة لكي تستطيع أن تحرّر فكرك لتنظر الى احتياجاتك الخاصة.)

٢. اقرأ ما يلي في كتابك المقدس: متى ٧: ١-٥؛ الأعمال ٢٤: ١٦؛ ١يوحنا ١: ٩.

٣. اصنع قائمة بخطاياك واعترف بها لله بالأسلوب الموصوف في هذا الفصل.

٤. اطلب سيطرة الروح القدس على حياتك واقبلْها بالإيمان.

٥. باعتبارك شخصاً غفر الله له وسيطر عليه بالرّوح، اكشف عن عيوبك لرفيقك واطلب منه/منها مسامحتك عليها.

٦. كلما كان موقفك الذهني أو أفعالك العملية خاطئة، احكم عليها فوراً واختبر الغفران. اضبط نفسك لتعيش بضمير نقي نحو الله وشريكك.

٧. الحياة أقصر جداً من أن نقضيها في خلاف مع أي واحد. أنت تستحقّ حرية الضمير النقي. الاعتراف بالخطإ وطلب الغفران هو السبيل إلى التّحرير. فلماذا الانتظار؟

***للعُزّاب*:**

١. يسري مبدأ الضمير النقي قبل الزّواج وكذلك بعده. امتحن مواقفك الذهنية وأفعالك الخاصة. ما الذي تحتاج أن تعترف به لله؟ لشريك مواعدتك؟؟ افعل ذلك الآن.

٢. هل حياتك خاضعة لسيطرة الروح القدس؟ هو حليفك الأعظم. لماذا لا تقبل سيطرته الآن؟

٣. ربما كان هناك آخرون في حياتك (آباء، أرباب أعمال، شركاء في السكن، الخ...) تضمر نحوهم مواقف استياء أو مرارة أو عبّرت لهم عن كلمات أو أفعال قاسية. لا تعالج التقصيرات باهمالها لكن بالاعتراف بها، أولاً لله وبعد ذلك للشّخص المعني. تحرّك لتحرّر ضميرك من فشل الماضي.

٤. ناقش هذا المبدأ مع شريك مواعدتك؟؟. هل يمكن أن توافقا على قبول هذا النموذج من الاعتراف كمبدأ مدى الحياة؟

٥. إذا تعاملنا مع تقصيراتنا بالاعتراف بها، يمكن أن يصير طريقاً للوصول إلى النّمو. أما إذا كنسنا تقصيراتنا تحت السجادة، فستصبح تلالاً من الضيق تجعلنا نتعثّر في طريقنا. هل غرفة جلوسك بحاجة إلى كنسها وتنظيفها؟

٥

"أنا لم أعُد أحبّها"

قد تحدّثنا عن دور الحبّ في مناقشة سابقة عن المواعدة والعلاقات السابقة للزواج. أما الآن فنريد أن ننظر إلى دور الحبّ في سياق الزّواج. على مدى بضع سنوات مضت دأبت على سؤال عدة مجموعات من الحلقات الدراسية عن تعريف الحبّ. فجاءت تلك التعريفات متباينة بشدّة. بعضها أكّد بشدة على الجانب الجسدي العاطفي للحبّ، في حين أكّدت تعريفات أخرى على طبيعة الحبّ المعطاءة المضحية بالذّات. أما ما أفضّله من كل تلك التعريفات فهو: «LOVE (أي الحبّ) كلمة من أربعة أحرف، اثنان منها ساكنان L و V ؛ واثنان متحركان، O و E ، واثنان مغفلان ، أنت وأنا».

بدون محاولة تعريف الحبّ أبعد من ذلك في هذه النّقطة، أريد أن أشير إلى قولين غريبين جداً في الكتاب المقدس. في أفسس ٥: ٢٥, ينصح الرسول الأزواج: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ» وفي تيطوس ٤: ٣-٤ ينصح النّساء المسنات أن يكُنَّ: «مُعَلِّمَاتٍ الصَّلاَحَ، لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ». دعوني أذكّركم بأن الصيغة النحوية في أفسس ٥: ٢٥ هي نفسها المستخدمة في الآية ١٨ حيث نقرأ: «بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ». إنها صيغة أمر.

لماذا يجب على الرجل أن يؤمر بأن يحبّ زوجته ويجب على الزوجة أن تتعلّم أن تحبّ زوجها؟ أليس ذلك سبب الزّواج وهدفه الأول؟ أليس هذا سبب زواجكما بالدرجة الأولى؟ ذلك ما يقوله لي غالبية الأزواج عندما يأتون للحديث عن الزواج. لماذا إذن بعد الزّواج نؤمر بأن نحبّ أزواجنا؟

هل يا تُرى ما كنا ندعوه حبّاً ليس حبّاً على الإطلاق؟ هل يمكن أن يأتي الحبّ عقب الزّفاف بالنسبة إلى أكثر الأزواج، هذا إن تحقق أصلاً؟ أجرِ دراستك الميدانية الخاصة بين الأزواج. طمئنهم بأنك لن تبوح بأسمائهم واطلب منهم أن

يقيّموا أنفسهم على خط أعداد يتراوح من عشرة إلى واحد بخصوص دافعهم الخاص للزواج. أخبرهم أنك تريدهم أن يكونوا صادقين بقدر الإمكان.

على خط الإعداد، اجعل رقم واحد يمثّل المصلحة الشخصيّة ورقم عشرة يمثّل رفاهية الزّوج الآخر. ماذا حقا كان دافعهم للزّواج؟ أبلغني بنتيجة بحثك. أتوقّع أنّك ستجد، كما قد وجدت أنا من قبلك، أن قليلين سيقيّمون أنفسهم أعلى من رقم خمسة. إذا كنا صادقين، فمعظمنا يفكّر فيما سننتفع به من العلاقة – كم سيكون العائد رائعاً علينا. والآن أطرح هذا السّؤال: هل ذلك حبّ؟

دعنا ننظر إلى ١كورنثوس ١٣: ٤–٨ بحثاً عن أفضل وصف (لا تعريف) وجدته للحبّ. اقرأ المقطع ببطء في ترجمة حديثة، متفكّراً في مدلوله في الزّواج. يحب معظم الناس أن يشعروا بتدفق هذه الكلمات وشاعريتها لكنهم يعجزون عن النظر في مدلولها العملي.

«الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ

السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا».

هذا المقطع أقوى جداً من أن يُهضَم في جلسة واحدة، لذلك دعونا نأخذ قليلاً من الأفكار الرّئيسية. الحبّ يصبر ويرحم، لا يصر على أسلوبه الخاص؛ إنه لا يدّعي العلم بكل شيء، لكنه متفاهم، بطيء الاستياء؛ مهذّب؛ ويظهر موقفاً إيجابياً في مواجهة المشاكل. كل هذه الصفات المميزة للحبّ تتجه نحو خير المحبوب ومصلحته.

وأطرح سؤالاً آخر: هل تتطلّب هذه الخصائص «شعوراً» دافئاً نحو المحبوب؟ لا تتسرع في الرد. كم من الدفء يجب أن تشعر لتكون رحيماً؟ فيما تقدّم أشرت إلى مشاعر «الإثارة»، وتلك الجاذبية العاطفية/الجسدية التي نشعر بها أحياناً نحو أعضاء الجنس الآخر. هل كان يجب أن تعترينا «الإثارة» لكي نكون مهذّبين؟ هل يمكن أن نكون صبورين نحو أزواجنا بدون شعور دافئ؟ كما ترون، إن نوع الحبّ الموصوف في

١كورنثوس ١٣ لا يؤكّد على العاطفة لكن على الاتجاه الذهني والعمل. والاتجاه الذهني والسّلوك ليسا خارج سيطرتنا.

يأتيني الأزواج غالباً وهم في وسط المتاعب الزّوجية. يكونون على شفا الانفصال، وعندما أسأل لماذا، يعلنون عن مواطن الخصام بينهما وينتهون بالقول الفاصل: «نحن لم نعد نحبّ بعضنا البعض». ومن المفروض أن ذلك يحسم الأمر. والطّلاق هو البديل الوحيد. فعلى أي حال لا يمكننا منع ما حدث. نحن ببساطة «فقدنا حبّنا». أو «قد أصبح الأمر خارج سيطرتنا». قال أحد الأزواج: «أتمنى لو استطعت أن أحبّها، لكن الأوان قد فات على ذلك. ما كُسِر لا يمكن إصلاحه».

هل تريد أن تعلم رأيي؟ أنا لا أصدّق ذلك. إذا أردت شخصاً يتعاطف مع ذلك الرأي، فلا تأتِ للتحدث معي. فإني أوقع بك أذى عظيماً إذا حملتك على تصديق أن سعادتك الزّوجية «خارجة عن سيطرتك».

دعني ألقي عليك الجزء الثاني من جملة أشرت إليها سابقاً. في أفسس ٥: ٢٥ قرأنا: «أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا». هل أنت جاهز

للسؤال؟ ماذا كان موقف الكنيسة عندما بذل المسيح نفسه من أجلها؟ هل كان مَن أحبّهم المسيح رحماء، مقدّرين للغير، وصبورين؟ بالعكس، إن أفضل رجل فيهم لعن وقال: «إِنِّي لاَ أَعْرِفُ الرَّجُلَ!» (متى ٢٦: ٧٤). تعلن رومية ٥: ٨ أن الله أظهر محبّته نحونا في أننا ونحن بعد قذرون، أنانيون، وكارهون، مات المسيح من أجلنا.

أحبّنا الله عندما كنّا غير محبوبين جداً. كذلك، يؤمر الزوج بأن يحبّ زوجته عندما تظهر نفس المواقف السّلبية. هل لأي منا زوجة تنطبق عليها هذه المواصفات؟ كما ترون، يستطيع أي رجل أن يحبّ امرأة تحبّه. أنت لست بحاجة إلى أن تؤمر بعمل ذلك. ذلك هو نوع الحبّ الذي عرفناه قبل أن تزوّجنا. كنت محبوباً لديها لأنها كانت محبوبة لديّ، لكن كيف أتجاوب الآن حين يكون شريك حياتي غير محبوب؟ هنا يتدخل الكتاب المقدس بنصيحة تساعدنا.

يأمرني الكتاب أن أحبّ زوجتي، ويأمرها هي أيضاً أن تحبّني، بغض النظر عن كيفية تجاوب أيٍّ منا. هذا هو نوع الحبّ الذي يُرجّح أنه سيولّد رد فعل إيجابياً من شريكي. أقصد

أنه إذا تجاوبت باللطف والتفاهم والصبر والكياسة، فأنا أسهّل عليها بقدر الإمكان أن تتجاوب بمثل ذلك.

إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّها يجب أن تردّ بالحبّ. فلها الحرية أن لا تحبّ. لهذا فإن النّجاح النّهائي للزواج لا يمكن أن يتم بأعمال طرف واحد فقط. يتطلب الأمر فردين متحابّين لبلوغ الشبع النهائي في العلاقة. لكن إذا اخترت أنا بمفردي أن أحبّ، فستتحسّن أشياء كثيرة. يمكن أن أحسّن زواجي دائماً، والحبّ هو سلاحي الأعظم.

سأكون غير عادل إذا لم أعبّر بوضوح عن شكوكي العميقة في قدرة الشخص على التعبير عن مثل هذا الحبّ والتضحية بالذّات بدون مساعدة الروح القدس. يقول الكتاب المقدس: «مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٥). إن القدرة على الردّ بمحبة تأتي من الله. عندي الفرصة أن أكون وسيط محبّة الله لزوجتي. لا أحد في الكون كله في موقع مني أفضل ليحبّ زوجتي. ولا يجب أن أخسر تلك الفرصة. إذا كنت مستعداً أن ألجأ إلى الله، معترفاً بنقص حبّي، نعم، حتى بمرارتي وكراهيتي، وأقبل غفرانه وأطلب منه

أن يحبّ زوجتي من خلالي، فسأقدر أن أصير حبيباً من الطراز الأول.

ما يحدث عادة هو هذا: تفعل زوجتي شيئاً أراه خاطئاً أو وهو الأسوأ تعجز عن عمل شيء أرى من الواجب أن تعمله. وفوراً، تصير عواطفي نحوها سلبية. قد تكون هذه العواطف السّلبية تلقائية وخارجة عن سيطرتي. لكن ما أفعله بهذه العواطف ليس خارجاً عن سيطرتي.

إذا انسقتُ وراء طبيعتي الفطرية، فسأعبّر عن تلك العواطف بكلمات جارحة أو بالتعامل الصّامت المؤلم، وكلاهما جدير بتحقيق التعاسة لكلٍّ منا. ستميل أفعالي السّلبية إلى إثارة ردود فعل سلبية منها.

لكن إذا اخترت أن لا أنساق وراء عواطفي السّلبية، فسأستطيع أن أكون وسيطاً للحبّ. أي أني سأستطيع أن أشكر الله على أني في قدرته لست مضطراً أن أكون سلبياً لمجرد أنّي أشعر بالسلبية؛ وهكذا يمكن أن أطلب منه القدرة على التعبير عن الحبّ وإدارة الموقف بكامله إلى الاتجاه المقابل.

على نقيض بعض التّصورات النّفسية الواسعة الانتشار، نحن لا نحتاج إلى التعبير عن كل عواطفنا السّلبية. بل من الضروري تجويع بعضها. فقط عندما أغذّي عواطفي السّلبية بالتّأمل والفعل أصبح مذنباً بارتكاب الخطأ. إنّ العالم يمتلئ بالأزواج الذين وصلت علاقتهم إلى مرحلة التحطّم لأنهم عبّروا عن كل عواطفهم السّلبية بعضهم نحو البعض. أنا لا أعني أن ننكر إضمارنا مثل هذه العواطف، لكن بالأحرى أن نعبّر عنها لله ونشكره على أننا غير مضطرين أن ننساق وراءها.

سيقول البعض: «حسناً. أنت توصيني بأن أحبّ رفيقي بغض النظر عن شعوري نحوه. أليس ذلك رياء؟»

لا، ليس هناك رياء في ذلك ما لم تدّعي أنك تشعر بشيء أنت لا تشعر به فعلاً. عندما تظهر لطفاً بتأدية عمل أو تقديم هدية تقدّر بها شخصاً آخر، فأنت غير مضطر أن تدّعي أي شعور عاطفي ودي. إنك ببساطة تمارس اللطف العملي. ربما لا تشعر بأي شيء، أو قد تكون مشاعرك حقاً سلبية. لكن على الأغلب في إظهارك الحبّ تتلقّى حبّاً من رفيقك، الذي يؤثّر

بدوره على عواطفك بأسلوب إيجابي. تهدأ المشـاعر السـلبية غالباً متى أُهمِلت ولم يُطلَق لها العنان.

كان يمكن تخليص آلاف الزّيجات إذا كان أحد الزوجين اكتشف مبدأ الحبّ كما قد ناقشناه. إذا نسيت كل شيء آخر تعلّمتـه فـي هـذا الكتـاب، فلتذكـر أن تحـبّ علـى طريقة كورنثوس الأولى ١٣. الحبّ هو أعظم الأشياء وهـو متوفر للجميع.

دعونا نفترض أنّك اخترت أن تحبّ. مع أنّ مشاعرك قـد تكون فاترة أو سلبية، إلاّ أنك تختار أن تكون قنـاة الله التـي توصل الحبّ إلى رفيقك. فكيف تعبّر عن مثل هذا الحبّ؟ هناك طريقتان أساسيتان: بالكلام وبالأعمال.

الحبّ بالكلام

في ١كورنثوس ٨: ١ نقرأ أن «الْمَحَبَّةَ تَبْنِي». كلمة «تبنـي» معناها تنشئ أو تشيّد بناءً. أما الصيغة الاسمية منـها فتعنـي «صرح» أو «بناء». لذلك فإن محبّتي لرفيقي تعني أن أبنيـه و أرفعه. ومن أشد الوسائل قوة في البناء كلمات التّقدير. اعـتر

على شيء، صغيراً كان أو عظيماً، تستحسنه في رفيقك وعبّر عن تقديرك نحوه.

تُروَى قصّة عن امرأة ذهبت إلى مستشار زواج طلباً للنّصيحة. قالت له: «أريد أن أطلّق زوجي وأريد أن ألحق به أشد أذى ممكن». فنصحها المستشار بالقول: «في تلك الحالة ابدئي بأن تمطريه بعبارات التّقدير والمديح. وعندما تصبحين لا غنى عنك بالنسبة إليه -عندما يظنّ أنك تحبّينه بتفانٍ- حينئذٍ ابدئي إجراءات الطّلاق. هذه هي أشد طريقة لإيذائه». بعد ذلك ببضعة شهور عادت الزّوجة لتقص على المستشار أنّها قد اتبعت الخطة المقترحة. فكانت الإجابة: «جيد. والآن حان الوقت لرفع قضية طلاق». فما كان من المرأة إلاّ أن قالت بشكل ساخط: «طلاق! أبدا! أنا قد وقعت في حبّه». لابد أنها استعادت «الإثارة» مرة ثانية!

تسأل الزّوجة: «كيف يمكن أن أمدحه وهو يعاملني مثل هذه المعاملة المشينة؟». فيجيب الكتاب المقدس: بمساعدة الروح القدس. أليست هذه نصيحة يسوع عندما قال في متى ٥: ٤٤ «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ،

وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ»؟ إذا أحببنا في مواجهة المعاملة السيئة، فقد ننقذ زواجنا من الخراب.

إذا أمكننا أن نتعلّم القدرة الهائلة للتّقدير والمديح، فقلما سنعود ثانية إلى الشّكوى. دعوني أقدم إيضاحاً.

تنظر الزّوجة من النّافذة وتلاحظ أنّ زوجها قد أوشك أن ينتهي من قصّ الحشائش في الحديقة. فتقرّر أن هذا الوقت المناسب للضرب. ثم تذهب إلى الخارج وتضع يديها حول فمها وتصيح بصوت أعلى من صوت قصّاصة الحشائش: «هل تظنّ أنك تستطيع الانتهاء من تنظيف المزاريب قبل العصر؟» تخيّلوا زوجها الذي قد قضى لتوّه ساعتين منهكتين يقصّ الحشائش، وكل ما تعرضه عليه هو شغلة أخرى. لا يمكنني تخمين ما سيقوله، لكن يمكنني أن أخبركم بما سيفكّر فيه: «أيتها المرأة، كفاك تنغيصاً!» شتّان بين هذا وبين شعوره إذا جاءته بكأس من اللّيمونادة ومدحت منظر الحديقة.

أنا لا أضمن أنّ زوجك سيتطوّع بتنظيف المزاريب، لكني أضمن أنّه سيتقبّل كلمات التّقدير بالبهجة. إن الزّوج يكون

مدفوعاً لتعهد المهام المنزلية أكثر بكثير عندما يكافأ بالمدح والتقدير.

بالطبع، يسري الشيء نفسه على الزّوج أيضاً. منذ زمن مضى، قالت لي سيدة في عمر الستين: «يخبرني زوجي كثيراً أني أبدو حسنة المنظر في فستان جديد ونحن نركب السّيارة». ثمّ أضافت: «أتَعلّم أن مثل هذا التقدير والإعزاز بين الحين والحين يرفع معنويات سيدة مسنّة مثلي». أما أنا فأضيف أنّ نفس الحقيقية تسري على الشابة أو السيدة التي في منتصف العمر.

أما الطّريقة الثانية للتعبير عن الحبّ من خلال الكلام فهي أن تتكلّم بالرفق. المحبّة ترفق (١كورنثوس ١٣: ٤). لابد أن يكون هذا مرتبطاً بالأسلوب الذي تتكلّم به. «اَلْجَوَابُ اللَّيِّنُ (أي الجواب الرفيق اللطيف) يَصْرِفُ الْغَضَبَ، وَالْكَلاَمُ الْمُوجِعُ يُهَيِّجُ السَّخَطَ» (أمثال ١٥: ١). لماذا تصيح حين تتحدّث إلى رفيقك؟ لماذا تتكلّم بقساوة ؟ لأنك تنساق وراء عواطفك السّلبية. يمكنك أن تتكلّم باللطف حتى وأنت تشعر بمشاعر سلبية إذا اخترت معونة الله .

لا عيب في الاعتراف بمشاعرك لرفيقك إذا تكلّمت باللطف. يقول الزّوج إلى زوجته: «يا عزيزتي، الآن أنا عندي مشاعر سلبية قوية نحوك، لكني أريد أن أقول هذا باللطف: هلاّ غسلتِ هذا القميص الذي بقي ملقىً هنا لمدة ثلاثة أسابيع؟ أنت زوجة عظيمة!» ليس من المؤذي أن تلقي بعبارة مجاملة مع طلبك اللطيف.

ثالث طريقة للتكلّم بالحبّ هي الاستعانة بصيغة الرجاء بدلا من الأمر. الحبّ لا يصر على تنفيذ رأيه (١كورنثوس ١٣: ٥). «ما رأيك في هذا؟» «ماذا عن ذلك؟» «هل هذا ممكن؟» «هل يمكن أن نفعل ذاك؟» تلك كلمات رجاء، بعكس أن تقول: «أريدك أن تنتهي من هذا اليوم، فلا تتأخري!»

هنالك طريقة أخرى للتعبير عن الحبّ من خلال كلمات القبول. طمئن رفيقك بأنه/أنها يمكن أن يعبّر عن أفكاره دون أن تقلّل من شأنه. تقول إحدى الزوجات: «أشعر بأنّك لا تحبّني مثلما كنت في الماضي». فيجيب الزّوج بطبيعة الحال: «كيف يمكن أن تقولي ذلك؟ ألا تتذكّرين المعطف الذي اشتريته لك من ثلاث سنوات مضت والمرة التي دعوتك فيها على العشاء

في الصيف الماضي؟» ماذا يفعل الزوج؟ هو يدينها على مشاعرها. أليس من الأفضل بكثير أن يقول: «كيف ذلك يا جميلتي؟ ما الذي أشعرك بذلك الشعور؟» امنحها فرصة للتعبير عن مشاعرها، وبعد ذلك اقبل كلماتها. ابحث عن طرق لمعالجة تلك المشاعر، بدلاً من إدانتها.

التّكلّم بالحبّ يعني أيضاً أن نضع كلامنا في زمن المضارع. الحبّ لا يحتفظ بسجل للأخطاء، لا يراجع الماضي مع كل أزمة جديدة. إذا كانت تقصيرات الماضي قد اعتُرِف بها، فلماذا تستحضرها ثانية؟ لا يتكلّم الحبّ إلاّ عن الحقائق الحاضرة ولا يسعى إلى الإدانة بالإشارة إلى كل تقصير في الماضي. بعض الأزواج يضرب كل منهما الآخر حتى الموت باتهامات بالفشل في الماضي. ولن يقود هذا إلى النمو الزّوجي.

الحبّ بالأعمال

يحذّرنا يوحنا أن نحبّ لا «بِالْكَلاَمِ [فقط] وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!» (يوحنا الأولى ٣: ١٨). لعل القول المأثور

القديم «الأفعال تتكلّم أعلى من الكلمات» يكون صادقاً. بالتـأكيد يجب أن نقرن كلماتنا المُحبّة بالأفعال المُحبّة.

الحبّ يصبر. لذلك إذا أردنا أن نعبّر عن الحبّ في سـلوكنا فيجب أن نتحلّى بالسلوك الصّبور. إنّ المعاني الضمنيـة هنـا هائلة. فهذا الأسلوب يستبعد مثلاً أن تذرع الحجرة جيئةً وذهاباً فيما تستعدّ زوجتك لمغادرة المكان لتنفيذ طلبـاتك. لمـاذا لا تجلس وتسترخي؟ سلوكك غير الصبور لا يزيد سرعتها، وإنما يهيّج روحك. أنت لست مضطراً إلى أن تكون ضيّق الخُلُـق. الاختيار متروك لك. فلماذا لا تحبّ؟

الحبّ يرفق ويرحم. أعمال الرحمة هي من أقوى أصـوات الحبّ. الإنسان لا يحده سوى خياله وإرادته. فـالزهور التـي تشتريها أو تقطفها من الحديقة تقول: «أحبّـك» لكـل زوجـة تقريباً، اللهم إذا كانت الزوجة حساسة ضد الزّهـور! وتلـك المكالمة الهاتفية في منتصف اليوم التي تقول: «أنت أعظم زوج في العالم» قد تحقق ذلك بالفعل. كذلك تناوُل العشاء معـاً فـي المطعم الخاصّ يقول: «لك مَعَزة خاصّة» للزوجة التـي تعـدّ الوجبات بشكل منتظم للعائلة.

منذ متى كتبت لرفيقك رسالة حبّ؟ سيقول أحد: «لا تتساخف؛ إني أراها كل يوم. فلماذا أكتب رسالة؟» لأنك ستقول بعض الأشياء في رسالة الحبّ التي لا تقولها في المحادثة اللّفظية. رسالة حبّ كل شهر تحفظ الزّواج حياً ونامياً. الرسالة هي عمل من أعمال اللطف والرحمة.

لماذا لا تحدد بعض الأهداف الجديدة لك في مجال اللطف؟ فكّر في شيء يمكنك أن تفعله يومياً للتعبير على حبّك إلى رفيقك. بعدما تكمل القيام بالعمل، قل باللسان: «أحبّك!» لا تكن مثل الرّجل الذي أخبرني: «أخبرت زوجتي أنني أحبها عندما سألتها أن تتزوّجني. إذا غيّرت رأيي، فسأخبرها بذلك». الحبّ ليس فعلاً يحدث مرة واحدة؛ إنه طريقة حياة.

الحبّ مهذّب. كلمة مهذّب تعني: «مؤدب، لطيف، مجامل، متحلّ بصفات راقية». هل نسيت الأشياء الصغيرة؟ هل تعامل الآخرين بالمجاملة أكثر مما تعامل رفيقك؟ ربما لا تريدك زوجتك أن تفتح باب السّيارة لها، لكن يجب أن تسألها قبل القفز إلى هذا الاستنتاج. إنه عمل صغير، لكن بالنسبة إلى بعض النّساء يضيف ذلك لمسة الكرامة التي يَحْتَجْنها.

دربّتني زوجتي جيّداً في هذا الفن. في بداية زواجنا رفضت ببساطة أن تخرج من السّيارة حتى أفتح الباب. ثم في صباح يوم أحد، بعدما دخلت إلى ردهة الكنيسة نظرت فإذ بها ما زالت في السّيارة لا تريد النزول!

الاتصال بها هاتفياً لتقول: «سوف أتأخّر» ليس أكثر مما تعمل مع أي شخص آخر حدّدت معه موعداً. لماذا لا تعامل رفيقك بنفس القدر من المجاملة والاحترام كما تعامل الآخرين؟ الحبّ مهذّب.

الحبّ غير أناني. يراعي الحبّ مصالح الشّخص المحبوب. إذا عاش الزوج حتى يساعد زوجته أن تبلغ كل إمكانيتها، وعاشت الزّوجة حتى تساعد زوجها أن يصل إلى كل إمكانيته، نكون قد اتبعنا المثال الكتابي.

ربما بدا نموذج الحبّ الذي ناقشناه خارقاً للطبيعة بالنسبة إليكم. إنه كذلك بالفعل! تقضي الطبيعة البشرية أن تحبّ أولئك الذين يحبّونك. أما يسوع فقال: «لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (متى ٥: ٤٦). أنت لست بحاجة إلى مساعدة الله لتحبّ زوجاً أو زوجة

تحبّك. ذلك طبيعي. لكن يسوع يدعونا أن «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ» (متى ٥: ٤٤).

بالتأكيد لا يمكن أن يكون رفيقك أسوأ من عدو. إذن فمسؤوليتك واضحة. يريد الله أن يعبر عن حبّه من خلالكم. فهل أنت تمنحه فرصة لإظهار قدرته على الحبّ؟ اترك عواطفك وشأنها؛ لا تُدِن نفسك بسبب مشاعرك السّلبية. إنما عبّر عن حبّ واضح بالكلمة والعمل بقدرة الروح القدس، وستجد عواطفك تلحق بك. فإذا بادلك رفيقك حبّك في حينه، فقد تعود «الإثارة». الحبّ ليس بعيداً عن متناولك إذا كنت مؤمناً مسيحياً.

تحدٍ نهائي أخير

أخيراً، يقول الوحي في ١ بطرس ٤: ٨ «الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا». إذا جاز لي أن أعيد صياغة الآية، فسأقول: «الحبّ يقبل العديد من النّقائص». الحبّ لا يطالب بالكمال من شريك الحياة. هناك بعض الأشياء التي إمّا أن رفيقك لا يستطيع أن يغيّرها أو لن يغيّرها. هذه ما أدعوها نقائص. وهذه

يجب ألاّ تكون أخلاقية في طبيعتها، إنما ببساطة أشياء لا تروق لك. اسمحوا لي أن أبيّن ذلك من زواجي الخاص.

كنّا قد تزوّجنا منذ بضع سنوات قبل أن أُدرِك أنّ زوجتي كانت «فتّاحة أدراج»، لكنها لم تكن «مغلاقة أدراج». أنا لا أعلم إذا كنت قد عميت عن تلك الحقيقة في أول ثلاث أو أربع سنوات، أو إذا كان هذا النموذج السلوكي استجد عليها، لكن على أية حال ملأني ذلك بغضب شديد.

ففعلت ما ظننته مناسباً لشخص «بالغ» أن يفعله: واجهتها باستيائي من المسألة وطلبت تغييراً. في الأسبوع القادم، لاحظت بعناية كل مرة دخلت شقتنا، لكن راعَني أني لم أجد ثمة تغيير.

في كل مرة رأيت درجاً مفتوحاً، كنت أغلي. وأحيانا أنفجر. كان تصرفي الأساسي يتأرجح بين أيام من الانفجار اللّفظي وأيام من الغليان في صمت، لكني كنت أشتاط غضباً طيلة الوقت.

وبعد شهرين، قرّرت أن أستعمل خبرتي التّربوية. أي أن أوفّر لها إيضاحاً بصرياً أثناء تلقينها الدرس. ذهبت إلى البيت

وأخرجت كل شيء من درج الحمّام الأعلى، ثم نزعت الدرج، وأريتها العجلة الصغيرة التي في أسفله وكيف تبيت في المجرى، ووضّحت كم هو من اختراع رائع. هذه المرة عرفت أنّها فهمت كيف يعمل الدرج ومدى جدّية الأمر بالنسبة إليّ.

في الأسبوع القادم، ترقبّت التّغيير بتلهّف. لكن لم يحدث تغيير! لبضعة أسابيع، كنت أحترق في داخلي كل مرة أرى فيها درجاً مفتوحاً.

ثمّ في أحد الأيام، رجعت إلى البيت ووجدت أنّ طفلتنا التي تبلغ من العمر ثمانية عشر شهراً قد سقطت وقُطعت زاوية عينها على حافة درج مفتوح. وكانت كارولن قد أخذتها إلى المستشفى. وهناك اجتازت محنة مشاهدة الجراح يخيّط ذلك الجرح المفتوح وهي لا تدري إذا كان سيترك أثراً مشوهاً أو يعوق رؤيتها فيما بعد.

أخبرتني القصّة بكاملها، وكنت أحاول احتواء عواطفي وأنا أستمع. كنت فخوراً بنفسي. لم أذكر الدرج المفتوح، لكن في الداخل كنت أقول: أراهن أنها ستغلق تلك الأدراج الآن! عرفت

أن هذه الحادثة سيكون لها تأثير حاسم. لابد أن تتغيّر الآن! لكنها لم تتغيّر!

بعد أسبوع أو أسبوعين آخرين، خطرت على ذهني فكرة: أنا لا أعتقد أنها ستتغيّر أبداً! جلست لكي أحلّل بدائلي. ثم كتبتها: (١) أستطيع أن أتركها! (٢) أستطيع أن أبتئس في كل مرة أرى فيها درجاً مفتوحاً من الآن حتى أموت أو حتى تموت هي، أو (٣) أستطيع أن أقبلها على أنها «فتّاحة أدراج» وأتولّى أنا مهمة إغلاق الإدراج.

فلما حلّلت هذه البدائل، استثنيت رقم واحد على الفور. ولما نظرت إلى رقم اثنين، أدركت أنه إذا ابتأست في كل مرة أرى فيها درجاً مفتوحاً من الآن حتى أموت، فسأقضي الكثير من حياتي في البؤس. فخلصت إلى أنّ أفضل بدائلي هو رقم ثلاثة: أن أقبل هذا كواحد من نقائصها.

اتخذت قراري وذهبت إلى البيت لأعلنه. قلت: «يا كارولن، أتعلمين مشكلتي مع إغلاق الأدراج؟»

أجابت: «يا جاري، أرجوك لا تذكر ذلك ثانية».

قلت: «لا، أنا عندي الحل. من الآن فصاعداً، أنت ليس مضطرة إلى القلق بشأن ذلك. ليس عليك أن تغلقي درجاً آخر أبداً. أنا سأتولّى مهمة عمل ذلك. مشكلتنا مع الأدراج قد انتهت!»

من ذلك اليوم فصاعداً لم تعد الأدراج المفتوحة تضايقني. فأنا لا أشعر الآن بأية عاطفة، أو أية عداوة، إنما أغلقها ببساطة. تلك مهمتي. وعندما أعود إلى البيت اللّيلة، أضمن أن الأدراج المفتوحة تنتظرني. فأغلقها، ويكون كل شيء على ما يرام.

ماذا أقترحه بهذا الإيضاح؟ أنك ستكتشف في الزّواج أشياء لا تروق لك في رفيقك. لعل هذا يكون طريقة تعليق الفُوَط، أو معجون الأسنان، أو تركيب ورّاقة المرحاض.

أول خطوة عملية يجب أن تتخذ هي طلب التغيير. (إذا أمكنك التغيير، فلِمَ لا؟ إنها مسألة صغيرة أن تجعل شريكك سعيداً.) لكن أستطيع أن أضمن أنه هناك بعض الأشياء التي إمّا أن رفيقك لا يستطيع أن يغيّرها أو لن يغيّرها. هذه هي

النّقطة التي عندها «يقبل الحبّ العديد من النّقائص». وأنت الذي تقرّر متى تأتي نقطة القبول تلك.

بعضكم قد خاض معارك متتالية لمدة عشرين سنة على أشياء بسيطة مثل ترك الأدراج مفتوحة. هل يمكن أن يكون هذا وقت إعلان وقف إطلاق النار وعمل قائمة بالأشياء التي ستقبلها على أنها نقائص؟ أنا لا أريد أن أثبّط عزيمتك، لكن رفيقك لن يكون كاملاً. هو أو هي لن تعمل كل شيء أنت ترغبه. إن بديلك الأفضل هو قبول الحبّ!

واجبات النمو

للأزواج:

١. بعدما اعترفت بفشلك وقبلت غفران الله، وبعدما طلبت من شريكك أن يغفر لك، اطلب من الله أن يجعلك وسيط محبّة لشريكك. اطلب منه أن يملأك بروحه وحبّه. (سيجيب الله هذه الصّلاة لأنه هو الذي أخبرنا أصلاً بأن هذه مشيئته، أفسس ٥: ١٨، ٢٥؛ تيطس ٢: ٣-٤).

٢. انسَ مشاعرك. لست مضطراً أن تشعر بأي شيء لتحبّ شريكك. المشاعر قد تتغيّر بسبب أفعالك، لكن لا يجب أن تحكم المشاعر على أفعالك. اختر أن تحبّ رفيقك، مهما كان شعورك.

٣. عبّر عن الحبّ لرفيقك بالكلمة أو الفعل مرة كل يوم لمدة الشّهر القادم. اقرأ ثانية جزئَي «الحبّ بالكلام» و«الحبّ بالأعمال». وعسى أن تبدأ بعبارة تقدير كل يوم لمدة الأسبوع القادم.

٤. لا تسمح لردّ فعل رفيقك بأن يخنق حبّك. لا شيء يفعله رفيقك يمكن أن يوقف حبّك طالما أنت تختار أن تحبّ. ولماذا تتوقف والحبّ هو سلاحك الأعظم للخير والنّمو؟

٥. فكّر في إمكانية قبول بعض النّقائص في رفيقك التي أغضبتك لسنوات عديدة. إذا قرّرت أن تقبلها، فاحرص على إخبار رفيقك بذلك. مثل هذا القبول يمكن أن يكون خطوة إيجابية في نموك العاطفي الخاص.

٦. قلة قليلة هي التي تقدر أن تقاوم الحبّ غير المشروط الصادق لمدة أطول من السنة. فلماذا لا تبدأ اليوم؟ اجعل هذه

أعظم سنة في زواجك. قد وجد الكثيرون أنه في أقل من شهر، ولّد الحبّ حبّاً، وأن زواجهم استدار دورة كاملة.

للعزاب:

١. حلّل الدّور الذي يلعبه الحبّ في علاقة مواعدتـــــك؟؟. على صفحة منفصلة، اكتب الكلمات التّالية في رأس الأعمـــدة بالتوازي:

*الصبر *اللطف* التهذيب *الرّوح الغفور *الموقف الإيجابي

تحت كل عمود اذكر الأدلة على وجود هذه الســـمات فـــي أفعالك الخاصة نحو شريكك. كن محدّداً. بأي طريقة أظـــهرت هذه السمات؟

٢. على صفحة منفصلة، اصنع نفس الشيء للشّخص الذي تواعده. ما الدّليل الذي تراه في أفعاله أو أفعالها على أنه/أنـــها تحبّك؟ إذا كان أو كانت تُحاكم أمام هيئة المحلَّفين، فهل سيكون هناك أدلة كافية لإقناع هيئة المحلفين بأنه/أنها تحبّك؟

٣. اقترح على شريكك أن يقرأ هذا الفصل ويقوم بعمـــــل نفس التحليل لحبّك. استعمل تحليلك كقاعدة لمزيد من المناقشــة في هذه المسألة. هل حبّك ينمو؟ ماذا يجعلك تعتقد أنه ســـينمو بعد الزّواج؟



٦

التّواصل في الزّواج

أن تتواصل أو أن لا تتواصل، ذلك هو السّؤال. وفي ذلك يكمن مفتاح النّجاح أو الفشل في تنمية الوحدانية في الزّواج. ينوّه «رايت نورمان» من واقع خبرة مستشاري العائلة، أنّ ٥٠ بالمائة من أولئك الأزواج الذين يأتون طلباً للمساعدة مشكلتهم الكبرى هي أن الزوج صموت مُقِل من الكلام[١]. ويتساءل المرء إذا كان عدم التّواصل هو أيضاً الحلقة المفقودة عند أولئك الأزواج التعساء الذين لا يختارون طلب المشورة. أنا لا أرغب أن أشير بإصبع الإدانة إلى الأزواج، ذلك لأن الزّوجات أيضاً يحتمل أن يكنَّ مذنبات بالانغلاق على أنفسهنَّ.

عندما نفشل في أن نتواصل ونتفاهم، نسدّ ينبوع الحياة ونميل إلى خلق بِركَة راكدة من الشفقة على الذّات. فنشعر بالوحدة لأننا وحيدون. نحن الذين أخرجنا رفيقنا من حياتنا

ورفضـــنا أن نشـــاركه الحياة. وقد نظل نعيش في نفس الدّار، لكنـــنا نعيش كإنسانين وحيدين بدلاً من أن نحيا كوحدة واحدة. هـــذا بالضبط عكس ما قد قصده الله. في البدء قال الله: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ [مقطوعاً]» (تكوين ٢: ١٨). قد وجد العديـــد من الأفراد أنفسهم «مقطوعين» في وسط الزّواج. لكن ليس جيداً أن يكون الإنسان وحيداً البتة.

على نقيض تلك المُثُل التي تناطح السحاب التي تبنّيناها قبل الـــزّواج، لا يحـــدث التّواصـــل مـــن تلقاء ذاته. ومن الناحية الأخرى، هو ليس بعيد المنال، كما استنتج بعض الأزواج. إذا أردنــــا أن نصـــير واحداً ونتمتّع بذلك التّدفق الدّافئ من الحياة الذي يشبع عمق أعماق البشر، يجب أن نتواصل. لا يمكن أن نعرف كل منّا الآخر ما لم نضع ثقتنا كل منا في الآخر. وضع بولس الرّسول إصبعه على هذه الحقيقة عندما خاطب الكنيسة فـــي كورنثوس: «لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ» (كورنثوس الأولى ٢: ١١).

تمامـــاً مثلما كنا سنجهل طبيعة الله إذا لم يختَر أن يتواصل

معنا ويعرّفنا بنفسه من خلال روحه، كذلك لا يمكننا أن نعرف أحدنا الآخر ما لم نختَر أن نتواصل. إن قولك «أنا أستطيع أن أقرأه ككتاب مفتوح» قد يصدق بعد خمسين سنة من التّواصل الصريح، لكنه لا يكون حقيقياً في السّنوات المبكّرة من الزّواج.

لا، زوجتك لا تستطيع أن تقرأ أفكارك، كما تعلم أنت تمام العلم. وإذا قُدِّر لها أن تعلم ما يجري في حياتك، فيجب أن تختار أن تخبرها. يجب أن تأذن لها بالدخول. وإذا قُدِّر لزوجك أن يعلم مخاوفك حياتك أو مباهجها، فيجب أن تأخذي المبادرة وتتواصلي.

التّواصل هو فعل إرادي. يتّضح هذا في ٢ كورنثوس ٦: ١١-١٣ حيث يقول بولس إلى أهل كورنثوس: «فتَحْنا لكُم قُلوبَنا...افتَحوا أنتُم أيضاً قُلوبَكُم لنا» (من الترجمة المشتركة). نحن نتواصل أو لا نتواصل بالفعل المتعمّد. نحن لا نقدر أن نقول – ونكون صادقين –: «أنا لا أتواصل مع شريكي بسبب شخصيتي. أنا شخص صموت بالطّبيعة؛ لذلك لا أستطيع أن أتواصل مع رفيقي».

صحيح أن بعضنا عند ما قد يدعى «شخصية البحر الميت»

الـــراكدة. أي أن نكوّن العديد من الأفكار والمشاعر والخبرات ولا نعـــبّر عنها لأي واحد، ومع ذلك نكون راضين ومقتنعين تمامـــاً. ليـــس عليـــنا أي إلزام للتحدّث. أما الآخرون فعندهم «شخصــــية الـــنهر الجـــاري» الثرثارة ؛ كل شيء يدخل العقل يخرج من الفم، وعادةً لا تتعدّى الفترة بين هذا وذاك أكثر من ســتين ثانيـــة. وغــني عن القول إن «شخصية البحر الميت» يصـــعب عــليها التعـــبير عن نفسها أكثر من شخصية «النهر الجاري». ومن ناحية أخرى، فإن «النهر الجاري» يواجه مشكلة صعبة على حد سواء في تعلم الإنصات.

كلٌّ من التحدّث والاستماع مطلوبان من أجل تحقيق تواصل فعّال. كل منّا يميل إلى واحد من هذين الطرفين المتناقضين في توجُّهـــه الشّخصــــي الأساســـي. لذلك، فكل منا عنده صعوبته الخاصـــة فــــي التّواصل، لكننا لا نزال نستطيع أن نتواصل. التّواصل هو أساساً فعل إرادي، ليس مسألة متعلّقة بالشّخصية.

قـــد تُكسبنا شخصياتنا أو تخسّرنا قدراً من التّواصل، لكنها عـــلى أي حال لا تفلسنا. إمّا أختار أن أشارك بقلبي، أو أختار أن أبقي الباب مغلقاً. ولا يمكن أن ألوم شخصيتي، أو رد فعل

رفيقي، أو أي شيء غير ذلك. إذا عشت لنفسي، فأنا أفعل ذلك عن اختيار وفي عصيان متعمّد لأمر الله بتحقيق الوحدانية بين الأزواج. لا يمكن أن يبلغ الزّواج غايته المثلى ما لم يختَر كلٌّ من الشّريكين أن يتواصلا.

مستويات التّواصل

هناك مستويات متعدّدة من التّواصل، كل منها مهم، لكن البعض أكثر صعوبة من غيرها. أقترح بأنّ تبدأ بالأسهل: التّواصل على مستوى الأحداث اليومية.

منذ وقت مضى أخبرتني امرأة بمشكلة. كان عمل زوجها يتطلّب منه قضاء ثلاثة أيام في البيت وبعد ذلك ثلاثة أيام خارج المدينة. وعندما كان يرجع بعد غياب ثلاثة أيام، كانت تسأل: «كيف سارت الأمور؟»

فكان يردّ: «لا بأس».

قالت: «غائب ثلاثة أيام وكل ما آخذه منه "لا بأس". هذا لا يفيدني كثيراً».

هل تفهم ما تقوله المرأة؟ هي منعزلة عن الأحداث التي

تجـــري في حياة زوجها بثلاثة أيام، وقول "لا بأس" لا يقصّر المســـافة. اســـمعوا رده الذي سيُعجَب به كل زوج: «أريد أن اترك عملي في العمل. لا أريد أن أحضره إلى البيت وأتذكّره مرة أخرى».

مـــع أنّ كل زوج يمكن أن يفهم ذلك الشّعور، هناك عامل مهـــم يُهمل: الوحدانية مع زوجته. ذلك الهدف يستحق الطّاقة المـــبذولة فـــي استعادة أحداث اليوم على زوجة التي تريد أن تشارك حياته.

اقتراحي للشّباب المتزوجين وللآخرين الذين عندهم مشاكل عـــلى هذا المستوى من التّواصل أن «تتقهقر إلى الخلف قليلاً» لبضـــعة أسابيع وَتروي التّفاصيل: «وطبعاً يا عزيزتي ركبت السيارة وسقت حتى إشارة التوقف، ثم استدرت لليسار، وتابع سيري. وعندما وصلت إلى المكتب، علّقت معطفي على الرّفّ بالباب الخلفي...». بالطبع، أنا أبالغ، لكنكم فهمتم ما أرمي إليه. احكِ بالتّفصيل الممل ما يجري في حياتك. بعد يومين من هذا، ستكون قادراً أن تذكر فقط الأحداث الأكثر أهمية في اليوم. ابدأ أن تعـــبّر عن الأ. داث وأيضاً عن مشاعرك. طور وستجلب

مثل هذه المشاركة إحساساً نضراً بالوحدانية إلى رفيقك. هو/هي ستبدأ تشعر بأنها جزء مما تعمله. مهنتك ليست مجرد وظيفة عليك أن تؤديها لكي «تعول المنزل»، لكنها جزء من حياتك. إذا أغفلتها ولم تطلع شريكة حياتك عليها، فإنك تكون أغفلت الكثير من حياتك فلم تتقاسمه معها.

كما لا يجب أن تشعر الزّوجة بأن مسؤوليتها أقل في مشاركة زوجها في حياتها. سواء كنتِ في البيت أو في العمل، فقد صرفتِ عدة ساعات بعيداً عن زوجك. وهو لا يستطيع أن يشاركك هذا الوقت ما لم تختاري أن تتواصلي.

من مفيد أيضاً لكل شريك أن يزور موقع عمل الآخر، إذا كان كلا الطرفين يعملان. «رُبَّ صورة واحدة تغني عن ألف كلمة». فبصورة بصرية للوضع الذي يعمل فيه الشخص، سيقدر الطرف الآخر أن يفهمك بصورة أفضل مما لو وصفت أحداث اليوم بنفسك.

ليعرف كل منكما الآخر على زملاء العمل القريبين، حتى عندما ترجع للبيت وتقول: «كانت حالة جورج النفسية سيئة اليوم»، يكون لدى رفيقك تصور ذهني لجورج وكيف يكون

عندما يتعكّر مزاجه. هذا أيضاً يدعّم فهم شريكك لمهنتك.

الأسئلة من شأنها أن تكون حافزاً هاماً لتنشيط مثل هذا التّواصل. إذا عاد الزّوج إلى البيت ولم تسأله الزّوجة: «كيف سارت الأمور؟» فربما هي توصّل له: «أنا لا أهتمّ بأمورك وكيف سارت». وإذا لم يستفسر الزوج عن الأحداث التي وقعت للزّوجة، فربما تشعر بالرفض والكراهية. يجب أن نقيّم التزامنا بالوحدانية. إذا أردنا الاستفادة بالزّواج أكثر ما يمكن، فيجب أن نختار أن نتواصل. إن طرح أسئلة عن الشؤون اليومية المعتادة هو أسهل وأفضل مكان للبدء.

المستوى الثاني من التّواصل هو مستوى حل المشاكل أو اتخاذ القرارات. ولأن فصل بأكمله مكرّس لمعالجة اتخاذ القرارات، فأنا لن أناقش هذا المستوى من التّواصل، فيما عدا القول بأن هذه غالباً أولى نقاط النّزاع في الزّواج.

كثيراً ما استشارني أزواج عندهم مشكلة في التّواصل. عندما كنت أسأل: «هل كان عندكم مشكلة في التواصل قبل الزّواج؟» كانوا يردّون: «أوه، لا. كنا نستطيع أن نتحدّث بانفتاح عن كل شيء».

فلماذا إذن صمت أفواه هؤلاء المتكلمين بانفتاح؟ قبل الزّواج، لم يتعيّن عليهم اتخاذ أي قرار. فكانوا يتناقشون بحرية في أي قضية وبعد ذلك كان يذهب كل منهما إلى البيت ويفعل ما يحلو له. أما الآن فهما معاً ويعملان على تحقيق الوحدة. لا يمكنهما بعد أن يتناقشا لمجرد النقاش. فعقب تلك المناقشة، يجب أن يتخذ قرار، قرار يؤثّر على الطرفين. ولأنهما لا يوافقان على ذلك القرار، يتوقّف التواصل، فتنشأ كل أنواع المشاكل.

إنّ المستوى الثالث من التّواصل هو التّواصل عندما يكون «الضّغط على أشُده». عندما ترتفع درجة الحرارة، ويتلاشى التفكير، وتعتلي العاطفة العرش، وتنتج الفوضى. كيف نمنع الفوضى ونجلب الوحدة إلى لحظات الضّغط تلك؟

في أحد أيام أغسطس الحارة منذ بضع سنوات، قمت بزيارة أنا وزوجة المستقبل إلى راعي الكنيسة الذي كان سيؤدّي مراسم زفافنا. تناولنا العشاء تحت شجرة بلّوط عتيقة، وقدّم لنا هذه النّصيحة، التي لم أنسها قط: «عندما تغضبا، تناوبا الحديث». ثم مضى يشرح أنه يجب أن آخذ من ثلاث إلى

خمس دقائق للتعبير عن آرائي في المسألة بينما تظل زوجتي صامتة (غير مسموح بالتدخّل). ثمّ يجب أن تحصل هي على ثلاث إلى خمس دقائق للتعبير عن فهمها الخاص للمسالة. يجب أن تستمرّ هذه العملية إلى أطول مدة ضرورية.

في ذلك اليوم الحار من شهر أغسطس، لم يدُر بخُلدي أنّي سأحتاج أبداً إلى استعمال مثل هذه الإستراتيجية مع الزوجة الكاملة التي وهبني الله إياها. لماذا يجب أن أغضب عليها إلى تلك الدرجة؟ وقد قُدِّر لذلك السّؤال أن يُجاب أسرع مما كنت أتوقع، وسرعان ما أصبحت خبيراً في «التّناوب». أنا نفسي اقترحت نفس الشّيء على مئات ممن يستعدون للزّواج. التّناوب لا يحلّ المشكلة، لكنه يهدّئ الحرارة حتى تتمكن من التوصّل إلى حل المشكلة. يروي رايت نورمان ما يلي عن حلّ المشاكل:

> هناك قصّة قديمة عن راعي أغنام في ولاية ويَومنج كان يلاحظ سلوك الحيوانات البرّية أثناء الشّتاء. مثلاً، كان قطيع من الذّئاب يجتاح الوادي ويهاجم قطعان الخيول البرّية. فما كان من الخيول إلاّ أن تشكّل دائرة بحيث كانت رؤوسها في مركز الدّائرة وترفس الذّئاب

إلى الخارج، فتبعدها. ثم رأى راعي الأغنام الذّئاب تهاجم فرقة من الحمير البريّة. أما تلك الحيوانات فشكّلت دائرة أيضاً، لكنها شكّلتها بحيث كانت رؤوسها إلى الخارج نحو الذّئاب. وعندما بدأت الرّفس رفس كل واحد منها الآخر. الناس مخيّرون بين أن يكونوا أذكياء مثل الحصان البريّ أو أغبياء مثل الحمار بريّ. يمكنهم أن يرفسوا المشكلة أو أن يرفس الواحد منهم الآخر[٢].

دعني أقترح إرشادات عامة أخرى عن التّناوب. عندما يتحدّث شريكك، يجب أن تستمع. من أعظم الاكتشافات في مسألة التواصل القدرة الهائلة للأذن الصاغية[٣]. معظمنا لم يبلغ أقصى إمكانيته كمستمع جيّد. قال يعقوب: " لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ" (يعقوب ١: ١٩). تقل قيمة التّحدّث ما لم يكن هناك مستمع. عندما يتحدّث شريكك، يكون دورك أن تستمع. لا تجلس هناك وتشحذ السكاكين. لا تقدر أن تركّز فيما تقوله إذا كنت تحشد قواتك الخاصة في شيء آخر. إن أفكارك ستعود إليك عندما يأتي دورك في الحديث. لا تقلق بشان أفكارك. إنما ركّز على أفكار رفيقك.

استمع إلى الحقائق والمشاعر التي تُعبّر عنها. في ضوء ما تقولـــه، حاول أن تفهم كيف أصبحت تشعر بذلك الشعور. فإذا أمكنك أن تفهم، فتصريح من هذا القبيل يمكن أن يكون له تأثير قـــوي شافٍ. «أنا أدرك كيف بدأتِ تشعرين بذلك الشعور؛ أنا حقا مقدر لمشاعرك. دعيني أشرح ما فعلته من وجهة نظري». ثـــمّ خـــذ دورك في عرض الأشياء من وجهة نظرك للموقف. عـــندما تكون حقاً مخطئاً، كن مستعداً أن تعترف بخطأك كما ناقشنا في الفصل الرابع. ليس هناك قيمة في التبرير.

اســـأل نفســـك: مـــا الاحتياجات التي عند شريكتي وأنا لا أســـددها لهـــا؟ يجوز أن شكواها تكمن في تأخّرك عن ميعاد العشـــاء لمدة ثلاث ليالي على التوالي، لكن يحتمل أنها تشعر بأنك لا تحبّها كما يجب. فعلى كلٍّ مَن يحبّ أن يراعي شعور محبوبته. جميعاً نحتاج إلى الحبّ. فإذا شعرت بأنها مكروهة، فهـــي في حُكم المكروهة فعلاً، بغض النظر عن موقفك منها. ماذا يمكن أن تفعل إزاء هذا الأمر؟ أنت عندك الإمكانية لتسديد احـــتياجات رفيقـــك. إذا اتّخـــذ هذا هدفاً لك، فستطبّق التّحذير الكتابي في فيلبي ٢: ٣-٤ «لاَ يَكُنْ بَيْنَكُمْ شَيْءٌ بِرُوحِ التَّحَزُّبِ وَالافْـــتِخَارِ الْبَاطِلِ، بَلْ بِالتَّوَاضُعِ لِيَعْتَبِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ غَيْرَهُ

أَفْضَلَ كَثِيراً مِنْ نَفْسِهِ، مُهْتَمّاً لاَ بِمَصْلَحَتِهِ الْخَاصَّةِ بَلْ بِمَصَالِحِ الآخَرِينَ أَيْضاً» (من ترجمة كتاب الحياة).

ينبغي دائماً أن تهدف المناقشات عن المشاعر المجروحة والسّلوك المخيّب للظن إلى تغيير في حياة كلا الشريكين. لكن يجب أن يفكّر كل منهما في حدود تغييره/تغييرها الخاص بها، لا في تغيير شريك الحياة. وإذا تحوّل شيء إلى مصدر إزعاج، فيجب أن يصير جسراً نحو الوحدانية، لا عقبة تحول دونها. إن الرغبة للتّغيير الذاتي أساسية تماماً للوحدانية النّامية. فلماذا يستمرّ كل منكما في هذا البؤس والتعاسة في حين تستطيعان أن تختارا موقف التفهّم والاستعداد للتغيّر؟

التّغلّب على موانع التّواصل

إنّ صورة الوحدانية الزّوجية صورة جميلة، لكن خلق مثل هذه الصّورة مسألة أخرى. إنها تتطلّب أعظم قدرات وطاقات لديك على الإبداع، لكنها تعود عليك بنفع عميم قلّما وُجِد مثله في الحياة. ولأن هناك موانع شائعة للتّواصل، أريد أن أقدّم اقتراحات عملية عساها تخاطب مشكلتك الخاصة.

" رفيقي لا يفتح فمه بحديث "

بدون شك، الشّكوى الأكثر شيوعاً التي أسمعها من الأزواج المنزعجين هي أنّ شريك الحياة يرفض أن يتحدّث. في أغلب الأوقـــات يكون الزّوج هو الطرف الصّامت. لكن من الظلم أن نقـــول بـــأن هذه صفة تميز الذّكور وحدهم. فالعديد من النّساء أيضاً تستكين نفوسهم إذا أسدلوا الستار على حياتهم الشخصية ولاذوا بالصمت. اسمحوا أن أقول أولاً إن هذا الميل إلى حفظ الأشـــياء داخـــل المـــرء لا يجب اعتباره اضطراباً ذهنياً. أنا أعـــرف أزواجـــاً أدركـــوا حقيقة تحفّظهم وميلهم إلى الصمت ففـــتحوا قلوبهم للجميع، ومن بينهم زوجاتهم، وغيرهم ممَّن قد سمحوا للمشكلة بأن تقود إلى الإحباط والحرمان الذّاتي. أفضى بهـــم اســـتنتاجهم إلى أنهم مصابين بمرض عقلي لا بُرء منه. والحل ليس كذلك.

جميعنا نتمتّع بمواطن قوة وضعف في شخصياتنا. ومع أنّنا لا نســـتطيع أن نصحّح الماضي، إلاّ أننا سادة المستقبل. فلأي ســـبب مـــن الأســـباب قد نكون بنينا – خلال فترة طفولتنا – شخصية انطوائية منعزلة إلى الداخل، لكن ذلك لا يعني أنّنا لا

نقدر أن نتعلّم فتح حياتنا واختبار بهجة الوحدة مع رفقائنا. أي نمط طوّرناه يمكننا أيضاً أن نغيّره. يجب أن نقرّر أن الوحدانية الزّوجية تستحق ألم التغيير. (وأنا أطمئنكم بأن الأمر كذلك بالفعل.)

إن أول خطوة نحو التّواصل هي مناقشة المشكلة مع شريكك. اجلس مع شريكك في وضع مريح، وقل بكلمات من عندك: «يا عزيزي، أنا أعلم أنّ وِحدتنا الزوجية ليست ما كما ينبغي أن تكون. وأعلم أيضاً أنّ واحدة من مشاكلنا الكبرى هي إحجامي على التحدّث معك. أنا أحتفظ بآرائي وأفكاري داخلي؛ ألاقي صعوبة حقيقية في قول ما أفكّر فيه أو أشعر به. أنا عالم بأن هذا يصعّب عليك الأمر لأنك لا تستطيعين قراءة أفكاري. أريد حقاً أن أنمو في هذا المجال، وأنا أطلب منك المساعدة. لست متيقناً مما يمكنك عمله لمساعدتي، لكن ربما كان عندك بعض الأفكار». امنح رفيقتك فرصة للردّ. فربما كان عندها بعض الأفكار.

استمرّ في إخبارها بعض الأشياء التي تعتقد أنها تصعّب عليك أن تنفتح وتصارحها. أخبرها أنه عندما تواصل طلبها

مـــنك بأن تتحدّث، فهي ببساطة تصعّب عليك أن تبدأ الحديث. (العديـــد من الزوجات لا يدركنَ هذا.) ربما تسأل أسئلة حول أمـــور محدّدة. كما قال أحد الأزواج: «أرجوك لا تتوقفي عن طـــرح الأسئلة لمجرد أني أعطي أجوبة قصيرة. أريد حقاً أن أقول المزيد، لكني لا أستطيع إخراج كل ما عندي في السّؤال الأول. داومي على طرح الأسئلة فأداوم على التحدّث».

ربما استطاع شريكك أن يساعدك بطلب النصيحة منك من وقـــت لآخـــر. معظمنا يتحدّث بسهولة أكثر إذا طلب منا أحد نصيحة محدّدة، خصوصاً إذا اعتقدنا أنّ الشّخص يريدها حقاً. ربمـــا إذا نمّت أيضاً بعض الاهتمام بمهنتك أو هواياتك، يكون عـــندكما شيء مشترك أخر يمكنكما التحدّث عنه. قد يعني هذا قـــراءة المجلات، مشاهدة برامج تلفزيونية معيّنة، أو الانضمام إلى دورة دراســـية مســـائية. إذا حسّنتما الوحدانية، تكونان قد استثمرتما الوقت والمال أحسن استثمار.

مـــنذ بضع سنوات روت زوجة هذه القصّة: «يعمل زوجي مهندســـاً كهـــربائياً. عندما يرجع إلى البيت يذهب إلى الطابق الأرضـــي حيـــث توجد ورشته الكهربائية ويعمل حتى أدعوه

لتـــناول العشـــاء. أثناء وجبتنا، لا يفعل شيئاً آخر تقريباً سوى قـــراءة الصّـــحيفة دائمـــاً. ونادراً جداً يقول أي شيء لي. بعد العشـــاء يرجع إلى الطابق السفلي حيث يبقى هناك حتى وقت النوم».

أمـــا يوم السبت فتجده في الورشة طول اليوم، ويقضي يوم الأحـــد في قراءة الجريدة ومشاهدة التّلفزيون. يمكن القول بأننا لا نتحدّث معاً تقريباً».

فسألتها: «وكم مضى من الوقت على هذا المنوال؟»

أجابت: «خمس سنوات».

قالت لي: «خمس سنوات من الصّمت!». قلت: «ماذا تعلمين عن علم الإلكترونيات؟»

«لا شيء على الإطلاق!»

فقـــلت: «عـــندي اقتراح: إن المعهد الفني المحلي يعلن عن دورة بعـــنوان "مقدمة في علم الإلكترونيات". أما اقتراحي فهو أن تســـجّلي اسمك في هذه الدورة في الفصل الدراسي القادم. من الواضح أن زوجك يهتمّ بعلم الإلكترونيات. وأنا أراهن أنه

إذا استطعت أن تسأليه سؤالاً عن علم الإلكترونيات، فسيتحدّث إليك. بخلاف ذلك، تجري الدورة في المساء حين يكون هو في الطابق السفلي. إنه حتى لن يفتقد غيابك!»

إذا كـــان هـــنالك شيء يعوق التّواصل، فلماذا لا تبوح به؟ ربمـــا كان ذلك شيئاً فعله أو فشل في عمله وأنت لم تنسي ذلك أو لم تغفريه له. إذا كان ذلك الأمر لا يزال في خاطرك، فمن الضـــروري أن تصـــارحي شريكك به لكي تتسنّى له فرصة تصحيحه. لا شيء يستحق أن تعيشي العمر كله في بؤس من أجله. يجب أن تكوني مستعدة للاعتراف والغفران.

وإذا كنت تلاقين صعوبة في الإعراب عن المشكلة، اكتبيها فـــي رســـالة واطلـــبي منه أن يقرأها في حضورك. ثمّ ناقشا المسألة. أحياناً تستطيعين أن تقولي كتابةً ما تلاقين صعوبة في العبير عنه بصوت عالٍ.

لكن ما لم تتواصلين فلن تكون لدى شريكك أدنى فكرة بأنك لا تـــزالين متضـــايقة مـــن الماضي. ينبغي أن تحطّمي موانع الماضـــي لكـــي تســـتطيعا بـــناء حياة جديدة معاً على أنقاض الماضي.

ربما استطاع شريكك، أيضاً، أن يساعد بامتحان فيض حديثه الخاص. لعله يكثر من الحديث فلا يتيح لكِ فرصة للكلام. يسأل العديد من الأزواج سؤالاً ويشرعون فوراً في الردّ عليه. من ثمّ يشعر الشّريك الآخر بعدم الحاجة إليه. لعل بعضكم يستفيد بشّدة من نصيحة يعقوب: «لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ» (يعقوب ١: ١٩). سمعتم قصّة الولد الصّغير الذي كان يكتب بحثاً بعنوان «تزيين الحدائق». طلب من أبيه المساعدة، قال أبوه: «اسأل أمّك». فأجاب الولد: «لا، أنا لا أريد معرفة كل هذا القدر عن الموضوع!».

وإذا كنت تعتقد أن مناقشة مجالات أخرى ستساعد على التّواصل، فليخبر أحدكما الآخر بذلك. إن التّواصل هو موضوع مناقشتكما على أي حال. أنت تعترف بما تواجهه من صعوبة وتبحث عن المساعدة، لذا فأي اقتراح يجب أخذه بعين الاعتبار. ربما احتياجاتك الجنسية لم تُسدَّد، فكوّنت موقفاً سلبياً جداً نحو رفيقك. لعلك لم تناقش ذلك، لكن يجوز أن يكون هذا هو المانع الحقيقي أمام تواصلك في المجالات الأخرى. هذا وقت ملائم للإفصاح عنه. لا يلحق الضرر من ذلك، وعسى

أن تكون فيه الإفادة.

دعوني أقترح، كخاتمة لهذه المحادثة عن مشاكلك في التّواصل، أن تتحدا في الصّلاة. قد يمكنك الصلاة بصوت عالٍ وقد لا يمكنك، لكن بالتأكيد يمكنك أن تصلّي في سرّك. فإذا كنت ستصلّي صلاة صامتة، لتوافقا على أن إمساك الأيادي وأنتما تصلّيان وعلى أن تقولا: «آمين» عندما تنهيان الصّلاة.

يمكن لمثل هذه المحادثة أن تكون بداية حياة جديدة كاملة لأي زوج. الشّريك الذي يحجم عن التّواصل يجب أن يكون هو البادئ بالجلسة. على أنّ الأفكار التي قدّمتها لن تفيد رفيقك حتى تتحقّق مثل هذه الجلسة. ومن جانبنا نستطيع عمل العديد من الأشياء لتسهيل مهمة التّواصل على رفقائنا.

طبيعي حادّ جداً

الغضب هو بالتأكيد مانع من موانع التّواصل. يصعب، ولكن لا يستحيل، أن تتواصل عندما تكون غضبان. إنما لا يجب النظر إلى القدرة على الغضب على أنها شرّ. فكما يقول الدكتور. جي إتش. جويت: «الحياة العاجزة عن

الغضب تفتقر إلى الطّاقة الضّرورية لكل إصلاح»[٤]. إن عاطفة الغضب ضدّ الظّلم وعدم الإنصاف هي التي تتسبّب في الإصلاح الاجتماعي. يسوع نفسه غضب في بضع مناسبات (مرقس ٣: ٥).

إلاّ أن أغلب غضبنا لا ينشأ عن الاهتمام بالبرّ، إنما ينشأ من قلب أناني. إما أن أحداً أثار غضبنا أو لم ننفّذ إرادتنا. مثل هذا الغضب يدينه الكتاب المقدس في أفسس ٤: ٣١. حتى الغضب البار قد يقود بسهولة إلى أفعال خاطئة. لذلك، يحذّرنا بولس الرسول في أفسس ٤: ٢٦ قائلاً: «اِغْضَبُوا وَلاَ تُخْطِئُوا». ينبغي ألاّ نسمح للغضب أن يسيطر علينا ويقودنا إلى الأفعال الخاطئة.

ولعل عاطفة الغضب خارجة عن سيطرتنا، لكن ما نأتيه من أفعال استجابةً للغضب ليست كذلك. نحن لدينا القدرة على السيطرة على الغضب بدلاً من أن يسيطر الغضب علينا. لا يمكن أن نتلمّس الأعذار للسلوك المتهوّر بالقول: «أنا حاد الطّباع». كلنا نصارع مع حدة الطباع، وكلنا مسؤولون عن معالجة هذه الطباع الحادة.

كيف إذن أسيطر على غضبي في إطار النّزاع الزّوجي؟ أقترح أسلوباً بسيطاً يقوم على الانسحاب من أجل التّقييم. عندما تشعر بالغضب يثور في داخلك (وكلّنا طبعاً ندرك ما يحدث لنا)، في تلك اللّحظة تحرك للسيطرة عليه. إن عبارة بسيطة مثل «يا عزيزتي، أنا أشعر بالغضب يتملّكني، ولا أريد أن أفقد أعصابي. وأنا أعلم أيضاً أنك لا تريدينني أن أغضب. لذلك، دعينا نوقف المناقشة حتى أتمكن من السيطرة على مشاعري». (أنا لا أقصد الامتناع عن الحديث لمدة أيام، لكن ربما لبضع دقائق أو على الأغلب بضع ساعات.) ولتلتفتوا إلى التّحذير الكتابي: «لاَ تَغْرُبِ الشَّمْسُ عَلَى غَيْظِكُمْ» (أفسس ٤: ٢٦). ليس هذا تجنباً للنّزاع لكنه انسحاب مؤقت بغرض ضبط العواطف.

بعد ما تنسحب بعيداً عن مصدر الحرارة، قيّم أفكارك وأفعالك ومشاعرك مع الله. لا تحاول أن تفعل هذا وحدك، وإلاّ ستصل إلى استنتاجات خاطئة. يحتمل أن تلائمك صلاة كهذه: «يا ربّ، لماذا أتكدّر إلى هذه الدرجة بسبب هذه المسألة؟». أقِر واعترف بدوافعك الأنانية ومواقفك الخاطئة أو أي فشل آخر - أولاً لله، ثمّ لرفيقك.

بعد هدوء العاطفة، ارجع لمناقشة المشكلة، ربما بتطبيق منهج تبادل الأدوار الذي ذكرناه من قبل. هناك حلول لكل المشاكل. إن إتباع الغضب بكلمات قاسية جارحة أو بالاعتداء الجسدي إنما يعقّد المشكلة .. ولا يحلّها أبداً.

وعسى الغضب يكشف عن مجال في علاقتك تحتاج أن تنتبه إليه. إذا تجاوبت بشكل بنّاء، فيمكن أن يشجّع هذا على النمو في الوحدانية. لكن إذا سمحت للغضب أن يسيطر عليك، فسيقود إلى الانفصال، لا الوحدانية. الغضب دائماً يؤدي إلى الشقاق. أما السيطرة على الغضب فقد تقرّبكما معاً.

شريكي أناني جداً

يقول أحدهم: «لكن شريكي أناني جداً. حتى عندما يتواصل، يصر على تنفيذ رأيه. وأكون أنا دائماً المخطئة. ويمكن تلخيص فكرته عن التّواصل في قوله: "اجلسي فأخبرك كيف يجب أن تكون الأمور».

الأنانية هي أعظم موانع الوحدانية، وجميعاً مصابون بهذا المرض. نحن أعداء أنفسنا الألدّاء في مضمار تحقيق الوحدة

الزوجية. فإننا بالطّبيعة نميل في الاتجاه المعـاكس: «جـانبي يظهر دائما صحيحاً في رأيي. وإلا لما كنت انحزت إلى هـذا الجانب. أَولَعلّك تظنّ أني قد أختار الجانب الخاطئ؟»

إن إدراكنا للطبيعة البشرية هو الذي سيساعدنا فـي هـذا المنعطف. فإن تعرفنا على هذا الاختلال في درعنا سيسـاعدنا أن نقيّم كل موقف بأسلوب أكثر واقعية. أنا أستطيع أن أتوقّـع من نفسي أن أكون أنانياً لأن هذه طبيعتي. لكن كمسيحي عندي طبيعة جديدة: الحضور الحقيقي جدا للرّوح القدس في حيـاتي. لذلك، عندي اختيار. أنا لست مضطراً أن أنحنـي لطبيعتـي الأنانية القديمة. أنا عندي البديل الحيّ أن أختار التعاون مـع الرّوح القدس في عمل الشّيء غير الأناني. عكـس الأنانيـة الحبّ، الحبّ الكتابي، الذي يبذل الذات وغير مشـروط. هـذه هي الهدية العظمى التي يجب أن أهديها لرفيقي. لكـن غـير مباح لي أن أهدي مثل هذا الحبّ حتى أقرّر رفض الأنانيـة. الاختيار لي.

حقاً لا يمكن أن تتعامل مع أنانية رفيقك. إنمـا يمكـن أن تتعامل فقط مع أنانيتك الشخصية. وإذا تعاملت مـع أنـانيتك

فستضرب لرفيقك مثلاً يحتذي به. (يرد معظمنا بالحب على مبادرة المحبة.) عندما لا تعود تحارب أنانية رفيقك، فسيباح لك أن تركّز على قمع أنانيتك الخاصة.

" أنا لا أريد أن أجرحه "

قد امتنع العديد من الأزواج والزوجات عن التعبير عن أنفسهم لأنهم لم يريدوا أن يؤذوا رفاقهم. قد صدّقوا أنهم إذا كانوا صادقين، فسيكون ذلك أشد مما يمكن لأزواجهم أن يتحمّلوه. وهكذا، رضوا بأن يعيشوا بوحدة محدودة بدلاً من ضعضعة العلاقة. إنّ النّية حسنة، ومعظمنا قد شعر بهذا التّوتر مرة أو أخرى. إننا نتعامل بحذر بعضنا مع البعض وكأننا أطفال. ويرجع السبب في ذلك إلى أننا، في عيون غيرنا، "أطفال». ربما كان ذلك صحيحاً، لكن كيف سننضج إذا لم توضع على عواتقنا مسؤوليات تخص البالغين؟

أنا لا أعني أنّك يجب أن تقرع رفيقك بسرد حكاياتك كاملةً عن ويلك وشقائك قبل العشاء يوم الجمعة مساء بثلاثين دقيقة. يجب أن تختار الوقت والمكان بحذر. هناك

أيضـــاً مـــبدأ التواصل البنّاء في مقابل الانفجار الهدّام. تقترح رومية ١٤: ١٩ «فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلاَمِ، وَمَا هُوَ لِلْبُـــنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ». كلمة «بنيان» معناها «بناء وتشييد». يجب أن يكون واضحاً في عقلك: أن تبني رفيقك. «الْمَحَبَّةَ تَبْنِي» (اكورنثوس ٨: ١).

أنا لا أشجّع على إفراغ زبالتك السّلبية على رأس رفيقك في اســـم الصدق. إنّ الخطة المسيحية تقوم على قول الصدق في المحـــبة (أفســـس ٤: ١٥)، والمحبّة تبني. نتكلّم بالحقيقة، لكن نسعى إلى أن نقولها بطريقة بناءة، بدلاً من أن نهدم وندمّر.

ومن الجدير بك أن تسأل هذا السؤال الجيد: «ما هو دافعي فـــي قول هذا؟» هل تعمل ذلك من قلب يشعر بالمرارة ويريد الأخذ بالثأر؟ إذن فهذا خطأ وسيبعدكما الواحد عن الآخر بدلاً من تقريبكما. كلّنا نضمر أفكاراً ومشاعر سلبية نحو رفقائنا في مرات معينة. الأمانة لا ترغمنا أن نعبّر عن كل هذه المشاعر. يجب أن نسمح لهذه المشاعر أن تصفّى خلال منخل «البنيان». فإذا خرجت كأحجار بناء – عظيم! عبّر عنها! أما إذا خرجت كقنابل، فعطّلها قبل أن تدمّر أكثر شيء ترغب فيه وتحبه.

بعدما قلت هذا، أريد أن أذكّركم بأن بعض نواحي بناء الآخر مؤلمة. النمو الشخصي لا يحدث بدون ألم. انظر إلى حياتك الخاصة. كيف نموت بواسطة انتقاد أصدقائك المدفوع بالمحبّة والصّدق، مع أنه كان مؤلماً؟ كما يذكر الحكيم في أمثال ٢٧: ٦: «أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ».

المحبّة الصادقة تنطلق إلى الخارج لحفز النمو حتى إذا رافقها الألم. لا أحد يتمتّع بالألم، ولا يحتمل أن يبتهج رفيقك بتعبيرك عن الحقيقة؛ لكن إذا جلب مثل هذا الألم نمواً، فهو يستحق. الجراحة ليست من الأشياء المحببة، لكن ربما كانت النّتائج تساوي حياة الإنسان نفسها. كلّنا نحتاج إلى جراحة اجتماعية، وعاطفية، وروحية على طول الطّريق، وعسى أن يكون رفقاؤنا الجراحين الذين وقع عليهم الاختيار.

بالتأكيد أنت ستريد أن تعبّر عن خيبة ظنك وإحباطاتك. فالواحد لا يسعد أو يرضى دائماً. الزواج الناضج يكفل القبول حتى وإن كان الرّفيق «منحرف المزاج». ليس ذلك أبداً وقت الانتقاد لكن بالأحرى وقت القبول والتّفاهم.

وإياك واستعمال الصدق كترخيص لصبّ كل شقائك وإلقاء

اللوم على رفيقك. تذكّر: السعادة أو الشقاء هي الحالة الذهنية التي تختارها لنفسك. وقد تساعد مواقف وأفعال رفيقك تلك الحالة أو تعيقها، لكن الاختيار لك.

نتيجة لذلك، اسمحوا لي أن أقول إنه لا يجب أن تفرط في حماية رفيقك. ما يحتاجه رفيقك ليس أمّاً أخرى أو أبّاً؛ إنما شريك يحبّه بما فيه الكفاية ليخبره بالحقيقة في محبة. زن دواءك بحذر. لا تعطِ جرعة زائدة. لا أحد منّا يستطيع أن يواجه كل ضعفاته في نفس اليوم. يجب أن يؤخذ الدواء على فترات متقطعة، لا دفعة واحدة. اكتشف الوقت الأنسب – ليس عندما يكون الشخص جوعاناً، أو متأخّراً في الليل. اسأل رفيقك إذا كان يعتقد أنه يستطيع تقبل شيء من الانتقاد البنّاء. لا تبدأ ما لم يكن مستعداً. تأكّد من أنّ رفيقك يمكن أن يردّ إيجابياً على انتقادك.

اشفع انتقادك بكلمات التّقدير. نجد النّموذج الكتابي للانتقاد في رؤيا ٢: ١-٤. قال المسيح للكنيسة في أفسس: «أَنَا عَارِفٌ أَعْمَالَكَ وَتَعَبَكَ وَصَبْرَكَ ... لكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ...». ثمّ يمضي فيقدم لهم انتقاداً واحداً.

ثلاث كلمات تقدير وانتقاد واحد هو النّموذج الأمثـــل. مـــن المفيد إذا كانت كلمات التّقدير تعطى في نفس مجـــال كلمـــات الانتقاد. على سبيل المثال، قد يقول الزّوج: «يا عزيزتي، أنـــت طباخة هائلة، وكذلك حفاظك على أرضية المطبخ بهذه النظافة، أراهن أني أنا الوحيد في الحي الذي يمكن أن يرى نفسه فـــي أرضية المطبخ من شدة نظافتها، ثم الطّريقة التي تعاملت بـــها مع سكب الحليب هذا الصّباح .. لابـــد أنـــك ازددت ضبطـــاً للنفس. أنا حقا فخور بك! هل أنتِ مستعدة يـــا جميلتـــي لمـــا سأقول؟» (ينتظر ردها) «قد ظل ذلك العشُّ (بيت العنكبـــوت) في الركن لمدة ثلاثة أسابيع!»

كلمات التّقدير تمنحني ضماناً بأنّي لست فاشـــلاً. هـــي تخبرني أني أُحسِن العمل أصلاً، وعليه أتحفّز للاستمرار في النمو. أما إذا انتقدتني بدون كلمات التّقدير، فمن المحتمل أن أفقد الأمل. أفعل أفضل ما عندي لأرضي/أرضيها، وماذا أنال في المقابل؟ مزيداً من الانتقاد! أفقد الأمل! في الأغلب ســتكون هذه أفكاري.

" أعلم بأنّي أفتقر إلى الثقة بالنفس "

نقــص احترام الذات واحد من أكبر موانع التّواصل. العديد منا، مهما تعددت الأسباب، كبر بشعور من النّقص. ننظر إلى الــوراء فــترى شــريطاً مــن الفشل ونجد صعوبة في تذكر نجاحاتنا. نرى أنفسنا مهدّدين من كل مواجهة اجتماعية. لذلك عــندما نبــلغ الــزواج، نجد صعوبة في أن نعبّر عن أفكارنا مخافة مزيد من الرّفض والفشل. قال الدكتور جايمز دوبسون: «انخفاض احترام الذات هو أكثر مصادر الاكتئاب شيوعاً بين النّســاء»[٥]. ويــتابع قوله: «ينتج نقص احترام الذات مزيداً من أعــراض الاختلال النّفسي من أي عامل تم التعرف عليه حتى الآن»[٦].

فهل انقطع أمل إذن لمن يرى نفسه ضعيفاً ومهدداً بالفشل؟ إذا صــح هذا، فسيقف قطاع عظيم من مجتمعنا عاجزاً. كيف طوّرنا مفهومنا عن ذاتنا؟ بالحكم على أنفسنا من منظور نظام التقييم من حولنا. وكما ينوّه الدكتور دوبسون، فإن ذلك النظام قد علّى شأن الجمال والذكاء والقدرة الرياضية»[٧]. فإذا فشلنا في هــذه المجالات الثلاث (وأغلبها خارجة عن سيطرتنا)، سنرى

أنفسنا فاشلين.

لكن مفهومك الذّاتي يمكن أن يكون خاطئاً. فقد لا تكونيـــن ملكة جمال أو قد لا يكون حاصل ذكائك ١٤٠ أو قد لا تكـــون قادراً على لقف الكرة قبل أن تحطّم أنفك – ففي أي موضـــع يضعك ذلك؟ يضعك مع بقيتنا نحن البشر الطبيعيين الذين خلقنا على صورة الله. مئات من حولكم تصارعوا مع نقـــص تلـــك المشاعر بعينها وفازوا عليها. ذلك يمكن أن يكون نصيبك أنت أيضاً.

بالتأكيد عندك ضعفات. وبالتأكيد أنك قد فشلت من قبل. لكن عندك أيضاً مواطن قوة، وتستطيع أن تنجح في العديـــد مـــن الأشياء. قد لا تؤهلك درجاتك في الثانوية العامة للالتحاق بكلية الطب، لكن يمكنك أن تدهن بيتك بإتقان تُحمَد عليه. مـــهاراتك لا تطابق مهارات الآخرين، ولا يجب أن تكون كذلـــك. الله لا يدير مصنعاً للكعك نخرج منه جميعاً متشابهين تمامـــاً. إنمـــا مصنعه ينتج ندفات الثلج، المشهورة بتنوعها.

كُن نفسك كأفضل ما يكن تحت إرشاد الله. استعمل مقدرتك؛ لا تقلق بشأن تلك الأشياء الخارجة عن سيطرتك. أنت شـــخص

ذو قيمة لأنك مخلوق على صورة الله. وقيمتك لا تقاس بما عملته أو لم تعمله. أنت تستطيع أن تحقق أهدافاً لها قيمة. لا تدع عواطفك تسوقك حيثما تشاء. اعترف بمشاعر النّقص التي عندك لله، لكن اشكره على أنك تستطيع كل شيء في المسيح، الذي يقوّيك (فيلبي ٤: ١٣).

كيف يمكن للزوج أن يساعد رفيقته في التغلب على انخفاض احترام الذات؟ بتشجيعه/ها أن تقبل الماضي وأن تركّز على المستقبل وبالتأكيد على الحبّ والاهتمام. هذا هو محور الزواج ولبه. ليس على الإنسان أن يحمل ثقله وحده (غلاطية ٦: ٢). قد أعرب الدكتور دوبسون عن هذه الأفكار في التّصريح التّالي:

> قست الحياة عليك وأخذت نصيبك من الألم. حتى هذه النّقطة واجهت مشاكلك بدون مساندة تذكر من إنسان ومرت عليك أوقات بلغ يأسك فيها كل مبلغ. دعني الآن أشاركك ذلك الحمل. من هذه اللّحظة وصاعداً أنا أهتمّ بك كشخص: أنت جدير بهذا الاهتمام وستحوز احترامي. وأريدك أن تترك القلق بشأن مشاكلك بقدر الإمكان. وبدلاً من ذلك، صارحني بها. سينصبّ

تركيــزنا على الحاضر والمستقبل، وسنسعى معاً نحو حلول ملائمة[٨].

عــندما يصرّح زوج بمثل هذا التصريح لشريكه، فهو/هي تــنقل لــه القــبول، الحــبّ، التفاهم، التشجيع، والتوجيه. هذا يستوجب موقفاً إيجابياً بدلاً من الاستسلام لليأس. هذا هو دائماً الموقف المناسب للنّمو.

الخلاصة

التّواصــل ليــس رفاهية ؛ إنه ضرورة. لا يمكن أن توجد وحــدة بــدون تواصل. وموانع التّواصل هائلة – لكن التغلّب عــليها ليــس مستحيلاً. وقوام الأمر هو إرادتك الشخصية أن تتواصل. مسوقاً بدافع رؤياك عن الوحدانية في الزّواج، يجب أن تخــتار أن تتواصــل بغــض النظر عن عواطفك وفشلك الماضي. لن تكون العملية بدون ألم، لكن الألم هو أداة نمو. قد صُمّمت الاقتراحات التّالية لمساعدتك، إذا «أردت»!

واجبات النّمو

للأزواج:

١. انظر إلى زواجك الخاص واسأل بصدق: «هل أنا سعيد بدرجـــة تواصـــلنا التي حققناها؟» (أنت لم تكن سعيداً، فأكمل القراءة.)

٢. اكتب المجالات التي تشعر فيها بشديد الحاجة للتواصل في زواجك.

٣. من الذي يكثر من الحديث في زواجك؟

٤. إذا وجدت صعوبة بالغة في توصيل أفكارك ومشاعرك لرفيقك، فلتفكر في مناقشة مفتوحة كما اقترحنا في القسم الذي عـــنوانه «رفيقي لا يفتح فمه بحديث». (بالتأكيد ستكون البداية صعبة، لكن كما قال حكيم صيني قديم: «رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة».)

٥. أعد قراءة كل قسم في هذا الفصل، واكتب بعد كل قسم الأســـاليب الـــتي تعتقد أنه يمكن بها تقديم مساهمة نحو تنمية التواصل مع رفيقك. اسعَ إلى أن تنفّذ هذا بانتظام.

٦. اقرأ كل قسم جهراً مع رفيقك وناقش ما تراه في نفسك في ذلك القسم بالذات. (لا تذكر ما تراه في رفيقك ما لم يسألك/تسألك أن تعمل ذلك.)

٧. اسأل رفيقك إذا كان/كانت ترغب مساعدة منك في أي مجال من مجالات التّواصل. (لا تلح عليها في هذه النقطة.)

للعزّاب:

١. قيّم أنماط التّواصل التي قد أرسيت قواعدها مع من تواعده. لابد أن تجد فائدة في الأسئلة التّالية:

أ . أي منا يكثر من الحديث مقارنةً بالآخر؟

ب. كيف نتواصل؟

ج . هل تواصلنا هو مجرّد كلام سطحي، أم أننا نشارك بصدق في كشف ذواتنا؟

٢. ما موانع تواصلنا؟

٢. أعد قراءة كل قسم في هذا الفصل قراءة عاجلة واكتب الطّرق التي يمكن بها أن تحفّز نمو التواصل مع رفيقك

المتوقّع.

٣. اقرأ كل قسم في هذا الفصل جهراً مع من تواعده وناقش ما تراه في نفسك في كل قسم. دع شريكك يفعل نفس الشيء.

٤. تناقشا معاً حول ما يمكن عمله لتحسين التواصل. اكتب اقتراحات محدّدة تودّ أن تجربها. قيّم تقدمك بعد شهر واحد من الآن.

٧

مَن سينظّف المرحاض ؟

انتهى شهر العسل. بِل وماري كلاهما يعملان في وظيفة جيدة وهما الآن قد نالا قسطهما من المزاح المعتاد من الأصدقاء في أول يوم لهما في العمل بعد شهر العسل. طوال اليوم كانا فرحين بخصوص أول أمسية لهما معاً في شقتهما الصغيرة الخاصة بهما.

تصل ماري إلى البيت قبل بِل بثلاثين دقيقة، وبعد السير في أنحاء الشّقة، تقرّر أن تبدأ إعداد وجبة العشاء – لأول مرة! قبل أن تنتهي من تقشير الجزر، يدلف بِل من الباب، قاصداً المطبخ، فيضمها في حضن دافئ وقبلة عاطفية تجعل قلبها يرف في صدرها. وقبل أن تثوب إلى رشدها، يجلس في الكرسي الذّهبي على مقربة من الأباجورة، يتصفّح صفحة الرّياضة.

حين ينتهي إعداد العشاء، تدعوه ماري، فيسرع إلى المطبخ بابتسامة عريضة ويقول: «يا لسعادتي، ما ألذ هذه الرائحة!»

يعقــب ذلــك كميــة طــبيعية من الدّردشة، تتعلّق في الغالب بالتّعــليقات المتعدّدة من الأصدقاء في المكتب، وينتهي العشاء. يســتأذن بِــل ويسرع لمشاهدة «رعاة بقر دالاس»، بينما تتجه ماري إلى إزالة الصحون من على المنضدة لغسلها. وسرعان ما يتجمعان ويستمتعان بأمسية رقيقة.

وفي المساء التالي تتم الإجراءات بنفس الترتيب الموصوف أعــلاه تقريباً. وفي المساء الثالث يدور الفصل رقم (٣) (مثل الفصــل الأول والثاني). تبدأ ماري في المساء الرابع تتساءل: ما الذي يراه الناس مثيراً في الزّواج؟ وبحلول المساء الخامس تنفجر: «لماذا لا تعرض عليَّ المساعدة أبداً؟ ماذا تظنّني؟ هناك شــيء واحــد أريــدك أن تعلمه: أنا لم أتزوّجك لأكون عبدة عندك ... إلى آخره».

ولا يعلم بِل ماذا ألمّ به. «ما سبب كل هذا؟ ما الذي تتحدّثين عــنه؟ هــل تعنين أنّك تريدني أن أساعدك في الطبخ وغسل الصحون؟ هذا أغرب شيء سمعته في حياتي ... إلى آخره».

مــا هــي مشكلة بِل وماري؟ خلط المسؤوليات. سوء الفهم بشــأن من هو المسؤول عن عمل أشياء معينة. في بيت ماري

كـــان أبوهـــا يســـاعد أمّهـــا دائماً في تحضير العشاء وغسل الصّـــحون عـــندما لا يكون عنده ميعاد مسائي. ومن الناحية الأخرى، كان والد بِل لا يفكّر في عمل مثل هذه الأشياء. سمع بِل منذ الصغر «هذا عمل يخص المرأة». لذلك أقبل كل من بِل ومـــاري عـــلى زواجهما بتوقعات مختلفة عن دور كل منهما. كـــان تصـــورهما الذهني مختلفاً لما يجب على الزوج عمله. وأهملوا مناقشة ما يدعونه علماء الاجتماع «أدوار الزواج».

بِل وماري ليسا استثناء، بل القاعدة. حالتهما تبيّن ما يحدث في أكثر البيوت، في الشّهور الثّلاثة الأولى من الزّواج أحياناً، حيـــن يـــدرك الزّوجان أنّهما لم يتّفقا على جواب لذلك السّؤال الهـــام جداً: «من سينظّف المرحاض؟» لأنه قد افترض أنّ هذا شـــغلها وهـــي قـــد افترضت أنّ هذا شغله، يصبح المرحاض مصـــدر ســـخط بأكثر من طريقة واحدة. يمكن أن يظهر نفس نوع النّزاع على العديد من الجبهات: القمامة، المسح، الكنس، الكـــي، تنظيف مقصورة الدش، غسل السّيارة، قصّ الحشائش، وغيـــرها. قـــد يختلف مثار الجدل، لكن المشكلة الكامنة تظل دائماً اختلاط توقعات الأدوار.

عادة نفكّر في كلمة دور كما لو كانت تتعلّق بنواحي الحياة

الكبرى، مثل من سيعول الأسرة مالياً. لكن الدّور ببساطة معناه: «تولّي مسؤولية». يحتمل أن تكون المسؤولية كبيرة أو صغيرة. وقد تتضمّن مهمة توفير المال، لكنها قد تتضمّن أيضاً الأمور الأكثر تفصيلاً التي ذكرناها سابقاً. من سيتولى مسؤولية كذا وكذا؟ ذلك هو السّؤال الهام عند تحديد الأدوار.

قد خضع مجتمعنا للكثير من التّغييرات في توقعات الأدوار الأساسية من الزوج والزوجة في إطار الزواج. تقليدياً، كان الزّوج هو العائل والزّوجة هي مدبّرة المنزل. أما الآن فالزوجات اللاتي يعملن خارج البيت أكثر ممن يمارسن الدّور التّقليدي في تدبير شؤون البيت. فنتج عن هذا مجالات جديدة من النّزاع في الزّواج.

إذا كانت الزّوجة ستعمل خارج البيت وتلعب دوراً مساوياً لدور الزّوج في الإعالة المالية، فهل يتحمل هو درجة مساوية من المسؤولية عن المهام المنزلية التي كانت الزّوجة تتولاها في السابق؟ يتناقش أكثر المخطوبين ويوافقون على السّؤال الرئيسي: هل ستعمل الزّوجة خارج البيت؟ لكن قليلين يناقشون من سينظّف المرحاض. ولذلك، فالمصدر الأعظم للنّزاع في الزّيجات الحديثة ليس مسألة من سيعول في مقابل من سيدبر

شــؤون المنزل، بل تفاصيل الحياة اليومية الدقيقة. وهكذا فإن هــدف هــذا الفصل هو تشجيع مناقشة المهام البسيطة وأيضاً الأدوار الكــبرى الــتي ســيلعبها كل من الطرفين. فما أكثر الافتراضــات الغيــر مبــنية على الواقع التي يفترضها أكثر الأزواج في هذا المجال.

هكذا فإن مناقشة الأدوار قبل الزّواج والاتفاق على الأدوار ضــمن الــزواج أمــر شديد الأهمية. يمكن تلافي العديد من الــنّزاعات إذا صــرف الاثــنان وقــتاً قــبل الزواج لمناقشة المسؤوليات والاتفاق عليها. في العادة لا تكون المشكلة العجز عــن الاتفــاق على المسؤوليات لكن بالأحرى الفشل حتى في مناقشــة المسألة. يميل الأزواج إلى الشعور بأنّ كليهما يعلمان ما سيعملان عندما يتزوّجان. لكن كيف يمكن أن يعلم الواحد ما يظنّه الآخر أو يتصوّره بدون مناقشة مفتوحة وشاملة؟

هل يقدّم الكتاب المقدس لنا أية مساعدة في تقرير ماذا يجب أن يعملــه الــزّوج ومــاذا يجب أن تعمل الزّوجة في البيت؟ ســمعت ذات مــرة جايمز هاتش من كلية كولومبيا اللاهوتية يقــول عــلى سبيل الفُكاهة: «يبيّن الكتاب المقدس بوضوح أن الــزّوج يجــب أن يغسل الصّحون. ففي ٢ملوك ٢١: ١٣ قال

الله: وَأَمْسَـــحُ أُورُشَلِيمَ كَمَا يَمْسَحُ وَاحِدٌ [رجل] الصَّحْنَ». يجب أن يحسم ذلك القضية بالنسبة إليكم أيتها السّيدات.

أمـــا إذا تناولـــنا الأمـــر بأكثر جديّة، فسنرى مفهوم تغيير الأدوار بيـــن الأنداد المتساوين عندما ننظر إلى الله نفسه. ففي أفســـس ١، على سبيل المثال، نرى الله الآب يخطّط خلاصنا (عـــددا ٣، ٤)، والله الابن يسيّل دمه لخلاصنا (عدد ٧)، والله الـــرّوح القدس يختم خلاصنا (عددا ١٣، ١٤). كلٌّ يقوم بدور مختـــلف في عملية الفداء، مع أنّهم واحد. الوحدة لا تعني عدم التنوع. تعمل الأدوار المتنوعة معاً على إنجاز الكل.

بأســـلوب مشابه، يؤدي الزّوج والزّوجة مسؤوليات متنوعة لكـــنهما يعمـــلان معاً كوحدة واحدة. قبول اختلاف الأدوار لا يحطّم الوحدة، بل ينميها. المسؤوليات لا علاقة لها بالسلطة أو القيمـــة لكن لها علاقة، بل كل العلاقة، بالكفاءة والأداء. ليس هـــناك احتياج إلى استنساخ جهودنا؛ لذلك نوافق على أن نقبل مسؤوليات متنوعة ونعمل معاً نحو الهدف المقبول.

بـــادئ ذي بـــدء، خصّـــص الله لكـــل مـــن آدم وحـــواء هدفـــاً: «وَبَـــارَكَهُمُ اللهُ وَقَـــالَ لَهُمْ: « أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا

الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ »» (تكوين ١: ٢٨).

كان الهدف مزدوجاً: إعادة إنتاج أنفسهما جسدياً وإخضاع - أو التسيد على - الأرض وكل مخلوقاتها. لاحظ أن الهدف قد قُدّم إلى الرّجل وزوجته. كان على كليهما أن يصيرا جزءاً من إتمام الهدف، لكن من الواضح أنهما لم يتمكّنا من القيام بنفس الدّور. جسدياً، كانت المرأة ستصبح والدة الأطفال، لكن كان على الرجل أن يلعب دوراً حيوياً في هذه العملية. لماذا؟ لأن نموذج الله هو الوحدة. خطة الله دائماً هي أن يعمل الزّوج والزّوجة كفريق. تتطلب الولادة الجسدية مثل هذا العمل الجماعي Teamwork وهي نموذج للحياة كلها.

كما تتطلّب إعادة الإنتاج الجسدية تعاوناً بين الزّوج والزّوجة، يقوم كل منهما فيه بدور مختلف لكن ضروري، وكلاهما يعملان معاً كوحدة واحدة، هكذا في كل المجالات الأخرى يجب أن يشتمل النّموذج على مسؤوليات متنوعة لكن وحدة في الغرض. لا يؤدي اللاعبون في فريق رياضي نفس المهام، لكن لهم نفس الهدف. هكذا أيضاً الزّوج والزّوجة لا يؤدّيان أدواراً متماثلة، لكنهما يسعيان نحو هدف مشترك

كفريق مُكلّف من قبل الله.

نرى تلميحاً إلى تنوع الأدوار مع آدم وحوّاء في تكوين ٣، حيث يعلن الله حكمه عليهم لخطيئتهم:

وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

(تكوين ٣: ١٦-١٩).

كان حُكم الله على حوّاء يتعلّق بالألم في الولادة. كانت الولادة بالتأكيد دوراً فريداً خاصاً بحوّاء. ولم يؤثّر هذا الحكم على دور الرّجل في عملية التكاثر. عندما أصدر الله حكماً محدّداً على آدم، اختار الأرض، لأن آدم كان فلاحاً. فجعل الشّوك والحسك يصعّبان عملية الفلاحة عليه.

وكان القصد من كلا الحكمين أن يثبتا كتذكرة بنتائج

الخطية، وكل حكم منهما قد فُصّل «على المقاس». أي أن حكم حـــوّاء لاقاها في الدور الذي انفردت به، وحكم آدم لاقاه يومياً في الحقول وهو يؤدي مسؤوليته الكبيرة لتوفير الطّعام لعائلته.

فإذا كان على حوّاء أن تتمّ دورها بتحقيق هدف الله (أَثْمِرُوا وَاكْـــثُرُوا وَامْـــلأُوا الأَرْضَ)، فمـــن الواضح أنها لن تقدر أن تحـــرث الحقول. ولأن دور آدم في التكاثر وإعادة الإنتاج كان مختـــلفاً، كـــان له مطلق الحرّية أن يركّز طاقاته على الناحية الـــثّانية من هدف الله، أي ناحية إخضاع الأرض والتسيّد على المخلوقات الحيّة الأخرى. من ثَمَّ وقع التّأكيد على الزّوجة أن تكون والدة الأطفال وعلى الزّوج أن يكون العائل.

غير أنه لا يجب النظر إلى هذه الأدوار نظرة جادة لا تقبل الـــتغيير أو التـــبديل. أي واحد على دراية بالاقتصاد الزراعي يعرف أنّ زوجة الفلاّح تلعب دوراً حيوياً في نجاح المزرعةْ. أيضـــاً، أكيـــد أن آدم تحمّل مسؤوليات تتعلّق بتربية الأطفال. يؤكـــد الكتاب في مسألة تربية الأطفال دائماً على «والدين» «لا عـــلى الأمهات». ما نقدّمه في هذا الفصل هو مقدمة عن فكرة تغييـــر المســـؤوليات في إطار الزّواج، مع التأكيد على العمل الجماعي تحقيقاً لأهداف الله.

ربمـــا يـــدلّ هذا المقطع على أنّه إذا أراد الزّوجان إنجاب أطفـــال، فالـــنّموذج التّقـــليدي الـــذي يقوم على الزّوج كعائل والـــزوجة كمدبّرة للبيت سيكون الشيء المنطقي. إلا أن بعض الأزواج المسيحيين اليوم يقرّرون أنهم يريدون إنجاب أطفال؛ مفترضـــين أنّ النّصـــف الأول من أمر الله في تكوين ١: ٢٨ «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ» قد تم إنجازه. فإذا صح ذلك، لا يبدو هناك أي سبب منطقيّ يحول دون اشتراك الزّوجة على حد سواء مع زوجها في العمل على تنفيذ الجزء الثاني من أمر الله «وَأَخْضِعُوهَا [أي الأرض]، وَتَسَلَّطُوا [على مخلوقاتها]».

فـــي حيـــن يرى أزواج آخرون ممن أنجبوا أطفالاً أنه في المجتمعات غير الزراعية قد يجوز للزّوجة العمل خارج البيت وفي نفس الوقت تحافظ على دورها كأمّ تقية. ويبدو أن وصف المرأة التّقية في أمثال ٣١ يضفي مصداقية على هذا الموقف.

امْـــرَأَةٌ فَاضِلَةٌ مَنْ يَجِدُهَا؟ لأَنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ اللآلِئَ. بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ. تَصْنَعُ لَهُ خَيْرًا لاَ شَـــرًّا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا. تَطْلُبُ صُوفًا وَكَتَّانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ. هِيَ كَسُفُنِ التَّاجِرِ. تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ

بَعِيـــدٍ. وَتَقُــومُ إِذِ الـــلَّيْلُ بَعْدُ وَتُعْطِي أَكْلاً لأَهْلِ بَيْتِهَا وَفَرِيضَـــةً لِفَــتَيَاتِهَا. تَتَأَمَّلُ حَقْلاً فَتَأْخُذُهُ، وَبِثَمَرِ يَدَيْهَا تَغْــرِسُ كَــرْمًا. تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. تَشْــعُرُ أَنَّ تِجَارَتَهَا جَيِّدَةٌ. سِرَاجُهَا لاَ يَنْطَفِئُ فِي اللَّيْلِ. تَمُــدُّ يَدَيْهَـــا إِلَى الْمِغْزَلِ، وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ. تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ، وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِسْكِينِ. لاَ تَخْشَى عَلَى بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ، لأَنَّ كُلَّ أَهْلِ بَيْتِهَا لاَبِسُونَ حُلَلاً. تَعْمَلُ لِنَفْسِـــهَا مُوَشَّـيَاتٍ. لِبْسُـــهَا بُوصٌ وَأُرْجُوانٌ. زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي الأَبْوَابِ حِينَ يَجْلِسُ بَيْنَ مَشَايخِ الأَرْضِ. تَصْــنَعُ قُمْصَـــانًا وَتَـــبِيعُهَا، وَتَعْــرِضُ مَنَاطِقَ عَلَى الْكَــنْعَانِيِّ. اَلْعِزُّ وَالْبَهَاءُ لِبَاسُهَا، وَتَضْحَكُ عَلَى الزَّمَنِ الآتِي. تَفْتَحُ فَمَهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ. تُــرَاقِبُ طُرُقَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الْكَسَلِ. يَقُومُ أَوْلاَدُهَا وَيُطَوِّبُونَهَا. زَوْجُهَا أَيْضًا فَيَمْدَحُهَا.

(آيات ١٠-٢٨).

لا يمكـــن لأحـــد أن يقـــرأ هذا الإصحاح ويستنتج أنّ دور الـــزّوجة ينحصـــر فـــي ولادة الأطفـــال فقط. لكن قراءة هذا الإصــــحاح تترك في نفوسنا انطباعاً واحداً عن هذه الزّوجة: «مركـــز الجاذبيـــة» بالنسبة إليها كان بيتها. كانت منهمكة في

نشاطات عديدة ومتنوّعة: الخياطة، الطبخ، شراء حقول، غرس الكـــروم، صنع وبيع الكتّان والنطاقات الجيدة، الاهتمام بالفقير والمحتاج، والتكلّم بالحكمة واللطف. بالتأكيد أن هذه الزّوجة قد ســـاهمت اقتصـــادياً في البيت. إلا أن كل هذا كان متجّها نحو رفاهية عائلتها: زوجها (عددا ١١-١٢)؛ وأطفالها (أعداد ١٥ ، ٢١، ٢٧)؛ ونفسها (عدد ٢٢).

ومـــاذا عن نتائج مثل هذه حياة؟ «يَقُومُ أَوْلاَدُهَا وَيُطَوِّبُونَهَا. زَوْجُهَـــا أَيْضًـــا فَيَمْدَحُهَا» (عدد ٢٨). أنا أعرف عشرات من الـــزّوجات اللاتي لم يجعلن بيوتهن مركز حياتهنّ وإنما سعين وحصـــلن على رفعة شخصية في حقول متعدّدة – ويتمنّين أن يستبدلن هذا كله بقصيدة المدح هذه:

«يَقُومُ أَوْلاَدُهَا وَيُطَوِّبُونَهَا. زَوْجُهَا أَيْضًا فَيَمْدَحُهَا».

قـــد صارت هذه الصورة من العهد القديم عن المرأة التقية التي تمتلك تصوراً صحّياً عن ذاتها وتكريساً لخدمة عائلتها – قـــد صـــارت المثال النموذجي في العهد الجديد. أعتقد أن هذه الصّـــورة هـــي التي تصوّرها بولس في عقله عندما كتب أن النّســـاء الأكـــبر ســـنّا عليهن أن يوجّهن النّساء الأصغر ليكنّ

«مُهْتَمَّاتٍ بِشُؤُونِ بُيُوتِهِنَّ» (تيطس ٢: ٥ ترجمة كتاب الحياة). هـذا لا يعني أن الزّوجة المسيحية يجب أن تحصر مهامها في أداء مجموعـة معيـنة مـن الواجبات المنزلية، لكن يعني أنّ عائلتها يجب أن تكون محور كل نشاطاتها. عندما تواجه بقرار يخـص مسؤولية جديدة، يجب أن تسأل دائماً: كيف يؤثّر هذا عـلى عائلـتي؟ على زوجي؟ على أطفالي؟ على نفسي؟ على علاقتنا بعضنا مع البعض؟

مـا من إنجاز شخصي يستحق أن تضحّي من أجله بوحدة الأسـرة. أضـم صـوتي إلى سقراط في قوله الذي صرّح به حوالي ٤٥٠ ق م: «إذا استطعت أن أرتقي أعلى مكان في أثينا لكـنت رفعـت صـوتي قائلاً: ماذا تعنون، أيها الأثينيون، إذ تقلبون كل حجر باحثين عن الثروة، ولا تعتنون بأطفالكم الذين ستتركون لهم كل شيء يوماً ما ؟ ».

تتمـتع الزّوجة المسيحية بحرية هائلة. ففي متناولها العديد مـن الحِرَف، لكن شبعها الخاص يستمد من الالتزام بأسرتها. ماذا تنتفع الزوجة لو «ربحت العالم كله» وخسرت أسرتها؟

ثم ماذا عن دور الزّوج كعائل للأسرة؟ هل رؤيتنا له هكذا

تلميح إلى تكوين ٣ ، أم أن نفس المفهوم يوجد في مكان آخر في الكتاب المقدس؟ قال الرسول في ١ تيموثاوس ٥: ٨: «وَإِنْ كَـــانَ أَحَـــدٌ لاَ يَعْتَـــنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ». في هذا السّياق يتناول هذا المقطع مسؤولية الرجل في الاهتمام بالأرامل في عائلته، لكن بالتأكيد، إذا كان عليه أن يهتمّ بالأرامل، فعليه نفس المسؤولية نحو أسرته الأدنى منه .

يُشـــار إلى الله فـــي الكتاب المقدس بأنه «الآب»، كما تُعقَد مقارنـــات مـــتعدّدة بين أبينا السّماوي وآبائنا الأرضيين. على سبيل المثال:

> أَمْ أَيُّ إِنْسَـــانٍ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ خُبْزًا، يُعْطِيهِ حَجَرًا؟ وَإِنْ سَـــأَلَهُ سَمَكَةً، يُعْطِيهِ حَيَّةً؟ فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْـــرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ! (متى ٧: ٩-١١).

إذا أردت أن تصـــف دور الله كـــأب في كلمة واحدة، فأي كلمة تختار؟ أنا أختار كلمة **عائل**. هو الذي يعولنا ويرزقنا بكل مـــا هو ضروري للحياة والتقوى (٢ بطرس ١: ٣). وهو لم

يهبـــنا حياة فقط، بل يعول ويقوت الحياة ويسدد كل احتياجاتنا. على نفس النمط، يصوّر الكتاب المقدس الأب الأرضي بأنه من يعول خاصته ويقوتهم.

لا يعــني ذلــك أنّ الزّوجة لا تساعد في إمداد الأسرة بما تحتاج. فإن أمثال ٣١ يبدد تلك الفكرة. الزّوج والزّوجة فريق، وهمــا يعمــلان معــاً، لكن النموذج الكتابي يقضي بأن يتولّى الزّوج المسؤولية الأساسية الخاصة بتسديد الاحتياجات الجسدية لأسرته.

فوجــئت مــنذ فترة قصيرة مضت بقراءة ما يلي في مجلة علمانية. كانت مؤلفة المقال الدكتورة فرانسيس ويلسينج طبيبة نفســانية سوداء، وكانت أستاذ مساعد قسم الأطفال في جامعة هاوارد للطب، ومن العاملين في مستشفى فريمان في واشنطن، دي. ســي. كــانت نظــرتها الثاقبة إلى الأدوار الأساسية بين الزوج والزوجة قريبة الشبه بالنّموذج الكتابي:

> في إطار الوضع الأسري وحده يتمكّن السّود من البدء فـــي تعديــل الدّيــناميكية الدّونية وتحويلها إلى عملية تطوّر مثلى للنشء.

أما مهمة الأبّ المحدّدة الكبيرة في علاقته بالأطفال أن يعلّمهم كيف يؤدون مهام الدور الذكري البالغ من خلال القدوة اليومية، بالتعبير عن الحبّ واللطف نحو الأطفال – حيث أن الحبّ واللطف أساسيان لتحقيق الكفاءة في التّعلم. تتمثل مسؤولية الدور البالغة الكبرى في كسب الرزق وحماية وحدة الأسرة والشعب ككل.

أما مهمة الأمّ الكبرى في علاقتها بالأطفال فتعليم كيفية تأدية الدور الأنثوي البالغ من خلال القدوة اليومية والحبّ واللطف. وتتمثل المسؤولية الرئيسية للدور البالغ في مؤانسة الأطفال والعناية بالبيت. وأنا أرى هذه التقسيمات في العمل أساسية وضرورية لكي تؤدي الأسرة دورها بكفاءة وفعالية.

طبعاً أنا أدرك أنّ هناك الكثير من الصراخ والصياح بسبب مثل هذه الأولويات في تأدية الأدوار بين النّساء البيض اليوم، لكننا – السّود – لا يسعنا أن نسمح للبيض بالاستمرار في تحديد أولوياتنا. إذا أُهمِلت هذه الضّرورات ، فسنفعل ذلك معرّضين حياتنا للخطر.

يستطيع السّود أن يوقفوا عملية التدني المستشرية بين البالغين السّود والأطفال السّود إذا أمكن تحويل

«وحـــدات البقاء» المختلة وظيفياً الحالية التي تسودها النســـاء إلى وحدات أسرية حقيقية ذات اتزان وانسجام حقيقيين مؤسسين بين الدّور الذّكري البالغ المتمثل في العـــائل والدّور الأنثوي المتمثل في مؤانسة الأطفال، مـــع إعـــادة الاحترام الحقيقي المتساوي لكلا الدَّورَين البالغين.

يجب أن تبدأ الإناث السوداوات الكفاح للحصول على نفس الفرصة المتاحة للأنثى البيضاء الآن - أن تبقى فـــي البيت في حين يقوم زوجها بإعالتها بشكل كافٍ، وأن توفّـــر المؤانســـة الكافية وتولي العناية والانتباه للأطفـــال السّود الذي تستطيع الأنثى البيضاء أن توليه الآن لأطفالهـــا، غالباً بمساعدة أنثى سوداء اضطرت إلى ترك أطفالها للقيام بمثل هذه الوظيفة.

حيـــن يركز الرجال والنساء السود على هذه الأهداف المشتركة الخارجية، سيتحرّرون من الممارسة الهدامة الحاليـــة القائمـــة عـــلى التنافس بعضهم مع البعض وسيتعلّمون بدلاً من ذلك أن يتنافسوا بنجاح كفريق[1].

مـــنذ بضـــع ســـنوات مضـــت، صادفت مثالاً تقليدياً على التقصـــير في الالتفات إلى هذا النمط الأساسي. جاءتني زوجة

كانت قد تزوّجت لأكثر من ثلاثين سنة طلباً للمشورة. وصفت حالتها الحاضرة بأنها «لا تُطاق». لسنوات عدّيدة كان زوجها قد حصـــر نفسه في ثلاث نشاطات: شغله، هوايته، والنوم. وكان يتخـــلل هذه النّشاطات ثلاث وجبات. لم يتولَّ أية مسؤولية في البيت، ولم يعمل شيئاً مع الأطفال، ولم يكن يتحدّث مع زوجته إلاّ أقل القليل.

استفســـرت عمّا إذا كان هذا أسلوب حياته دائماً. فأجابت: «طبعاً لا. لسنوات عديدة لم يكن يعمل على الإطلاق».

فـــي السّنوات الأولى لزواجهما كان مستهتراً جداً، فلم يكن يعمـــل ســـوى بضعة أيام في أي شغل يعرض عليه. كانا قد اشتريا داراً بمساعدة الوالدين لكنهما كانا مهددين بفقدها بسبب التخـــلّف عـــن دفع القرض. وفي أحد الأيام، قرّرت أنه إذا لم يعمـــل، فستعمل هي. فحصلت على وظيفة وبدأت في دفع كل الفواتير. ومنذ ذلك اليوم فصاعداً وهي تنهض بدور القيادة في البيت. أما هو فكان حر التصرف أن يواصل سلوكه اللامبالي، وهـــو مـــا فعله بالضبط. بعد ذلك بعدة سنوات، حصل الزوج على عمل منتظم وحافظ عليه، لكنه لم يستعِد موقع المسؤولية فـــي الزّواج. شعر بأنه غير مطلوب وغير مرغوب فيه فطوّر

أسلوب حياة انطوائياً.

لما قدّمت النّموذج الكتابي للزّوج باعتباره العائل، رأيت النور يسطع على ذهن الزّوجة. تبيّنت خطأها وصرّحت بها بطريقة لم أنسها قط: «أنقذت بيتي، لكنّي خسرت زواجي!»

ياله من تحليل ثاقب! قرارها أن تصبح العائل قد خلّص بيتها حقاً لكنها قد قبلت فشل زوجها أيضاً كأنه فشل دائم. قد شجّعت نمط سلوكه المستهتر. فتحسّرت بعد ذلك وقالت: «أتمنّى لو أنّي فرّط في البيت. قد حملت الحمل كل هذه السّنوات. والآن بعدما صار يوفّر لنا المال، أنا لا أعلم كيف أعيده إلى تولّي زمام القيادة. أريد أحداً أتّكئ عليه!»

في سعيها لإنقاذ أملاكها المادية خسرت المِلك الأكثر أهمية – وحدانية مع زوجها طبقاً لنموذج الله. ما الذي كان يمكن أن تعمل غير ذلك؟ لسبب ما كان زوجها مستهتراً في وقت زواجهما. وهي لم تساعد ذلك النّموذج بإزالة المسؤولية. لا يستطيع المرء أن يتعلّم المسؤولية إلاّ بقبول المسؤولية. لو كانت قد عبّرت ليس فقط عن رغبتها أن تساعد لكن أيضاً عن توقّعها بأن يكون هو العائل، ولو كانت مستعدة أن تعيش على

ما كان يوفّره من المال، لكان على الأغلب قد قبل دوره الجديد كـــزوج يعـــول. كـــان يحـــتاج إلى الضغط والتشجيع ليتحمّل المسؤولية.

بالـــتأكيد هناك أُسَر، بسبب العجز الجسدي أو العقلي، يجب أن تـــتولّى فيهـــا الزّوجة دور العائل. هذه استثناءات للقاعدة، وســـيهب الله القوة والنعمة لأولئك الزّوجات. لكن ينبغي على مثل هذه الزوجة أن تساعد زوجها أن يرى دوره في العلاقة. تذكّروا: الزوج والزوجة يكوّنان فريقاً، وكل شخص في فريق يجب أن يكون عنده مسؤولية.

بهـــذه توجيهـــات الأساسية - (١) الزّوج هو العائل، و(٢) الزّوجة هي مدبّرة المنزل - تُترَك الحرية للزّوجين المسيحيين ليـــتدبرا نموذجهما الخاص بالمسؤوليات في إطار البيت. ثانياً، دعوني أؤكّد أن هذه التوجيهات ليست قوانين غير قابلة للتغيير أو التعديل.

الـــنّموذج الكتابي لا يحول دون عمل الزّوجة خارج البيت، إذ أنها بذلك تسهم مالياً في أعباء الأسرة. إنما يعني أن هذا لا يجب أن يتم على حساب الأسرة وتعاستها.

تتحمّل الزّوجة والأمّ مسؤولية عظيمة في البيت، لكن هذا لا يجب أن يؤخذ على أنه يستبعد الأبّ من المسؤوليات المنزلية. الدّور الجسدي للأمّ في ولادة الأطفال والتربية أساسي، لكن الطّفل يحتاج أيضاً إلى التّدخل العاطفي الدّافئ من الأبّ. يحتاج الطّفل إلى كلا الوالدين، ويجب أن يكون الأبّ مهتماً برفاهية الطّفل مثل اهتمام الأمّ به تماماً. لا يمكن تفويض مرافقة الأطفال وتدريبهم إلى الأمّ كليةً. قد ارتكب العديد من الآباء المسيحيين هذا الخطأ الفادح. الزّوج والزّوجة أعضاء فريق ويجب أن يعملا كأعضاء فريق.

كفريق، ينبغي على الزّوج والزّوجة أن يعملا معاً تحت إرشاد الله على تحديد الأدوار التي سينهض بها كلٌّ منهما لكي يتمّما معاً مقاصد الله من اتحادهما. ستتباين الأدوار المحدّدة من أسرة إلى أسرة وربما تتباين في إطار نفس الأسرة من وقت لآخر، لكن الأدوار يجب أن تكون مُسْتَساغة لكل شريك.

في رأيي، يجب النظر في مواهب وقدرات الطرفين عند تحديد المسؤوليات. فيحتمل أن يكون واحد أكثر تأهيلاً في مجال ما من الآخر. ولكونكما في نفس الفريق، لماذا لا تستعملا اللاعب المؤهّل تأهيلاً أفضل في ذلك المجال؟ في

حيـاتي الخاصة، أنا أكره أن أتخيّل الفوضى التي كانت ستنتج إذا اشـتريت البِقالة. ذلك القسم الخاص بزوجتي، وهي مؤهّلة فيـه إلى حـد كبير. لكن بالنسبة إلى أزواج آخرين يجوز أنّ الزّوج مجهّز خصيصاً لتلك المهمة.

لا شـيء ممـا سـبق ذكره يجب أن يؤخذ معناه على أنّه بمجرد تقبل الشّريك مسؤولية محددة لا يجب أبداً أن يساعد في تـلك المهمـة. لِـنَقُل مـثلاً أن الزّوجة قبلت مسؤولية كنس الأرضيات كل خميس. هذا لا يعني أنّ الزّوج لا يجب أبداً أن يسـاعدها. الحبّ يريد أن يساعد وغالباً سيساعد. إنما ما يعنيه قـبول تلك المسؤولية فهو: أنه إذا لم يساعدها الزّوج، فهي لن تكون مجروحة. هي لا تتوقّعه أن يكنس لأن ذلك واجبها. أما إذا قدّم لها المساعدة، فهي تقبلها كفعل مدفوع بالحبّ، وهو حقاً كذلك.

لا يخبرنا الكتاب المقدس «من يجب أن ينظّف المرحاض»، لكنه يشجّعنا أن نتفق على جواب. سأل عاموس ذات مرة: «هَلْ يَسِيرُ اثْنَانِ مَعًا إِنْ لَمْ يَتَوَاعَدَا [يتفقا]؟» (٣: ٣). والجواب هو: «لا، لـن يسيراً بعيداً ولن يتواءما». الاتفاق على المسؤوليات مسـألة بسيطة نسبياً، لكن إذا أُهمِلت، فقد تنفجر المشاكل مثل

الحمم من البركان.

واجبات النّمو

للأزواج:

فـــي زواجك، من عليه المسؤولية الأساسية لإعالة الأسرة مالياً؟

______ الزوجة ______ الزوج ______ بالمشاركة

هــل أنـــت راضٍ عن التّرتيب الحاضر؟ إذا كانت الإجابة بالنفي، اكتب وصفاً مختصراً بالتّغييرات التي تودّ أن تحدث.

٢. بدون مناقشة مع شريكك، اكتب قائمة ببعض البنود التي تعتـــبرها مـــن مسؤوليتك في البيت. اكتب قائمة منفصلة بتلك البنود التي تعتبرها من مسؤولية شريك حياتك. اذكر كل شيء وكن محدّداً بقدر الإمكان.

٣. دع شريكك يقرأ هذا الفصل وأكمل الواجب رقم (١) و(٢).

٤. فـــي وقـــت متّفق عليه، اعرضا قائمتيكما الواحد على الآخر. قد تجدان:

أ . أنكما تتفقان بالكامل على أدواركما.

ب. أنـــه توجد بنود محدّدة تختلفان عليها (هناك مجال من الارتباك بالنسبة إلى من هو المسؤول عن ذلك).

ج. أنكمـــا تتفقان على القليل جداً – من ثَمَّ كان هذا مجالاً لنزاع زوجي حقيقي.

٥. مهمـــا وجدتمـــا، اســـتعملا هـــذا الوقت لمناقشة وتقييم أدواركما. ماذا الذي تعمله وتظن أن رفيقك مؤهّل أفضل منك لعمله؟ هل هو/هي ترغب في قبول هذه المسؤولية؟ دعه/دعها تجربها لمدة شهر واحد.

٦. لا تصـــدّق أبـــداً أن المسؤوليات لا يمكن أن تتغيّر. إذا حدث نزاع على الأدوار، فقد حان الوقت للمناقشة والتّقييم.

للعزّاب:

١. من المحتمل أنكما قد تناقشتما واتفقتما على من سينهض بالمســـؤولية الأساســـية لإعالة الأسرة، لكن هل قرّرتما «من ســـينظّف المـــرحاض»؟ الموافقـــة على المسؤوليات الكبرى والبسيطة على حد سواء مهمة للغاية.

٢. بعد قراءة كل منكما الفصلَ، اكتبا قائمة بالبنود التي تعتبرانها من مسؤوليتكما في البيت بعد الزّواج. اصنعا قائمة منفصلة بتلك البنود التي تعتبرانها من مسؤولية شريكك. اذكر كل شيء، وكن محدّداً بقدر الإمكان.

٣. عندما يكون لديكما وقت لا بأس به، قارنا هاتين القائمتين.

أ . ما المهام المطابقة التي كتبتماها – أي البنود التي يشعر كل منكما أنه مسؤول عنها؟ (اصنعا قائمة بهذه واتفقا مبدئياً على تقسيم العمل.)

ب. ما المهام التي أغفلتماها – أي البنود التي لا يشعر أيٌّ منكما بأنه مسؤول عنها؟ (اصنعا قائمة بهذه واتفقاً مبدئياً على تقسيم العمل.)

٤. راجعا هذه الاتفاقات قبل أن تتزوّجا بوقت قصير.

٥. ابقيا مُنفَتِحَين للتّقييم وتبديل المسؤوليات بعد الزّواج.



٨

" يظنّ أنّه دائماً على حقّ "

كما نوّهـــنا ســـابقاً، يجـــد العديد من الأزواج الذين لا يواجهـــون صـــعوبة فـــي التواصل قبل الزّواج أن التواصـــل بينهم ينقطع بعد الزّواج. والسّبب الأساسي في هذا الـــتّغيير يـــرجع إلى أنّـــه قبل الزّواج لم يتعيّن عليهما اتخاذ قرارات. كانا يتحدّثان بحرّية عن أي قضية وبعد ذلك يغادران، ليفعل كل منهما ما يريده. لكن بعد الزّواج هما يحاولان تحقيق الوحدانيـــة، لذلـــك يجـــب أن تـــتخذ قرارات ستؤثّر على كلا الشّريكين. فلأنه لا يمكن أن يوافقا على القرار، يتعطّل التواصل ويتوقّف، ويبدأ جدار فاصل يقوم بينهما.

يعـــترف علماء الاجتماع ومستشارو الأسرة بأنّ واحدة من المشـــاكل الكـــبرى فـــي الـــزّواج هي عملية اتخاذ القرار. إذ تـــتراقص مـــناظر الدّيمقراطية في عقول العديد من الأزواج الشّـــباب، لكن عندما لا يوجد سوى عضوين مصوّتين، تتحوّل

الديمقراطية إلى أزمة وعقبة كَأداء. البضع لا يزالون متمسكين بالنّظام الاستبدادي القديم حيث يحكم الزّوج «بقضيب من حديد» وتُعامَل الزّوجة كطفلة أكثر منها شريك.

أمـــا النظام البديل فهو النظام الأموي، حيث تتحكم الأمّ في مجـــريات الأمور من وراء الكواليس ويقف الزّوج على خشبة المســـرح ليقـــوم بـــالدور الذي تمليه الزوجة عليه. واحدة من المشـــاكل العمـــلية المرتبطة بهذا النّظام هي اللواط. الباحثون الذيـــن درســـوا الحيـــاة الأسرية لِلّواطيين (الشاذين جنسياً من الـــرجال) والسّحاقيات (الشاذات جنسياً من النساء) قد اكتشفوا تقريـــباً دائمـــاً أنّ الـــنّموذج المؤدي إلى الشذوذ يقوم على أمّ مهيمنة وأبّ سلبي. تملي الأمّ كل الأوامر، في حين يكون تأثير الأبّ في البيت تافهاً.

فماذا نفعل إذن؟ كيف نصنع القرارات؟ إذا أمكن الرد على هذه الأسئلة قبل الزّواج، فسيوّفر الزّوجان على نفسيهما إحباطاً عظيمـــاً. يفترض أغلب المتزوجّين حديثاً أن القرارات ستعتني بنفسها. هم لا يتوقّعون مشاكل عظيمة في هذا المجال . ومثل هذه الأوهام ستتحطّم قريباً.

هل يقدّم الكتاب المقدس أي مساعدة؟ إذا أردنا أن نتبع أفضل نموذج محتمل لاتخاذ القرارات، فماذا عساه يكون؟ أريد أن أقترح أن أفضل مثال عندنا لاتخاذ القرار بين نظراء متساوين هو الله نفسه.

كما نوّهنا سابقاً، قد أعلن الله عن نفسه في ثالوث. هذا الله المثلث الأقانيم قد صنع العديد من القرارات، بعضها مسجّل في الكتاب المقدس. من أول قرار «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تكوين ١: ٢٦) إلى الدّعوة النّهائية للثّالوث في رؤيا ٢٢، كان الله يصنع قرارات. فكيف كانت هذه القرارات تُتَّخَذ ؟

معلوماتنا محدودة، لكن في متى ٢٦: ٣٦-٤٦ تتاح لنا فرصة حضور جلسة تواصل بين الابن والآب . كان يسوع يواجه الصّليب ومن الطبيعي أنه كان يشعر بضغط جسدي وعاطفي. في هذه الآيات، نجده يعبّر بالكامل عن مشاعره وأفكاره للآب «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ» (عدد ٣٩). لم يُقصد بهذا التصريح أن يكون سجلاً كاملاً للصّلاة لكن بالأحرى موضوعها الرئيسي. لم تكن هناك فرصة للامتناع، للتظاهر، لكن انفتاحاً مطلقاً مع الآب. تكررت الصّلاة ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يسوع يختمها بقوله :

«ولَكِــنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» (عدد ٣٩؛ قارن عددي ٤٢،٤٤).

هــل كان هذا تسليماً للقضاء والقدر؟ كلا البتة. لم يكن ذلك ســوى اعتراف من يسوع بأن الآب هو القائد. فإذا سلّمنا بأن قرار الصلب كان قد اتخذ منذ الأزل، لأن يسوع هو «الْخَرُوفِ الَّــذِي ذُبِــحَ مُــنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (رؤيا ١٣: ٨ في الترجمات الإنجــليزية). لكن الآن، وهو يواجه الصّليب في حيّز الزمان والمكان، أفصح عن مشاعره البشرية إلى الآب.

توضّــح آية أخرى هذه العلاقة بأكثر جلاء. في كورنثوس الأولى ١١: ٣، يقــول بولس: «ولَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُــلِّ رَجُــل هُوَ الْمَسِيحُ، وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ، وَرَأْسُ الْمَسِــيحِ هُوَ اللهُ». تلك العبارة الأخيرة «رَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ» يهملها الكثيرون. من الواضح أن يشير هنا إلى الله الآب.

يقول البعض: «ظننت أن الآب والابن متساويان». نعم، هما كذلــك! لكــن في إطار الوحدة الكاملة للاّهوت هناك ترتيب، والوحي يعلن أن الآب هو القائد. إذا استطعنا أن نفهم شيئاً عن طــبيعة هــذا النموذج الإلهي، أي كيف يتعامل الآب، مع الابن

وكيف يتعامل الابن مع الآب، فسنحصل على فهم أفضل لما يعنيه القول بأن الرّجل يجب أن يكون «رأس» المرأة.

هل الآب أثمن من الابن؟ هل الرجل أثمن من المرأة؟ هل الآب أذكى من الابن؟ هل الرجال أذكى من النّساء؟ الجواب الواضح على هذه الأسئلة: لا. إنّ الآب والابن متساويان في كل الجوانب. لكن المساواة لا تعني عدم التميّز. الابن هو الذي مات على الصّليب، وليس الآب. هل الرّجال والنّساء متساوون في القيمة؟ نعم! قلها بصوت عالٍ وبوضوح. لا تدع أحداً يشكّ في موقف الكتاب المقدس من هذه القضية. قد صُنِع الذّكر والأنثى كلاهما على صورة الله وهما متساويان في القيمة. فهل المساواة تعني التماثل أو التطابق؟ لا. هناك اختلافات، لكن الاختلافات لا تعني نقائص. عندما يشير الله إلى أنّ الرّجل سيصبح رأس المرأة، فهو ببساطة يؤسّس ترتيباً أو نظاماً لعلاقة بين نظراء متساويين، علاقة تصوّرها الله نفسه.

هل يُعقَل أن الآب يجبر الابن على أي شيء ضدّ رغبته؟ هل يُعقَل أن الزوج الذي يتبع هذا النّموذج يجبر زوجته على أي شيء ضدّ رغبتها؟ الرئاسة لا تعني الدكتاتورية. هل تظن الابن كان ليندفع و«ينفذ إرادته» بدون استشارة الآب؟ غير

معقـــول. هـــل الـــزوجة تندفع و«تنفذ إرادتها» بدون استشارة زوجهـــا؟ أنـــا أعلم أن الله كامل، وأننا ناقصون؛ لذلك نحن لا نفعل دائماً ما نعلم أنه صواب. لكن يجب أن نفهم النّموذج الذي دُعينا إليه.

لعـــل المفهوم الكتابي القائم على كون الرّجل «رأس البيت» هـــو أكثر مفهوم أسيء استغلاله في الكتاب المقدس. فالأزواج المســـيحيون، بدافع الإصرار على تنفيذ إرادتهم الشخصية، قد طالـــبوا زوجـــاتهم بجميـــع أنـــواع الطّلبات الحمقاء بموجب «المكـــتوب». الرئاسة لا تعني أنّ الزّوج له الحقّ في صنع كل القرارات وإخبار زوجته بعد ذلك بما تعمله. ذلك غير معقول، إذا نظرنا بجدية إلى نموذج الله الآب والله الابن.

مـــا هو إذن النّموذج الكتابي لاتخاذ القرارات؟ دعونا نسمح لـــلمحادثة الـــتي دارت بيـــن يسوع والآب في جثسيماني قُبَيل الصّـــلب أن تكـــون مثالنا. «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ. وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ» (مت ٢٦: ٣٩).

يبدو أن النّموذج المثالي هو مناقشة الأفكار والمشاعر –التي يـــتم التعـــبير عـــنها بصـــدق وحبّ– مع اعتبار الزّوج القائد

المعترف به. إنّ الهدف دائماً هو وحدانية في قراراتنا. يعرف الثّالوث وحدة كاملة في كل قراراته. لكننا ككائنات ناقصة، قد لا نكون قادرين دائماً على بلوغ الوضع المثالي، إنما يجب أن يكون ذلك هدفنا دائماً.

ماذا عن المرات التي نعلن فيها عن أفكارنا بالكامل ولكن نحن لا نستطيع الوصول إلى اتفاق على إجراءات عملية؟ أقترح أنه إذا أمكن للقرار أن ينتظر (ومعظم القرارات قابلة للتأجيل)، فلتدعه ينتظر. وبينما تنتظرون، يجب أن يصلّي كلاكما وتسعيان للحصول على معلومات جديدة قد تسلّط الضوء على الموقف. وبعد ذلك بأسبوع، ناقشا القرار ثانيةً وانظرا أين أنتما.

«إلى متى ننتظر؟» أطول فترة ممكنة! في رأيي، المرات الوحيدة التي يجب أن يتّخذ الزوج فيها قراراً بدون موافقة متبادلة هي تلك المناسبات النّادرة التي يلزم فيها اتخاذ القرار «اليوم». تَقِلّ مثل هذه القرارات في الحياة. أكثر الأشياء يمكن أن تنتظر. الوحدة أكثر أهمية من الاستعجال. «لكن إذا لم أشترِه اليوم سيكون الأوكازيون قد انتهى!» «الصفقة» التي تجرينها على حساب الوحدة مع رفيقك مكلّفة حقاً.

في تلك المناسبات التي يجب صنع القرار فيها «اليوم» ولا يزال عدم الاتفاق قائماً بين الطرفين، أعتقد أن الزّوج له مسؤولية صنع القرار الذي يشعر أنه الأفضل. ويجب عليه أيضاً أن يتحمل المسؤولية كاملةً عن ذلك القرار.

عندها قد تشعر الزّوجة بألم الخضوع، لكنها يجب أن تشعر أيضاً بالطمأنينة من أن لها زوج مسؤول قادر أن يصنع القرارات عندما يجب عليه ذلك. في مثل هذه القرارات، لا يجب أن تشعر الزّوجة أنها مسؤول عن اختيار الزّوج. من الناحية الأخرى، لا يجب أن تعمل على فشله.

فإذا أثبت الزمن حقاً أنّ القرار كان سيئاً، فلا يجب على الزّوجة أبداً أن تخضع للإغراء الذي يدفعها لأن تقول: «قد أخبرتك بذلك. إذا كنت استمعت إليّ، ما كان حدث هذا». عندما تنخفض المعنويات الرجل، هو لا يحتاج أن يدوس عليه أحد. إنما يحتاج إلى تطويقه بذراع لطيفة وطمأنته بنعومة على أنك معه وأن كل شيء سيكون على ما يرام. «قد ارتكبنا خطأً، لكننا معاً، وسوف نخرج من هذه الورطة». هذه كلمات الزّوجة الحكيمة.

أنا مدرك تماماً أنّ البعض سيرفضون فكرة أن الزّوج يجب أن يكـــون صانع القرار، أو القائد، في البيت. لكن عندما يفهم هـــؤلاء كيف يكون النّموذج الكتابي لهذه القيادة، يصبح الأمر معقـــولاً أكثر. القيادة الذكرية في البيت لا تتعلق بالتفوق. إنما تتعـــلق بنظام بين نظراء. عاجلا أو آجلاً، إذا لم يتم الاعتراف بأحد الشريكين قائداً، فإن الزّوجين سيصلان إلى مرحلة جمود أو توقف تجعلهما غير فعّالين عندما تأتي أزمة. يجب أن نكافح مـــن أجـــل الوحـــدة في كل القرارات، وإذا تسلّحنا بالمواقف الذهـــنية الصّحيحة فسنحقق ذلك ٩٥ بالمائة من الوقت - لكن يجب أن تقع مسؤولية صنع القرارات على أحد عندما لا يمكن تحقيق الوحدة.

هل هذا يقلل من شأن الزّوجة كشخص؟ إذا صح ذلك، فلابد أنكمـــا أخطأتمـــا فهم أو تنفيذ النّموذج في نقطة من النقاط. فإن رئاسة الله الآب لا تقلّل من شأن الله الابن على الإطلاق. وبالمثل، نحن لا يجب أبداً أن نترجم رئاسة الزّوج بطريقة تقلّل من شأن الزّوجة كشخص. للزّوجة نفس القدر الكامل من العطاء -مثل الـــزّوج- الذي تسهم به في العلاقة. في العديد من المجالات، يجـــوز أن تكون بصيرتها أفضل من بصيرته. الرجل الأحمق

هــو من صنع قرارات بدون استشارة زوجته. فمثل هذا الفعل لا يحطّم الوحدانية فقط، بل أيضاً يهمل مصدراً هائلاً للحكمة.

يحــتاج العديــد من الأزواج إلى تذكيرهم بأنهما في نفس الفــريق. فــالأزواج يتنافســون كل منهما مع الآخر أكثر مما يجب، فيدافع كلٌّ منهما عن أفكاره الخاصة. لا شيء أحمق من ذلــك. شارك أفكارك؛ هذا من حقّك، لكن استعمل تلك الأفكار للوصــول إلى أفضل قرار. ليست المسألة «أفكاري في مقابل أفكــارك»، لكن أفكارنا وقرارنا **معاً**. «نحن نشعر؛ نحن نعتقد؛ نحن نقرر». هذه لغة الوحدة.

ما لا تعنيه رئاسة الزّوج

رغــم أنــي قــد أُتَّهم بالإسهاب، دعوني أذكر بحذر ما لا يقصــده الوحــي حيــن تقول: «وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ» (أفسس ٥: ٢٣).

لا يعــني هــذا القول أنّ الزّوج أذكى من الزّوجة. طبعاً قد يكــون لأحد الأزواج حاصل ذكاء أعلى من زوجته أو يكون لــلزوجة حاصل ذكاء أعلى من زوجها، لكن الرئاسة لا دخل

لهـــا بالذكـــاء. الله الآب والله الابن كلاهما غير محدودين في الحكمـــة، لكـــن الآب «رأس» الابـــن. الرجال والنساء عموماً كائنات عاقلة ذكية (مع أنّ الواحد قد يشك في ذلك أحياناً).

«وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ» لا تعني أنّ الرّجل أثمن من المـــرأة. كـــل من الرّجال والنّساء مصنوعون على صورة الله ولهـــم قيمة غير محدودة. صحيح أن العهد القديم يسجّل النّظام اليهـــودي، الذي كان يعلّي شأن الطّفل الذّكر أكثر من الأنثى، لكـــن لا يجـــب علينا أن نقبل نظام الثّقافة اليهودية كنظام الله. الملائكـــة فـــي السّـــماء لا تبتهج عندما يهتدي رجل أكثر من ابـــتهاجها عندما تهتدي امرأة. في المسيح «لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى»؛ إنما هم «جَمِيعًا وَاحِدٌ» (غلاطية ٣: ٢٨).

«وَأَمَّـــا رَأْسُ الْمَـــرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ» لا تعني أن يكون الزّوج دكـــتاتوراً، يصنع القرارات وحده ثم يخبر زوجته بعد ذلك بما يجب أن تعمل. نحن بالتأكيد لا نرى ذلك النّموذج بين الله الآب والله الابن. من غير المعقول أن يتّخذ الله الآب قراراً وبعد ذلك يستدعي الابن ويُعلِمه بمضمونه. «الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تثنية ٦: ٤). هناك تواصل كامل وتام ووحدة مطلقة في كل قرار.

العديـــد من المسيحيين الطغاة قد سببوا لأنفسهم قرح المعدة بـــتحمل أعـــباء هائلة من المسؤولية. لم يقصد الله للزّوج أن يصـــنع كـــل القرارات بمفرده. تذكّر: قد وُهِبت المرأة للرجل لـــتكون معيـــناً. فكيف تقدم العون وزوجها لا يستشيرها؟ إنّ أعظم احتياج لنا اليوم هو إلى قادة - لا إلى طغاة - مسيحيين.

ما لا يعنيه خضوع الزّوجة

ترتجف العديد من الزّوجات متى سمِعن القس يقول: «افتحوا كتبكم المقدسة على أفسس ٥: ٢٢». يتوجّسنَ خيفة مما سيعقب ذلـــك، ولا يـــروق لهـــنَّ مـــا سيسمعن. «أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ».

يقـــلن في عقولهن: «لكنك لا تعرف زوجي». ولابد أن الله يقـــول: «لكـــنكِ لا تفهمين الخضوع». في هذا القسم، أريد أن أهدّئ بعض المخاوف بمناقشة ما لا يعنيه الخضوع.

الخضـــوع لا يعني أن تقوم الزّوجة بكل «الإعطاء». الآية الـــتي تسبق أفسس ٥: ٢٢ مباشرةً تقول: «خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِي خَوْفِ اللهِ» (تقول ترجمة NIV: خَاضِعِينَ بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ بدافع الاحترام للمسيح). الخضوع هو تدريب متبادل. لا الأزواج ولا الزوجات يمكنهم شق طريقهم الخاص وتحقيق زواج ناجح في نفس الوقت. لهذا يوصي الله الأزواج أن يحبّوا زوجاتهم «كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ » (أفسس ٥: ٢٥). الكلمة المترجمة «أحبّوا» هنا تدلّ على حبّ باذل للذات يسعى إلى فائدة المحبوب.

على سبيل المثال، قد يخضع الزوج إلى حضور حفلة لا يرغب هو شخصياً أن يحضرها .. لكي يصون ويدعّم الزّواج. على نفس النمط، قد تخضع الزوجة لحضور مباراة كرة قدم لا تفهم عنها إلاّ القليل لكي تشارك زوجها في إحدى مباهجه. الخضوع هو عكس المطالبة بتنفيذ الإرادة وهو مطلوب من جانب الزّوج والزّوجة على السواء.

الخضوع لا يعني أن لا تعبّر الزّوجة عن أفكارها. وإلا فلماذا أعطى الله الزوجة القدرة على تكوين الأفكار إذا كانت لا تستطيع التعبير عنها؟ أنتِ مدعوة لتكوني معينة. فكيف تقدمين العون إذا رفضتِ أن تشاركي بحكمتك؟

«لكن زوجي ليس مفتوحاً على أفكاري». هذه مشكلته، لا

مشـــكلتك. السكوت ليس هو السبيل إلى الوحدة. لعلك تحتاجين إلى تـــنمية اللـــباقة وممارسة حكمة بالنسبة إلى وقت وأسلوب التعبير عن نفسك، لكن يجب أن تستعملي العقل الذي وهبك الله إيـــاه. على عاتقكِ مسؤولية. لا يمكنكِ أن تقفين بكسل وتراقبي زوجك يفشل. يجب أن تسعي إلى أن تكونـي معينة بنّاءة.

وأخيـــراً، الخضـــوع لا يعـــني أنّ لا تصـــنع الزّوجة أيّة قـــرارات. قـــد تحدّثنا بشكل رئيسي عن القرارات الكبيرة في الـــبيت، وقد قلنا إن النّموذج الأساسي هو التعبير المتبادل عن الأفكـــار في ضوء الوحدة بقيادة الزّوج. لكن في البيت العادي ســـيكون هـــناك مجالات يوافق الزّوج فيها أن تكون الزّوجة صانعة القرارات.

ســـنكون وكـــلاء أردياء على الوقت إذا أَولَى كل واحد منا الانتباه لكل كبيرة وصغيرة في الحياة. لكن الحكمة تقتضي أن نوافـــق عـــلى مجـــالات المسؤولية التي ستصنع فيها الزّوجة القـــرارات عـــلى حريـــتها الخاصة. (بالطبع، يجب أن تشعر بالحرية في طلب النصيحة من زوجها كلما رغبت ذلك.) إنما مجالات مسؤوليتها ستتغيّر من أسرة إلى أسرة، لكن قد تتضمّن المأكل والمشرب وتزيين البيت والسيارات والتربية وخِلافه.

يحتوي أمثال ٣١: ١٠-٣١، وصف المرأة التقية، على قدر هـــائل من اتخاذ القرارات الذي كان في عُهدة الزّوجة. لم يكن ممكـــناً بالـــتأكيد أن تشعرَ أنّ قدراتها غير مستغلة. أقترح أن الـــزّوجين الحكيمين الناضجين يعطيان للزّوجة كل المسؤولية التي تقدر على تحمّلها وترغب في تحمّلها. الزوج المطمئن في احـــترامه لذاتـــه لن يرى مجهودات زوجته على أنها منافسة. والزوجة التي تدرك قيمتها الذّاتية المعطاة من الله لا يجب أن تثـــبت قيمتها فيما بعد. الزوج والزوجة اللذان يعملان كفريق، فيشجّع كل منهما الآخر أن يبلغ أقصى حدود إمكانيته من أجل الله، سيجدان مكافأة مجزية.

قد يتفق الزّوجان أيضاً على أنه إذا وعندما ينشأ خلاف في مجـــال معيـــن، يقع صنع القرار النّهائي على عاتق الزّوجة. يكـــون مـــن الحكمة عمل ذلك خصوصاً عندما يكون للزّوجة خـــبرة في ذلك المجال المعيّن. لكن الفرق شاسع بين ما ننادي بـــه هـــنا وبين إصرار الزوجة على فرديتها الخاصة بتحدّي زوجها. كيف يمكن أن نحصل على فريق في وجود موقف أو ســـلوك يعلّي شأن أحد الطرفين؟ يجب أن يدور الزّواج حول الوحدة، ويجب أن يعكس اتخاذ القرارات تلك الوحدة.

الخلاصة

خلاصة القول إني أقترح أنّه إذا اتفق الزوجان على نموذج لاتخاذ القرارات، فيمكن أن يتجنّبا العديد من المعارك. النّموذج الكتابي الذي أقترحه يقوم على التّعبير المتبادل والكامل عن الأفكار والمشاعر المتعلّقة بالأسئلة موضوع الحوار، والسعي إلى بلوغ قرار إجماعي – يتفق عليه الاثنان أنه أفضل قرار.

عندما لا يمكن بلوغ مثل هذا الإجماع، انتظرا وابحثا عن مزيد من الإرشاد. ناقشا الموضوع ثانيةً فيما بعد هادفين إلى الوحدة. فإذا لم تبلغا حقاً مثل هذه الوحدة، ويجب أن يصنع القرار فوراً، يجب أن يصنع الزّوج القرار الذي يشعر أنه الأفضل ويتحمل مسؤولية ذلك القرار. ويجب أن تعترف الزّوجة بمعارضتها وتعبّر عن استعدادها للعمل مع زوجها وتقبل قيادته. مثل هذا الموقف يجلب وحدة قلبية في النهاية أهم بكثير من أي قضية بعينها.

واجبات النّمو

للأزواج:

١. فـــي فقرة واحدة أجب على السّؤال التّالي: كيف تُصنَع القرارات في بيتنا؟ (صف العملية بوضوح بقدر الإمكان.)

٢. إذا قـــرّرت اتباع نموذج اتخاذ القرار الذي ناقشناه في هذا الفصل، فأي تّغييرات يجب أن تجريها؟ اكتب قائمة بها.

٣. اطلب من شريكك أن يقرأ الفصل وأجب على السّؤالين السابقين.

٤. عـــندما تكملان هذه الواجبات، حددا وقتاً لمناقشة اتخاذ القـــرارات عـــلى ضوء النّمو. ربما تصلح الأسئلة التّالية لكما كدليل للمناقشة:

أ. هل نتفق على أن الوحدة بين الزّوج والزّوجة هي هدفنا في اتخاذ القرارات؟

ب. ماذا كانت مشكلتنا الأكثر شيوعاً في بلوغ وحدة القرارات؟

ج. ماذا يلزم تغييره لكي نتغلّب على هذه المشكلة؟

د. هل وافقنا على من سيصنع القرار في تلك المناسبات النّادرة التي يجب فيها صنع القرار «اليوم» ونحن لم نحقق الوحدة بعد؟

هـ. هل نحن نطلب من الله أن يساعدنا ونحن نسعى إلى النمو في الوحدة ؟

٥. اقرأ فيلبي ٢: ٢-٤. ما التوجيهات الذي يقدّمها هذا المقطع لاتخاذ القرارات في البيت؟

للعزّاب:

١. هل تتفق أنت ورفيقك المتوقّع على نموذج اتخاذ القرارات الذي ناقشناه في هذا الفصل؟

٢. أي درجة من الوحدة تختبرانها في صنع القرارات؟

٣. ماذا فعلتما عندما لم يمكن الاتفاق على قرار معيّن؟

٤. بعد مناقشة الفصل مع من تواعده، اتفقا على تجربة نموذج اتخاذ القرار الذي ناقشناه في هذا الفصل لمدة شهر. ربما ستصادفان واحدة من الحالات التي «يجب تقريرها اليوم»،

ممـــا ســـيوفّر للرّجل تدريباً على النّهوض بالمسؤولية والمرأة خبرة في المساعدة على إنجاح قرار لا توافق عليه بالكامل .



٩

" كل ما يفكّر فيه هو الجنس "

وآمال العروس والعريس كثيرة، لكن ربما أكثرها أحلام تألقاً حلم الاتحاد الجنسي في الزّواج. يُقدِم الكثيرون على الزواج وفي أذهانهم صورة من المجون الجنسي العظيم: صباحاً، وظهراً، وليلاً. من الواضح أنه بالنسبة إلى الآلاف في بلادنا تتحطّم تلك الأحلام ولا تتحقق تلك الآمال. لماذا لا يستطيع الزوجان المتعلّمان المثقّفان أن يجدا إشباعاً في هذا المجال الهام جداً من الزّواج؟ يكمن جزء من الجواب في التّوقعات غير الواقعية.

إن مجتمعنا قد ظلمنا. الأفلام، والمجلات، والروايات قد حملت لنا فكرة أنّ الإثارة الجنسية والإشباع المتبادل يحدث تلقائياً عندما يلتحم الجسدان معاً. ويقال لنا إنّ كل ما يلزم لتحقيق الشبع الجنسي هو طرفان موافقان على ممارسة

الجنس. لكن هذا غير صحيح بالمرة. الجنس معقّد ورائع أكثر بكثير من ذلك. عندما نقبل على الزواج مقتنعين بوهم أن الشبع في هذا المجال «سيحدث من تلقاء ذاته» نكون مقبلين على خيبة أمل مُحتّمة.

الوحدانية الجنسية، التي أقصد بها الشبع المتبادل للشّريكين، بحيــث يكون كلاهما متمتّعاً بنشاطه الجنسي وبإحساس صحّي مــن الشبع الجنسي، لا تحدث تلقائياً. إنها تتطلّب نفس الدرجة من الالتزام والجهد التي تتطلبها الوحدانية الذهنية أو الوحدانية الاجتماعية، التي سبق وناقشناها.

سيقول البعض: «هل تعني أننا يجب أن نجتهد لكي نستمتع بالجنس؟ كنت أعتقد أنّ ذلك يحدث من تلقاء ذاته!» فأجيب: «إن هذه الفكرة الخاطئة بالذات ستكون أكبر مانع عندك أمام الوحدانية الجنسية». أنا لا أقول إن الناحية الجنسية من الزّواج هي عناء ومشقة، وكأنها شيء يتطلّب تعباً ومجهوداً غير مجزٍ. إنما أقول إنّ الوقت والعمل الذي تستثمرانه في هذا المجال سيجازيك أضعافاً مضعّفة.

الأزواج الذين ينمون نحو النضج في هذا المجال سيشرق عليهم الخالق بابتسامة، فهو من قال: «وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (تكوين ٢: ٢٤). أولئك الذين لا يحققون الوحدانية الجنسية لن يدركوا بهجة الزّواج التّامّ. أي شيء أقل من الإحساس العميق بالشبع من جانب كلا الشّريكين هو شيء أقل من المتاح. فما هي إذن التوجيهات التي ستقودنا إلى مثل هذه الوحدانية؟

الموقف الصحّي

واحدة من موانع الوحدانية الجنسية هو الموقف السلبي من الجنس عموماً والاتصال الجنسي خصوصاً. يمكن أن يكون أصل مثل هذه المواقف القدوة الأبوية السيئة، التربية الجنسية المشوّهة، خبرة جنسية سيئة وقت الطفولة، أو تورطات جنسية في فترة المراهقة جلب لك الإحباط والشعور بالذنب. الأصل لا يهم نسبياً. إنّ ما يهم هو أن نفهم أننا سادة مواقفنا الذهنية. نحن لسنا بحاجة إلى أن نكون عبيداً لمشاعرنا السّلبية إلى الأبد.

الخطوة الأولى للتغلّب على مثل هذه المواقف السّلبية هي التعرّض للحقيقة. قال يسوع: «إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي ... تَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨: ٣١-٣٢). فما هو الحق في مسألة الجنس؟

الحق أنّ الجنس هو فكرة الله. كما سبق وناقشنا، الله هو الذي صنعنا ذكراً وأنثى. الإنسانية قد استغلّت الجنس أسوأ استغلال، لكن الإنسانية ليست مَن أبدع الجنس أصلاً. الله القدوس، المنفصل كلياً عن الخطية، هو الذي صنعنا كائنات جنسية. لذلك، فالجنس صحّي وصالح.

ذكورتنا وأنوثتنا هي فكرة صالحة. لا شيء من القذارة أو النجاسة في أعضائنا الجنسية. هي بالضبط كما قصدها الله أن تكون. هو خالق كامل، وكل ما قد صنعه صالح. لا يجب أن نتنازل عن قداسة الجنس لأن الناس قد استغلّوه ورخّصوه بسوء الاستعمال. الجنس ليس العلامة التجارية الخاصة بالعالم؛ إنما يحمل علامة شخصية تقول: «مصنوع بواسطة الله».

حتى الكنيسة أحياناً أذنبت بتحريف هذه الحقيقة. في تلهّفنا أن ندين سوء استعمال الجنس، قد حملنا فكرة أن الجنس نفسه شرّير. لكن ذلك غير صحيح. كتب بولس الرسول إلى أهل كورنثوس: «الْجَسَدَ ... لِلرَّبِّ ... جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ» (اكورنثوس ٦: ١٩،١٣). جسدنا كله صحّي. جسدنا كله صالح وطاهر.

الخطوة الثّانية في التغلّب على الموقف السلبي نحو الجنس أن نتجاوب مع الحقيقة. إذا كان الجنس حقاً هو هبة الله ، والتواصل الجنسي بين الزّوج والزّوجة هو رغبة الله لنا، إذن فلا يجب أن أسمح لعواطفي المشوّهة أن تبعدني عن إرادة الله. يجب أن أعترف بمشاعري لله ولرفيقي وبعد ذلك أشكر الله على أني غير مضطر أن أذعن لتلك المشاعر. يمكن حتى أن تصلي مثل هذه الصلاة بصوت مسموع أثناء القيام بالعمل الجنسي نفسه. فإذ أصنع مشيئة الله في شركة معه، ستتغيّر عواطفي ومواقفي. وإذا راعيت هذه العواطف السّلبية برفض التعبير عن الحبّ من خلال الاتصال الجنسي مع رفيقي، أفشل

في أن أمارس حريتي بأن أعيش فوق عواطفي. الأفعال الإيجابية يجب أن تسبق العواطف الإيجابية.

انفتاح على التّواصل

إذا كانت هناك كلمة واحدة أهم من غيرها في الحصول على الوحدانية الجنسية، فهي كلمة **التّواصل**. لماذا نحن مستعدون أن نناقش أي شيء آخر ونحجم عن التّواصل بصراحة في هذا المجال من حياتنا؟ لا تقدر زوجتك أن تعلم مشاعرك، احتياجاتك، وأمنياتك إذا لم تعبّر عنها. وزوجك لن يعلم ما يسرّك إذا لم تخبريه. أنا لم أسمع عن زوجين حققا الوحدانية الجنسية قط بدون تواصل صريح حول الأمور الجنسية.

صرّحت زوجة ذات مرة في مكتبي أنها متزوّجة منذ ثلاث سنوات ولم تستمتع بهزة الجماع مرة واحدة. فضلاً عن ذلك، لم تطلِع زوجها على حقيقة الأمر. هي لم تشأ أن تؤذيه. ربما كان العيب فيها – هذا ما اعتقدته. قد استفسرت من طبيبها واطمأنت أنّها لا تعاني من أي مشكلة جسدية. ولما أخبرت

زوجها أخيراً بكل هذا، سرعان ما حُلّت المشكلة. لا يمكن أن يعمل زوج على حل مشكلة هو غافل عنها. لكن الزوج يجب أن يسأل أسئلة ليقرر شبع زوجته من عدمه.

في محاولة لدعم التواصل في محاضراتي عن الحياة العائلية، دأبت على الطلب من الزوجات والأزواج بشكل دوري أن يكتبوا نصيحتهم التي يودّون أن يقدموها لرفاقهم بخصوص العمل الجنسي. وهي: «ما الاقتراحات التي تقدمها لرفيقك التي تشعر بأنها ستجعل العمل الجنسي ذا مغزى أكثر؟» توجد مجموعة من هذه الاقتراحات في نهاية هذا الفصل. عسى أن تشجّعك أنت وشريكك أن تجدّد التّواصل في هذا المجال.

فهم الغرض من الجنس

يلاقي بعض الأزواج صعوبة في النّمو لأنهم لا يفهمون غرض الجنس كما يعلنه الوحي. أما الغرض الأكثر وضوحاً - غير أنه بالتأكيد ليس الغرض الوحيد - هو التكاثر. بعدما خُلق الإنسان، ذكراً وأنثى: «بَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ:

«أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ» (تكوين ١: ٢٨). التّواصل الجنسي لغرض التكاثر هو الطريقة التي يسمح لنا بها الله في بالمشاركة في إثارة الخلق. ما أقل لحظات الإثارة في حياة البشر التي تضارع لحظة النظر إلى وجه رضيعٍ، هو وليد حبّك لرفيقك.

يُنظَر إلى الأطفال في الكتاب المقدس دائماً كعطية من الله . «هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ» (مزمور ١٢٧: ٣). فماذا عن موانع الحمل إذن؟ يجادل البعض بأن الأمر الأصلي لله بأن «امْلأُوا الأَرْضَ» قد تمّ الآن. لذلك، فيجب أن نوقف «ملء» الأرض، خِشية أن نُغرِق الأرض. عندما ينظر الإنسان بواقعية إلى مشكلة الجوع في العالم، يثور تعاطفه لمثل هذا الرأي.

لكن هناك مبدأ أعلى ينطوي عليه الموضوع. قد خُلِقنا كائنات مسؤولة. وعلى مدى الكتاب المقدس كله نجد الوالدين مسؤولين عن العناية باحتياجات الأطفال الذين «يخلقونهم» – إذا جاز التعبير. كوالد مسؤول، أنا يجب أن أستخدم العقل في تقرير عدد الأطفال الذين يمكن أن أهتمّ بهم بواقعية. فكما

أعطانا الله المساعدة الطبية من خلال جهود الرّجال المكرّسين، كذلك هو قد أعطانا وسائل لتحديد عدد الولادات. من المثير للاهتمام أنّ مثل هذه المعرفة قد اكتُشِفت في أجيالنا ذات الاحتياج الأعظم بالنظر إلى مشكلة التضخم السكاني الحالية. كمسيحيين ينبغي أن نستخدم كل مواهب الله بأسلوب مسؤول. لذلك، أعتقد أن الزوجين يجب أن يناقشا ويقرّرا معاً متى سيستعملان تحديد النسل وما هي طريقة تحديد النسل التي سيستعملانها كأشخاص مسؤولين. هذه المسألة يجب أن تُناقش مع الطّبيب عندما يذهب الزّوجان لإجراء الفحوص السابقة للزواج.

الغرض الثّاني من التّواصل الجنسي ضمن الزّواج أعلن في الكتاب المقدس أن يقابل الاحتياجات العاطفية الجسدية. يتكلّم بولس إلى هذه النّقطة عندما يقول:

لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ، وَكَذلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضًا الرَّجُلَ. لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ

لِــــلرَّجُلِ. وَكَذلِـــكَ الـــرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَـــدِهِ، بَـــلْ لِلْمَرْأَةِ. لاَ يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ الآخَرَ، إِلاَّ أَنْ يَكُـــونَ عَلَى مُوافقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّـــلاَةِ، ثُـــمَّ تَجْـــتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا لِكَيْ لاَ يُجَرِّبَكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ. (١كورنثوس ٧: ٣-٥)

يتعامل بولس مع حقيقة الاحتياج العاطفي الجسدي القوي التي للزّوج وللزّوجة الواحد منهما تجاه الآخر. نحن كائنات جنسية، وعندنا هذه الرغبة القوية بعضنا نحو البعض جنسياً. نعم، كما سبق وناقشنا، أكبر مشكلة لنا قبل الزّواج هي السيطرة على هذه الرغبة الجنسية القوية. لكن في إطار الزّواج، تجد تلك الرغبة شبعاً كاملاً في التّواصل الجنسي.

رغباتنا الجنسية طبيعية وهي من عند الله. مع الرغبة أعطانا الله أيضاً النّموذج المثالي لإشباعها. ذلك النّموذج هو التعبير الجنسي المنتظم في إطار الزواج. هناك طرق صحّية أخرى لإشباع هذا الاحتياج قبل الزّواج، كما نوقش في كتاب

«رِيك ستيدمان» *"Pure Joy: The Positive Side of Single Sexual"* (انظر الملحق). أولئك الذين لا يتزوّجون، لأي سبب كان، يجدر بهم أن يتبعوا تلك الأنماط نفسها.

لكن المعيار بالنسبة إلى الجنس البشري، كما يعلنه الوحي، هو أنّ يتم إشباع هذه الاحتياجات بالتّواصل الجنسي في سياق الزّواج. عندما نحرم بعضنا البعض من هذا الامتياز، نحبط النّموذج المُعلَن الذي كشفه لنا الله. فإذا تولّى الأزواج والزوجات فعلاً هذه المسؤولية بجدية، ستهبط نسبة العلاقات الجنسية خارج العلاقة الزوجية بشدّة.

ولعل زوجة صادقة تقول: «لكني لا أودّ أن أمارس الجنس بنفس عدد المرات التي يرغبها زوجي». هذه النّقطة التي يمكن عندها للزوجة – كما قال تشارلي شيد – تكون «مبشّرة» لزوجها. بشكل صريح وصادق عبّري عن مشاعرك لرفيقك، لكن أيضاً أعلميه أنك متأهبة كل التأهب لتسديد احتياجاته. لا داعي لاجتياز كل مراحل المداعبة وغيرها من النشاطات المستهلكة للطّاقة إذا كنتِ مُتعَبة. عرّفيه ببساطة أنكِ تحبّينه

وتريدين أن تسددي احتياجاته. هذا يمكن أن يتم في العادة في وقت قصير جداً وبحد أدنى من الطّاقة. لا يجب أن تُجبَر الزّوجة على بلوغ هزة الجماع (الذّروة) إذا لم تكن ترغب في ذلك. إذا لقيت الاحتياجات تسديداً، إذن فواحد من أغراض الجنس قد تحقّق.

ثالث غرض للجنس مُعلن في الكتاب المقدس هو توفير المتعة. أولئك الذين يشعرون بأن الله يتمنى بؤس الإنسان وشقاءه قد يجدون صعوبة في تقبل هذا الغرض. لكن الوحي يوضح أن خطط الله لنا صالحة دائماً: «لأَنِّي عَرَفْتُ مَا رَسَمْتُهُ لَكُمْ. إِنَّهَا خُطَطُ سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ لأَمْنَحكُمْ مُسْتَقْبَلاً وَرَجَاءً» (إرميا ٢٩: ١١ من ترجمة كتاب الحياة). لم يكن الله ملزماً بأن يجعل العمل الجنسي ممتعاً، لكنه صنعه هكذا. فكان الجنس واحداً من تلك العطايا السخية التي يشتهر بها الله.

يسجّل الأصحاح الثامن عشر من التّكوين حدثاً شيّقاً جداً في حياة إبراهيم وسارة. كان ملاك الله قد جاء ليعلن أنّهما على وشك أن يرزقا بابن. فكرة رائعة، لكن إبراهيم كان عمره مائة سنة، وسارة كانت قاربت التسعين! فطرح إبراهيم سؤالاً

معقولاً على هذا الرّسول السّماوي، ويقول الكتاب المقدس عند الرد على السؤال إن سارة «ضَحِكَتْ ... فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟»» (تكوين ١٨: ١٢). الكلمة المترجمة «تنعّم» في العبرانية لا ترد في أي موضع آخر في العهد القديم. سارة تفكّر في الخبرة اللذيذة للعمل الجنسي. قد شاخت، وكيمياء الجسم ليست كما كانت من قبل، لكنها لم تشِخ بالقدر الذي ينسيها كم كانت هذه الخبرة مُلذّة.

إنّ نشيد سليمان غاصّ بإيضاحات عن متعة الناحية الجنسية من الزّواج (٦: ١-٩؛ ٧: ١-١٠). قد تكون العبارات الوصفية غريبة على ثقافتنا، لكن القصد واضح. القصد من الذكورة والأنوثة هو أن يتمتّع بهما الزوجان.

مقطع شيّق آخر يوجد في سفر التثنية ٢٤: ٥، حيث يعلن الوحي: «إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً جَدِيدَةً، فَلاَ يَخْرُجْ فِي الْجُنْدِ، وَلاَ يُحْمَلْ عَلَيْهِ أَمْرٌ مَّا. حُرًّا يَكُونُ فِي بَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً، وَيَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي أَخَذَهَا». الكلمة المترجمة «يَسُرُّ» مترجمة في مكان آخر «يمتع» وهي نفس الكلمة المستعملة بمعنى الإمتاع الجنسي.

عليه أن يبقى في البيت و«يمتّع» زوجته لمدة سنة واحدة. هذا شهر العسل حقاً!

هذا مكان جيد لتحويل مسار الحديث للحظة ونلقي كلمة عن شهر العسل. إننا نحاول أن نضغطه في ثلاثة أيام أو أسبوع على الأغلب. المفروض أن يكون شهر العسل سماءً على الأرض، لكن بالنسبة إلى الكثيرين يتحوّل إلى وقت مخيّب للظن جداً. إذا كان الله اقترح سنة للمتعة، فماذا يجعلنا نظنّ أننا نستطيع أن نعيش في جنة جنسية في ثلاثة أيام؟ دعوني أكرّر أن الوحدانية الجنسية تستغرق وقتاً.

شهر العسل الحديث المثالي وقت مضغوط جداً. لعدة أسابيع قد أنفقتما الطاقة على التّحضير للزّفاف. انتهت حفلات العزوبية وهدايا الزفاف. ألقى عليكما الأحباء آخر حفنة من الملح (أو الأرز)، والآن أنتما منفردين. الإعياء الجسدي والعاطفي لا يساعدان على تحقيق خبرة جنسية ذات معنى. تأقلمكما على هذا الوضع الجنسي الجديد يبدأ باثنين من العوامل المضادة: الإرهاق والتعوّد على الوضع الجديد.

لا تتوقّع من شهر عسلك أكثر من اللازم. في أحسن الأحوال، إنه مجرد بداية لما سيحدث. متعتك الجنسية في شهر العسل ستكون أقل ما يمكن بالمقارنة بالسنة التالية إذا ألزمتما أنفسكما بالنّمو في الوحدانية.

ومن الأشياء الوثيقة الصلة جداً بفكرة المتعة مفهوم الحبّ. واحدة من رغبات الحبّ هي إمتاع المحبوب. لذلك فالتواصل الجنسي في إطار الزواج يصبح طريقة هادفة جداً لإظهار الحبّ. إنه واحد من أعلى أصوات الحبّ. يعني هذا أن كل رفيق يجب أن يفكّر في إمتاع الآخر (فيلبي ٢: ٣-٤). على الزّوج أن «يِمتّع» زوجته، وعلى الزّوجة أن «تمتّع» زوجها. إنه في بذل الذات المتبادل يجد الحبّ أسمى تعبير له.

تحقيق الوحدانية

إنجاز هذه الأغراض الكتابية سيستغرق وقتاً، لكن الالتزام المتبادل بهذه الأغراض سيقود جهودكما نحو الوحدانية. كذلك يساعد فهم الاختلافات العاطفية - الجسدية بين الجنسين أيضاً في النّمو.

وجدير بالذكر، على سبيل المثال، أن الغريزة الجنسية بالنسبة إلى الذكر تستند على الناحية الجسدية أكثر من الأنثى. ذلك بأن الغدد التناسلية الذّكرية تنتج خلايا السائل المنوي بشكل مستمر. ثم يتم تخزين هذه الخلايا مع السّائل المنوي في الحويصلات المنوية (الخصيتين). وعندما تمتلئ الحويصلات المنوية، يبدأ الجسم يطالب بتصريف هذه الخلايا. لا شيء يماثل ذلك عند الأنثى.

أما بالنسبة إلى الأنثى، فإن الاحتياج الجنسي عاطفي أكثر منه جسدي. ومدلولات هذا الاختلاف يسهل ملاحظتها. على سبيل المثال، لا يجد الزّوج صعوبة كبيرة في إقامة علاقة

جنسية بعد ساعة واحدة من جدال عنيف مع زوجته. أما الزّوجة فتجد هذا شبه مستحيل. عواطفها مرتبطة بالموضوع أكثر من اللازم. فلا يمكنها التمتع بشبع جنسي ذي معنى عندما تكون الأمور في المجالات الأخرى من العلاقة على ما لا يرام.

الاقتراحات الواردة على الصّفحات التّالية ستبيّن أن العلاقة الجنسية الجيدة بالنسبة إلى الزوجة تبدأ في الصّباح وتزداد مع كل تلك التعبيرات الإيجابية القليلة المراعية لمشاعرها من ناحية الزّوج خلال اليوم. اللطف ومراعاة الشعور من ناحية الزّوج يمهّدان الطّريق للخبرات الجنسية ذات المعنى.

نحتاج أن نفهم الاختلافات في الرّدود العاطفية الجسدية للذّكور والإناث في عمل التّواصل الجنسي نفسه. يميل الزّوج إلى بلوغ الذروة الجسدية العاطفية بشكل سريع نوعاً ما، وبعد بلوغ ذروته العاطفية يهبط بشكل سريع أيضاً، في حين أن الزّوجة تتدرّج أكثر بكثير في تغييراتها العاطفية، قبل الذّروة وبعدها. هذا الاختلاف يحمل الكثير من الدلائل بالنسبة إلى

الزّوج والزّوجة اللذين يرغبان في اختبار الوحدانية الجسدية. الاقتراحات المقدّمة على الصّفحات التّالية تشير إلى بعض هذه الدلائل.

لم يكن الغرض من هذا الكتاب تناول كل تفاصيل التكيُّف الجنسي. هناك مواد ممتازة متوفرة (انظر ملحق)، وأنا أوصي بالتّالي لمن يريدون معلومات إضافية: " Sexual Happiness in Marriage " ، بقلم الدكتور " Herbert Miles " ، و" The Act of Marriage" ، بقلم تِم وبيفيرلي لاهاي. كلا الكتابين مكتوب من منظور كتابي شامل ومع ذلك واقعي في التّعامل مع المشاكل العملية للتكيّف الجنسي.

أوصي أيضاً بكتاب " Intended for Pleasure " ، بقلم إد وجاي هويت. كتب الدكتور هويت – وهو طبيب مسيحي بارز – وزوجته ، هذا الكتاب للأزواج الذين يريدون أن يختبروا أفضل ما عند الله في الوحدانية الجسدية. كل هذه المصادر ممتازة وتقدم مساعدة عملية في التكيّف الجنسي. ويجب أن تكون في مكتبة كل زوجين مسيحيين.

واجبات النّمو

للأزواج:

ما تقييمك للناحية الجنسية من زواجك؟

______ ممتازة ______ جيدة ______ معقولة ______ سيئة

٢. في فقرة قصيرة، اكتب موقفك من الناحية الجنسية للزّواج.

٣. إذا كنتِ الزوجة، فلتقرئي «اقتراحات تقدمها الزوجات للأزواج: كيف تجعل العلاقة الجنسية ذات معنى أعمق». علّمي على البنود التي تودّين أن تذكريها لزوجك.

٤. إذا كنت الزوج، فلتقرأ «اقتراحات يقدمها الأزواج للزوجات: كيف تجعل العلاقة الجنسية ذات معنى أعمق». علّم على البنود التي تودّ أن تذكرها لزوجتك.

٥. عندما يشعر كلٌّ منكما بشعور طيّب وبانفتاح على النّمو، ناقشا معاً البنود التي علّمتماها. ركّز على ما يقوله شريكك، بدلاً من محاولة الدفاع عن نفسك. إنّ غرض المحادثة هو النّمو، لا الدفاع.

٦. في وقت آخر، اكتب لنفسك ما يمكن أن تفعله وما ستفعله لتنمو في الوحدانية الجسدية مع رفيقك. وبعد شهر من الآن راجع قائمتك لترى ما التحسينات التي أدخلتها. حدّد أهدافاً جديدة كل شهر.

للعزّاب:

١. ما موقفك نحو ذكورتكَ؟ وأنوثتكِ؟

______ جيد ______ سيئ ______ حيادي

٢. إذا كنتما مخطوبين أو تتحركان في ذلك الاتجاه، فناقش مع شريكك الأغراض الكتابية للجنس كما نوّهنا إليها في هذا الفصل. هل توافقان على هذه الأغراض؟

٣. ما مواقفك نحو إنجاب الأطفال؟ نحو تحديد النسل؟ هل شريكك يوافق؟

٤. اقرأ كتاب رِيك ستيدمان *"Pure Joy: The Positive Side of Single Sexuality"* وناقش محتوياته مع شريك زواجك المتوقّع.

اقتراحات يقدمها الأزواج للزوجات

كيف تجعل العلاقة الجنسية ذات معنى أعمق

١. كوني جذّابة في وقت النوم - لا تضعي بكرات لف الشعر. البسي شيئاً مثيراً، لا تلبسي جلباباً أو بيجامة قديمة مهلهلة.

٢. كوني البادئة بين الحين والحين.

٣. كوني خلاّقة وخصبة الخيال.

٤. لا تخجلي من إظهار استمتاعك بالجنس.

٥. لا تلزمي نفسك دائماً بجدول زمني تكون نتيجته أن نمارس الجنس عندما نكون نحن الاثنين متعبين جسدياً.

٦. تزيّني بشكل جذّاب أكثر عندما أكون في البيت (لا تلبسي ثياب البيت أو العمل أو الشبشب).

٧. افعلي أشياء تشد انتباهي؛ يسهل استثارة الرّجال عن طريق البصر.

٨. تحدثي بصراحة أكثر عن الجنس؛ أعلميني باستعدادك لعمل الجنسي الفعلي بمجرد نجاح المداعبة في إثارتك بما يكفي.

٩. اذهبي إلى الفراش مبكراً.

١٠. لا تجعليني أشعر بالذنب في الليل على أفعالي المتناقضة أثناء النهار (عدم إظهار ما يكفي من الحنان، الخ).

١١. أطيلي العلاقة الجنسية في بعض الأوقات.

١٢. كوني أكثر إدراكاً لاحتياجاتي ورغباتي كرجل.

١٣. شاركي في العمل الجنسي بمزيد من الحرّية والانفتاح؛ كوني أكثر خضوعاً وإقبالاً.

١٤. اسمحي بتنوع في الوقت للعمل الجنسي (ليس دائماً في الليل).

١٥. أظهري رغبة أكثر، وافهمي أن العناق والمداعبة يهمانني مثلما يهمانك تماماً.

١٦. مزيد من التنوع في الأوضاع؛ ليكن تفكيرك منفتحاً تجاه التّنوع.

١٧. لا تسمحي لنفسك أن تظلّي متكدّرة البال على الأحداث اليومية التي تُصيب بالفشل.

١٨. استرخيا معاً على الأقل مرة كل أسبوع.

١٩. توقفي عن محاولة الظهور بمظهر رومانسي بدلاً أن تكوني رومانسية بالفعل.

٢٠. لا تلعبي دائماً لعبة «لن تنالني بسهولة».

٢١. فضّي ذهنك من الأمور اليومية (اليوم وغداً) وفكّري في المسألة الحالية – الحبّ.

٢٢. لا تقولي «لا» أكثر من اللازم.

٢٣. لا تحاولي أن تزيّفي المُتعة.

٢٤. لا تحاولي أن تعاقبيني بحرماني من الجنس أو بمنحه بتذمّر.

٢٥. عامليني على أني حبيبك.

٢٦. أصغي إلى اقتراحاتي بخصوص ما يمكن أن تفعليه لتحسّني علاقتنا الجنسية.

اقتراحات تقدمها الزوجات للأزواج

كيف تجعل العلاقة الجنسية ذات معنى أعمق

١. أظهِر عاطفة وانتباه أكثر على مدى اليوم؛ ادخل بعد العمل وقبّل عنقي.

٢. اقضِ وقت أطول في المداعبة؛ الحبّ واللعب والملاحظات الرومانسية هامة.

٣. شجّع العمل الجنسي في أوقات متنوعة، بدلاً من دائماً في الليل عندما نكون متعبين.

٤. كُن أكثر تعاطفاً عندما أكون مريضة حقاً.

٥. كن البادئ بدلاً من انتظار أن آخذ أنا الخطوة الأولى.

٦. اقبلني كما أنا؛ اقبلني حتى عندما ترى أسوأ جانب منّي.

٧. أخبرني أنك تحبّني في أوقات أخرى غير أوقات المضاجعة؛ اطلبني في الهاتف أحيانا لمجرد أن تقول «أحبّك!» لا تكُن خجلان من قول «أحبّك» أمام الآخرين.

٨. حينما آخذ دُشاً، ابحث عن موسيقى ناعمة في الرّاديو.

٩. عاملني كزوجتك، لا كواحدة من الأطفال.

١٠. أكرِم المسيح كرأس البيت.

١١. اكتب ملاحظات حبّ بين الحين والآخر؛ أرسل بطاقات حبّ من صنع يديك.

١٢. تحدّث معي بعد الجماع؛ داعبني بعد الجماع.

١٣. كن حلواً ومحبّاً قبل البدء بالجنس على الأقل ساعة واحدة.

١٤. أظهر اهتماماً فيما أقول في الصبّاح.

١٥. لا تبدو كما كنت ضَجِراً مني في المساء.

١٦. ساعدني في غسل الصحون في العشاء.

١٧. نم في ساعة مبكرة، بدلاً من مشاهدة التّلفزيون.

١٨. قل شيئاً من الكلام الحلو وكُن صبيانياً.

١٩. أحضر لي زهرة أو حلوى بين وقت وآخر، عندما يسعك ذلك.

٢٠. اشترِ لي ملابس داخلية بين وقت وآخر، عطراً، الخ.

٢١. أعرِني انتباهاً رومانسياً (امسك يدي، قبّلني) حتى أثناء النشاطات غير الرومانسية نسبياً (مشاهدة التلفزيون، ركوب السيارة، وهكذا).

٢٢. ساعدني أشعر بأنّي جذّابة جنسياً ورومانسياً بمدحي أكثر.

٢٣. أخبرني بما تتمتّع به ومتى تكون هائجاً؛ عبّر عن رغباتك بانفتاح أكثر؛ شارك نفسك بالكامل معي.

٢٤. حاول أن لا تقذف بسرعة.

٢٥. عبّر عن تقديرك للأشياء القليلة التي قد عملت ذلك اليوم. (على سبيل المثال، قُل الوجبة كانت جيدة، أنا معجب بترتيب البيت.)

٢٦. صلِّ معي عن المشاكل والانتصارات التي عندك؛ دعني أعبّر عن احتياجاتي الخاصة لك.

٢٧. قدّر جمال الطبيعة وشاركني بهذا التقدير.

٢٨. تحمّل المزيد من المسؤولية في تهدئة الأطفال حتى يمكنني أن أسترخي وأشارك في مسائك أكثر.

٢٩. اصبر عليَّ؛ لا تسخر من بطئي في بلوغ الذّروة.

٣٠. لا تقرُب المضاجعة كنشاط طقسي؛ اجعل كل مرة خبرة جديدة. لا تدع المضاجعة تصبح مملة بعمل نفس الأشياء مراراً وتكراراً؛ جرب أشياء جديدة أو أماكن جديدة.

٣١. إياك وأن تحاول ممارسة الجنس معي وأنت تضمر ناحيتي مشاعر سيئة أو تعرف أن الأمور ليست على ما يرام؛ ليكن هناك انسجام بيننا لكي يصير التواصل الجنسي حقاً عملاً من أعمال الحبّ.

٣٢. اجعلني أشعر بأنّي ذات قيمة كشخص (ليس فقط كزوجة وأمّ) ، كُلّي بجملتي!

٣٣. فكّر في شيء لطيف تقوله عنيّ أمام الآخرين بين الحين والحين.

٣٤. أظهِر حبّ الأغابي (المضحِّي) وأيضاً الإيروس (الحب الجنسي) .

٣٥. اقضِ بعض الأوقات الهادئة معي ، دعنا نتشارك الحياة.

١٠

" آه لو كنتَ تعرف حماتي!! "

في مجتمعـــنا قد صارت نكات الحماة منتشرة جداً حتى أن العديد من الناس يشعرون بالخجل من الاعتراف بأن لهم علاقـــة جيدة بحماتهم. لكن الحقيقة أنّ الحماة التقية هي كنز لا يســاويه إلاّ الـــزوج تقي أو الزوجة التقية. من ناحية أخرى، فالحماة أنانية يمكن أن تكون «شوكة في الجسد» دائمة.

مـــا التوجيهات التي يقدمها الكتاب المقدس لعلاقاتنا بحَمَوَيْنا؟ كيـــف يجـــب أن يـــتجاوب الـــزّوجين مـــع أفكـــار الوالدين واقـــتراحاتهما واحـــتياجاتهما؟ ماذا يمكن أن نعمل عندما نرى الوالديـــن يحطّمان وحدتنا الزّوجية؟ يجب الموازنة بين مبدأين اثـــنين إذا أردنا اتباع الأنماط الكتابية في علاقاتنا مع حموينا: الولاء الجديد والإكرام المستمر.

"ترك" الأبوين

نقرأ في تكوين ٢: ٢٤: «لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا». يتكرّر هذا المبدأ في ٥: ٣١. نموذج الله للزّواج يشتمل على «ترك» الوالدين و«الالتصاق» برفيق واحد. يشتمل الزّواج على تغيير في الولاء. قبل الزّواج، كان ولاء الشخص لوالديه، لكن بعد الزّواج يتحوّل الولاء إلى شريك الحياة.

إنه ما يدعوه علماء النفس «قطع الحبال النفسية للمريلة». لم يعد الفرد يستند على والديه، لكن بالأحرى على رفيقه. إذا حدث نزاع على المصالح بين زوجة الرجل وأمّه، فعلى الزّوج أن يقف مع زوجته. هذا لا يعني أنّ الأمّ ستعامل بشكل قاسٍ. وذلك هو المبدأ الثّاني، الذي سنتناوله بعد قليل. إن مبدأ الانفصال عن الوالدين مهم جداً. لن يبلغ الزوجين إمكانيتهما الكاملة في الزّواج بدون هذا الانسلاخ النّفسي عن الوالدين.

ماذا يعني هذا المبدأ في الحياة العملية؟ أعتقد أن هذا يلمّح إلى ترتيب مكان منفصل للمعيشة للزّوجين الحديثين. أثناء الحياة مع الوالدين، لا يمكن للزّوجين أن يُنَمِّيا الاستقلال بسهولة مثلما

يمكن لهما لو كانا يعيشان بمفردهما. إنّ التّبعية للوالدين تزداد طالما يعيشان مع الوالدين. الحياة في شقة صغيرة مع حرية تنمية أسلوب حياتهما الخاص تحت إرشاد الله أفضل من الحياة الفاخرة في ظل الوالدين. يجب أن يشجّع الوالدان مثل هذا الاستقلال، والقدرة على توفير مثل هذا المكان للمعيشة يجب أن يكون العامل في وضع تاريخ الزّفاف.

إنّ مبدأ «ترك» الوالدين مهم أيضاً في اتخاذ القرارات. قد يكون لوالديك اقتراحات حول العديد من نواحي حياتكما الزوّجية. كل اقتراح يجب أن يؤخذ بجدية، لكن عند التّحليل النّهائي، يجب أن تصنع قرارك الخاص. يجب أن تكف عن صنع القرارات على أساس إسعاد الوالدين لكن على أساس إسعاد شريكك. تحت ظل الله أنتما وحدة جديدة، جمّعكما روحه لتعيشا لبعضكما البعض (فيلبي ٢: ٣-٤).

يعني هذا أنه قد يجيء الوقت الذي فيه يجب أن يجلس الزوج مع أمّه ويقول: «يا أمي، أنت تعلمين كم أحبّك كثيراً، لكن تعلمين أيضاً أنّي متزوّج الآن. أنا لا يمكن أن أحطّم زواجي لكي أصنع ما ترغبين. أنا أحبّك، وأريد أن أساعدك، لكن يجب أن أعمل ما أراه صواباً لزوجتي ولنفسي. أتمنى أن تفهمي

لأني أريد أن أواصل العلاقة الدّافئة التي طالما تمتّعنا بها على مدى السنين. لكن إذا لم تفهمين، فتلك مشكلة يجب عليكِ حلها. أما أنا فيجب أن أكرّس نفسي لبناء زواجي».

إذا كان مثل هذا القول قاسياً بالنسبة إليك، فلتشكر الله. إنك لم تصـــادف بعد حماة جسدانية أنانية عنيدة. مثل أولئك الحموات موجودات، والحزم مع الحبّ هو الجواب الكتابي لتصحيح مثل هــذه الحالــة. لا يجــب أن يسمح الزوج لأمّه أن تستمرّ في الســيطرة عــلى حياتــه بعــد الزّواج. مثل هذا ليس النّموذج الكتابي.

مــن الناحية الأخرى، يجب أن تؤخذ اقتراحات الوالدين بعين الاعتــبار الــذي تستحقّه. هم أكبر سنّاً وربما أعقل. مثال جيد على حكمة الحمى يوجد في خروج ١٨. كان يعمل موسى من الصّــباح وحــتى المساء يقضي لشعب إسرائيل. كانت حجرة الانــتظار ممتلئة دائماً، ولم يكن هناك وقت للاستراحة. «فَقَالَ حَمُــو مُوسَــى لَهُ: لَيْسَ جَيِّدًا الأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ. إِنَّكَ تَكِلُّ أَنْتَ وَهذَا الشَّعْبُ الَّذِي مَعَكَ جَمِيعًا، لأَنَّ الأَمْرَ أَعْظَمُ مِنْكَ. لاَ تَسْــتَطِيعُ أَنْ تَصْــنَعَهُ وَحْــدَكَ. اَلآنَ اسْمَعْ لِصَوْتِي فَأَنْصَحَكَ» (الأعداد ١٧-١٩).

فاســتطرد يقــترح بأنّ يتم تقسيم الجموع إلى آلاف، ومئات، وخمسينات، وعشرات، وأن تفوَّض السّلطة إلى رجال مؤهّلين آخرين يقضون لمن يقعون ضمن ولايتهم القضائية. حينئذٍ يتاح لموســى فرصــة قضــاء وقت أكثر مع الله وفي تعليم الناس شريعة الله (عددا ١٩-٢٠). وهكذا، تكون هذه خدمة «وقائية» بدلاً من كونها «خدمة وقت الأزمات». وكانت الحالات الصّعبة فقط تُحضَر إليه للقضاء فيها (عدد ٢٢).

رأى موســى حكمة مثل هذا الاقتراح وتبنّاه. وهو بهذا أعلن نضــجه الشخصي. لم يكن لزاماً عليه أن يثور ضدّ فكرة جيدة لمجــرد أنها جاءت من حميه. كان مطمئناً بما يكفي في قيمته واســتحقاقه الذاتي بما جعله يقبل فكرة جيدة، بغض النظر عن مصدرها.

مبدأ الانفصال عن الوالدين أيضاً له دلالات عندما يثور نزاع فــي الزّواج. الزوجة الشابة التي كانت دائماً تعتمد بشدّة على أمّهــا تميل إلى أن «تجري إلى أمّها» عندما تظهر مشاكل في الــزّواج. وفــي اليــوم التالي يعترف زوجها بخطئه، ويطلب الغفــران، فيعود الانسجام. لكن البنت لا تخبر أمّها بهذا. وفي المرة التالية التي يثور فيها نزاع تفضي بأسرارها إلى «ماما».

ويصبح هذا نموذجاً، وقبل مضي وقت طويل، ينمو عند أمّها مرارة نحو زوج ابنتها وتشجّع البنت على الانفصال عنه. لم تكن البنت عادلة مع زوجها وفشلت في أن تتبع مبدأ «ترك» الوالدين.

إذا حدثت نزاعات في زواجك (ومعظمنا معرضون لذلك)، فاسعَ إلى حلّها بالمجابهة المباشرة مع رفيقك. يجب أن يكون النزاع بمثابة حجارة تخطو عليها للوصول إلى النّمو. إذا وجدت أنك تحتاج إلى مساعدة خارجية، فاذهب إلى راعي كنيستك أو مستشار زواج مسيحي. هم مدرّبون ومجهّزون من قِبَل الله لمساعدتك عملياً. ويستطيعون أن يكونوا موضوعيين ويعطوا أدلة كتابية. أما الوالدان فيجدونه شبه مستحيل أن يكونوا موضوعيين.

إكرام الوالدين

المبدأ الثّاني الذي يتعلّق بعلاقتنا مع الوالدين موجود في خروج ٢٠: ١٢ وهو واحد من الوصايا العشرة: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ». وهو مكرّر في سفر التّثنية ٥: ١٦ وأفسس ٦: ٢.

الأمر بإكرام والدينا لم يبطل. فطالما هما يعيشان، يحقّ عليك إكـــرامهم. في أفسس ٦: ١ يقول بولس: «أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، أَطِيعُوا وَالِدِيكُـــمْ فِي الرَّبِّ لأَنَّ هذَا حَقٌّ». طاعة الوالدين توجيه يسري مـــن الـــولادة وحـــتى الزّواج. أما تصريح بولس الثاني فهو: ««أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ»، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، «لِكَيْ يَكُونَ لَكُـــمْ خَيْـــرٌ، وَتَكُونُـــوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ»». إكرام الوالديـــن توجيه يسري من الولادة وحتى الموت. كان الإكرام الأمر الأصلي وهو ثابت إلى الأبد.

معـــنى كـلمة **إكـــرام** «إظهـــار الاحترام». وهي تشتمل على معاملتهما باللطف والمهابة. صحيح أنّ ليس كل الآباء يعيشون حيـــاة محـــترمة. فـــلعل أفعالهم لا تستحقّ الإكرام، لكن لأنهم مخـــلوقون على صورة الله، هم يستحقّون الإكرام. ويمكنك أن تحـــترمهما لإنسانيتهما ولمكانتهما كوالدين لك، حتى عندما لا يمكـــن أن تحـــترم أفعالهما. يحقّ عليك دائماً أن تكرم والديك ووالدي شريك حياتك. «ترك» الوالدين لغرض الزّواج لا يمحو مسؤولية إكرامهم.

كيف يمكن التعبير عن هذا الإكرام في الحياة اليومية؟ تُكرِمهم بـــتأدية أفعال عملية مثل زيارتهما، مكالمتهما بالهاتف، وكتابة

الخطابـــات، ومـــثل تـــلك الأمور التي تؤكد لهما أنك لا تزال تحبّهما وتريد أن تشارك حياتك معهما. «الترك» لا يجب أبداً أن يـــترجم إلى «هجر». التواصل المنتظم أساسي لإكرام الوالدين. العجز عن التواصل مع الوالدين يقول، في الواقع: «أنا لم أعد أهتم بكما».

كلمة أخرى ضرورية بخصوص التّواصل مع الوالدين: يجب الحفـــاظ على المساواة في المعاملة بين والدي الزوج والزوجة عـــلى حد سواء. تذكّر: «لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ [محسوبية]» (روميـــة ٢: ١١). ونحن يجب أن نتبع مثاله. عملياً، يجب أن يُـــتَرجَم هذا إلى الالتزام بمبدأ المساواة في خطاباتنا، مكالماتنا الهاتفيـــة، وزياراتـــنا. إذا كنت تتصل هاتفياً بوالديك مرة كل شهر، فيجب أن تتصل هاتفياً بوالديها مرة كل شهر. وإذا كنتِ ترسلي خطاباً لوالديك مرة كل أسبوع، فيجب أن تصنعي نفس الشـــيء مع والديه. يجب أن يسعى الزّوج أيضاً إلى أن يكون منصفاً في الزّيارات، العشاءات، والعطلات.

ربما كانت أعقد المواقف تحدث عند الأعياد: مثل عيد الميلاد وعيـــد القيامـــة. أمّ الـــزّوجة تريد دعوتهما لقضاء عشيّة عيد الميـــلاد. أمّ الزّوج تريد دعوتهما إلى البيت لتناول عشاء عيد

الميلاد. ربما أمكن ذلك إذا كانوا يعيشون في نفس المدينة، لكن عندما يفصل هؤلاء عن أولئك خمسمائة ميل، يصبح الأمر مُحالاً. يجب أن يكون يستند الحل على مبدأ المساواة. قد يعني هذا قضاء عيد الميلاد مع والدي أحدكما مرة ومع والدي الآخر في السنة التالية.

أيضاً يشير «الإكرام» ضمنياً إلى التكلّم باللطف مع الوالدين والأصهار (أقارب الزوج أو الزوجة). يحذّر بولس : «لاَ تُوَبِّخْ شَيْخاً تَوْبِيخاً قَاسِياً، بَلْ عِظْهُ كَأَنَّهُ أَبٌ لَكَ» (١تيموثاوس ٥: ١ من ترجمة كتاب الحياة). علينا أن نكون متفاهمين ومتعاطفين. بالتأكيد ينبغي أن نقول الحقيقة، لكن يجب أن تكون مقرونة دائماً بالحب (أفسس ٤: ١٥). ينبغي أخذ أمر أفسس ٤: ٣١-٣٢ مأخذ الجد في علاقتنا بالوالدين : «لِيُرْفَعْ مِنْ بَيْنِكُمْ كُلُّ مَرَارَةٍ وَسَخَطٍ وَغَضَبٍ وَصِيَاحٍ وَتَجْدِيفٍ مَعَ كُلِّ خُبْثٍ. وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ». كما توجد إشارة ضمنية أخرى إلى إكرام الوالدين في ١ تيموثاوس ٥: ٤ «وَلكِنْ إِنْ كَانَتْ أَرْمَلَةٌ لَهَا أَوْلاَدٌ أَوْ حَفَدَةٌ، فَلْيَتَعَلَّمُوا أَوَّلاً أَنْ يُوَقِّرُوا أَهْلَ بَيْتِهِمْ وَيُوفُوا وَالِدِيهِمِ الْمُكَافَأَةَ، لأَنَّ هذَا صَالِحٌ وَمَقْبُولٌ أَمَامَ اللهِ». عندما كنّا شباباً،

وفَّى والدانا احتياجاتنا الجسدية. وحين يتقدمان في السّن، ربما يتعيّن علينا أن نعمل نفس الشيء معهما. عندما يظهر الاحتياج يجب أن نتحمّل مسؤولية الاهتمام بالاحتياجات الجسدية لوالدينا. والفشل في هذه المسؤولية هو بمثابة إنكار لإيماننا بالمسيح (١ تيموثاوس ٥: ٨). بأفعالنا يجب أن نظهر إيماننا بالمسيح وإكرامنا لوالدينا.

إذا سمحتم لي أودّ أن أقدم بعض الاقتراحات العملية الأخرى: أنا أنصحك أن تقبل أصهارك على علاّتهم. لا تشعر بأنّ مهمتك أن تغيّرهم. إذا لم يكونوا مؤمنين بالمسيح، بالتأكيد سترغب أن تصلّي من أجلهم وتنتهز الفرص لتقديم المسيح لهم، لكن لا تحاول أن تصبّهم في قالبك. أنت تتوقّع منهم أن يمنحوك استقلالاً لتنمي زواجك الخاص. فأعطهم نفس الشيء.

لا تنتقد أصهارك في حضور رفيقك. إنّ مسؤولية رفيقك أن يكرم والديه. فعندما تنتقدهما، تصعّب عليه أن يتبع هذا النّموذج. وعندما ينتقد رفيقك نقاط ضعف والديه، أشِر إلى نقاط قوتهما. شدّد على مميزاتهما الإيجابية وشجّع على إكرامهما.

يقـــدّم الكـــتاب المقـــدس بعض الأمثلة الجميلة على العلاقات الصّحّية بين الأفراد وأصهارهم. كان لموسى مثل هذه العلاقة الصـــحّية مع يثرون، حميه، حتى أنه عندما أخبره بدعوة الله بـــترك مديـــان وإخراج الإسرائيليون من مصر، قال: «اذْهَبْ بِسَلاَمٍ» (خروج ٤: ١٨). فيما بعد، بعد نجاح مشروع موسى، جاء حموه ليراه.

«فَخَـــرَجَ مُوسَى لاسْتِقْبَالِ حَمِيهِ وَسَجَدَ وَقَبَّلَهُ. وَسَأَلَ كُلٌّ وَاحِدٍ صَـــاحِبَهُ عَنْ سَلاَمَتِهِ، ثُمَّ دَخَلاَ إِلَى الْخَيْمَةِ» (خروج ١٨: ٧). وقد كان في هذه الزّيارة أن يثرون نصح موسى النصيحة التي سبق وناقشناها. وانفتاحه على اقتراح حميه إنما يظهر شيئاً عن طبيعة علاقتهما.

راعـــوث ونعمـــي تصلحان كمثال لإخلاص الكنّة لحماتها بعد مـــوت زوجيهما. وأجرى يسوع واحدة من معجزاته مع حماة بطرس، وهي – بدورها – خدمت يسوع (متى ٨: ١٤-١٥).

الحرية والانسجام هما النّماذج الكتابية للعلاقات مع الأصهار. إن قطار الله للزّواج يجب أن يجري على قضبان متوازية من الانفصال عن الوالدين والإخلاص لهما.

ماذا لو كنت أنت من الأصهار؟

إذا نظـــرنا مـــن موقع الوالدين، فسيفيدنا أن نتذكّر هدفنا. من لحظـــة ولادتـــنا الأطفال وحتى زواجهم، ونحن ندرّبهم على الاستقلال، أو على الأقل كان يجب أن نفعل ذلك. نحن نريدهم أن يستطيعوا الوقوف على أقدامهم والتصرف كأشخاص بالغين تحـــت رعايـــة الله. نحن قد علّمناهم كيف يطبخون الوجبات، يغســـلون الصّـــحون، يفرشـــون السرير، يشترون الملابس ، يدّخـــرون المال، ويصنعون قرارات مسؤولة. نحن قد علّمناهم أن يحترموا السّلطة وقيمة الفرد. باختصار، نحن قد سعينا إلى بلوغهم النّضج.

عند حلول وقت زواجهم، ينهي تدريبنا، ويصل استقلالهم إلى مرحلة النضج. حينئذٍ نأمل أن نكون ساعدناهم في الانتقال من حالة الاعتماد الكامل علينا، عندما كانوا أطفالاً، إلى الاستقلال التام كزوجين حديثين. من هذه النّقطة، يجب أن نراهم كبالغين يرسمون طريقهم الخاص للأفضل أو للأسوأ. لا يجب أبداً أن نفرض رغبتنا ثانية عليهم. بل يجب أن نحترمهم كأنظار.

هـــذا لا يعـــني أنّـــنا لا نعـــود نساعدهم، لكن يعني تقديم كل

المساعدة بأسلوب مسؤول يدعم الاستقلال بدلاً من التّبعية. أي أننا إذا قدّمنا مساعدة مالية يجب أن يكون ذلك بدافع مساعدتهم أن يحققوا الحرية من دعمنا لهما بدلاً من جعلهم معتمدين عليها. لا يجب أن نساعدهم في ترسيخ أسلوب حياة يفوق إمكانياتهم الحقيقية.

إنّ الخطية الكبرى التي يقترفها الوالدان هي استعمال المساعدة المالية لإجبار الزّوجين الشّابين على الإذعان لرغبات الوالدين : «نحن سنشتري لكما غرفة النّوم إذا سكنتما في بيت المجاور». لا بأس بالعطايا إذا قُدِّمت بدافع الحبّ وبدون شرط أو مقابل، لكن العطايا التي تقترن بالشروط تصير وسائل استغلال بدلاً منها هبات سخية. يجب أن يحترس الوالدان باجتهاد من مثل هذا الإغراء.

بالتأكيد، يجب أن يشعر الوالدان بالحرية لتقديم النصيحة للزوجين الشّابين (مع أنّه يفضل دائماً الانتظار حتى تُطلَب منهما النصيحة). مع ذلك، لا يجب أن يسعى الوالدان إلى فرض نصيحتهما على الزّوجين. قدّم الاقتراحات إذا طُلبت منك أو إذا شعرت بأنه لابد منها، ثم انسحب وامنح الزّوجين حرية صنع قرارهما الخاص. والأكثر أهمية أن لا تعبّر عن

استيائك إذا لم ينفّذوا اقتراحك. أفِدهما بحكمتك لكن امنحهما حرية ارتكاب أخطائهما الخاصة.

يحتاج المتزوّجون حديثاً إلى الدّفء العاطفي الذي ينبع من علاقة صحّية مع والديهما هما الاثنين، كما يحتاج الوالدان إلى الدّفء العاطفي الذي ينبع من الزّوجين. الحياة أقصر من أن نعيشها في علاقات ممزقة. مبدأ الاعتراف والغفران الذي ناقشناه في الفصل الرابع يسري على الأصهار كما يسري على شركاء الزّواج. نحن ليس مضطرين أن نتفق دائماً لنتمتّع بعلاقة صحّية، لكن المرارة والاستياء خاطئة دائماً (أف ٤: ٣١). يجب أن تكون الحرية المتبادلة والاحترام المتبادل مبدأ الذي يوجّه علاقة الوالدين بأولادهم المتزوّجين.

واجبات النّمو

للأزواج:

١. هل عندك أي مشاكل مع والديك أو والِدَي زوجك؟ إذا كان الأمر كذلك، اكتب هذه المشاكل في عبارات محدّدة.

٢. ما المبادئ التي ناقشناها في هذا الفصل والتي خالفها

والداك أو حمواك؟ دوّنها. كُن محدّداً. (اقرأ ذلك القسم ثانية إذا كان ضرورياً.)

٣. أي المبادئ التي ناقشناها في هذا الفصل قد خالفتها أنت أو زوجك فيما يتعلق بوالديك أو حَمَوَيْك؟ اكتبها في عبارات محدّدة.

٤. ما العمل الذي تظنّ أنه يجب عمله لتصحيح الموقف؟ كُن محدّداً.

٥. قبل مناقشة تحليلك مع زوجك، اطلب منه / منها أن تقرأ القسم الخاص بالحموين في هذا الفصل وتكمل الواجبات ١-٤ أعلاه.

٦. في وقت محدد، اعقد مؤتمراً لمناقشة المشكلة. اقرأا بيانكما الخاص بالمشكلة كل منكما على الآخر وانظرا:

أ . إذا كنتما متفقين على المشكلة

ب. إذا كنتما متفقين على أنكما فشلتما

ج. إذا كنتما متفقين على الإجراء الذي يجب اتّخاذه لتصحيح الوضع.

إذا لم يكن كذلك، فاستمرّا في المناقشة، الآن أو في وقت آخر، حتى يمكن أن تتفقا على عمل بنّاء.

٧. بعدما اتفقتما على الإجراء الملائم، ضعا خطتكما موضع التنفيذ. صلّيا كل واحد منكما من أجل الآخر ومن أجل والديك وحمويك. (إذا اشتملت خطتكما على إقامة مواجهة مع الوالدين، فمن الأفضل عادةً للابن أو البنت أن تتحدث أو يتحدث إلى والديه بدلاً من أن يتحدث إلى حمويه.)

٨. احرص على تغيّر سلوكك نحو حمويك ووالديك. هل محادثتك وسلوكك يدلان على أنّك «تكرمهما»؟ كُن صادقاً. (يميل الاحترام إلى توليد الاحترام.)

٩. اعمل كل شيء بلطف وحزم. تذكّر: رغبتك هي أن تحسّن العلاقة، لا أن تحطّمها.

للعزّاب:

١. إذا كنت خاطباً أو تفكّر في الزواج ، عدِّد مواطن القوى والضعف الخاصة بحمويك مما قد لاحظته.

٢. اكتب قائمة مشابهة خاصة بوالديك.

٣. اطلب من خطيبك أو خطيبتك أن تفعل نفس الشيء.

٤. في وضع مريح، ناقشا قوائمكما بهدف زيادة فهمكما لوالديك وحمويك المتوقّعين.

٥. إذا كنتما ستتزوّج، فما المشاكل الممكنة التي تتوقّعها فيما يتعلق بوالديك أو أصهارك؟ كُن صادقاً ومحدّداً.

٦. هل من شأن هذه المشاكل المتوقّعة أنّ محادثة صادقة مع والديك قبل الزّواج قد تمهّد السبيل لعلاقة أصحّ وأسلم بعد الزّواج؟ إذا صح ذلك، فماذا بالضبط يجب أن تقول؟ ناقش هذا مع خطيبتك وقرّر تبنّي منهج بنّاء. (معالجة المشكلة المتوقّعة أسهل بكثير من الانتظار حتى تتفجّر المشكلة.)

٧. كفرد لم يتزوّج بعد، هل تعامل والديك بالاحترام والإكرام؟ اكتب قائمة بالأشياء التي تصنعها لوالديك التي تقول عن طريقها «أنا أحبّكما وأقدّركما».

٨. إذا كانت قائمتك قصيرة، فربما كان عليك تأدية بعض الواجبات المنزلية السابقة للزواج. ماذا يمكنك أن تفعل ولست تفعله الآن لتحسين علاقتك بوالديك؟ وماذا ستفعل؟

٩. هل أنت سعيد بنوعية العلاقة البين بين خطيبك/خطيبتك

ووالديه/والديها؟ ما التحسينات التي تودّ أن تراها؟ لماذا تقترح مـــثل هـــذه التّحسينات؟ (درجة انفتاحك على الاقتراحات التي تجدهـــا قبل الزّواج هي درجة انفتاحك التي يمكن أن تتوقّعها بعد الزّواج.)

١٠. افعل كل شيء في قدرتك لإقامة علاقة نامية مفتوحة، مع والديك وحمويك على حدٍ سواء قبل زواجك. هذه خطوة هائلة نحو زواج سعيد .

١١

" زوجتي تظنّ أنّي أجد النقود في النّهر "

لماذا أصبحت النقود تشكّل مثل هذه المشكلة في الزّيجات الأمريكية؟ إن أفقر الأزواج في أمريكا يعيشون في وفرة إذا قورنوا بالتكتلات السكانية في العالم. أنا مقتنع بأنّ المشكلة لا تكمن في كمية النقود التي يمتلك الزوجان لكن في موقفهما من النقود والأسلوب الذي يتعاملون به معها. هذه يتماشى مع كلمات بولس في ١تيموثاوس ٦: ١٠ «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ». مثل هذه الأوجاع والأحزان ليست نتيجة امتلاك المال أو عدمه، لا بل نتيجة محبة المال. إن الفعل المشتق منه كلمة «محبة» في هذه الآية هو phileo الذي يعني «يُعجَب أو يكون عنده ولع بشيء».

مبادئ كتابية

يكمن الخطأ في جعل كسب النقود غاية في حد ذاته أو في استعماله لإرضاء الرغبات الأنانية. مثل هذا الموقف ينتهي دائماً بالحزن، لأن الحقيقة هي أنّ «ما حياةُ الإنسانِ بِكَثْرةِ أموالِهِ» (لوقا ١٢: ١٥ بحسب الترجمة المشتركة). إنّ ملفات المستشارين غاصّة بدراسات حالات تصلح كأمثلة على صحة هذا القول.

وكما قالت جانيت كليفت جورج: «المأساة العظيمة في الحياة ليست الفشل في أن تحصل على ما تنشده، إنما المأساة العظيمة في الحياة هي الحصول عليه واكتشاف أنه لم يكن يستحق كل هذا العناء!»[١].

أكثر الأزواج يفترضون أنّهم لو كسبوا مائة دولار أكثر كل شهر فسيتمكّنون من تسديد النفقات. هذا صحيح سواء كانوا يسكبون ١,٥٠٠ دولار في الوقت الحاضر في الشهر أو ٢,٥٠٠ دولار. إنه استدلال مغلوط. إنّ المشكلة تكمن في موقفنا من النقود لا في الكمية المتوفرة.

الرضاء حقيقي لا يوجد في المال (إن زاد وإن قلّ) لكن في

«الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ» باختصار: الحياة مع الله وطبقاً لقِيَمه (اتيموثاوس ٦: ١١-١٢). عمل الصواب، التجاوب مع الآخرين كما يتجاوب الله، التعبير عن الحبّ، الصبر على النّقائص، وتقييم نفسك بواقعية - هذه هي الأشياء التي تجلب إشباعاً حقيقياً إلى الزّواج.

ذات مرة زرت بيتين متناقضين. الأول كان داراً صغيراً ذا ثلاثة غرف. سرت إلى غرفة الجلوس ووجدت موقداً غازياً ذا مشعل واحد في المنتصف. كان الرّضيع في مهده في أحد الأركان، والكلب في الركن الآخر. أما الجدران فلم يوجد عليها سوى صورة واحدة فقط، وبجوارها نتيجة العام. ثم كرسيان خشبيان مستقيما الظهر وأريكة قديمة موضوعة على طابق خشبي خشن. أما الأبواب التي توّصل إلى المطبخ على اليسار وغرفة النوم على اليمين فكانت من النوع اليدوي القديمة المصنوع من الألواح وكانت الشّقوق تلوح بين كلّ لوح ولوح.

كان المنظر بسيطاً ومتواضعاً مقارنةً بمقاييس الأمريكية في القرن العشرين، لكن الدّفء العاطفي الذي شعرت به وأنا أزور الزّوجين الشّابين كان مدهشاً. كان حبهما كل منهما للآخر ولرَضيعِهِما ولله ظاهراً. كانا حقاً سعيدين. وكانت الحياة مثيرة.

مـن هـناك، عـبرت إلى الجانب الآخر من المدينة وقدت سـيارتي فـوق طريق مصنوع من الخرسانة نحو دار واسعة وجميلة من الطوب الأحمر. غرزت قدماي في السّجادة عندما دخـلت. رأيـت لوحات جميلة على الحائط حين دخلت غرفة الجلوس. وكان الدفء المنبعث من النّار في المدفأة يرحّب بي (مـع أنّ المدفأة كانت للديكور)، وكان الكلب يستند على أريكة من أحدث طراز.

جلسـت لكي أتبادل معهما أطراف الحديث، لكن جلوس لم يطُل حتى أدركت أن الدّفء الوحيد في هذه الأسرة كان منبعثاً من المدفأة. أحسست ببرودة وعداوة مغلّفتين في الثّراء. سُقْتُ سيارتي في تلك اللّيلة عائداً إلى البيت وأنا أقول: «يا إلهي، إذا تحـتّم عـليّ الاختيار بين هاذين الاثنين، فلتعطني الدار ذات الغرف الثّلاثة والدّفء العاطفي المنبعث من الزّوجة والأسرة». الحياة لا تتكوّن من مجرد أشياء، بل من العلاقات: أولاً مع الله وثانياً مع الناس.

لكـن هـناك من يدسر: ((لكن يجب أن أطعم الأطفال وأكسـيهم وأحميهـم مـن المطـر. وهذا كله يستلزم نقوداً!» صـحيح، وهذا كله وعد به الله أولئك الذين يضعونه أولاً في

حيـاتهم: «لكِـنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُـزَادُ لَكُـمْ» (متى ٦: ٣٣). «هذِهِ كُلُّهَا» تشتمل على الطعام، اللباس، والملجأ (عدد ٢٥). إن توفير حاجاتنا الجسدية هو ناتج عرضي للبرّ (الأعمال الصالحة) والتّقوى (الأعمال التّقية).

هـل يصـح أن نعمل طلباً للأجور؟ بالطبع نعم! «وَإِنْ كَانَ أَحَـدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١تيموثاوس ٥: ٨). ثم يقول بولس أيضاً: «أَوْصَيْنَاكُمْ بِهذَا: «أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ أَنْ يَشْتَغِلَ فَلاَ يَأْكُلْ أَيْضًا»» (٢تسالونيكي ٣: ١٠).

العمل فعل «صالح»، وبهذا الفعل يقوم الله بتوفير ضروراتنا فـي العادة. لكن العمل ليس إلا واحد من «الأفعال الصالحة». هـناك أكـثر مـن ذلك بكثير، مثل التّقوى، الإيمان، المحبّة، الصّبر، والوداعة. فلا يجب أن نسمح للسعي وراء كسب المال أن يعمـل عـلى تآكل هذه المجالات الأكثر أهمية، خشية أن تفوتنا الحياة ونجد النقود عديمة الفائدة.

حـذّر يسوع من هذا الخطر عندما قال: «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ

يُـــلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ» (متى ٦: ٢٤). المال هي خادم ممتاز، لكنه سيد سيئ؛ وسيلة مفيدة، لكن غاية جوفاء. عندما يصبح المال إلهنا، نكون حقاً مُفلِسين.

الـــنّموذج الكتابي لتدبير المال هو الوكالة. نحن مسؤولون عن استعمال كل ما يهبه لنا الله بحكمة (متى ٢٥: ١٤-٣٠). إنّ كمية مواردنا لا تهم نسبياً. إنّما استعمال مواردنا بأمانة هام جــداً. قـــال الـــرّبّ لـــلوكيل الأمين: «نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ» (عدد ٢١). «فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ» (لوقا ١٢: ٤٨).

للموارد المالية إمكانية هائلة للخير. كوكلاء، نحن مسؤولون أن نســتعمل كـــل مـــا نؤتمن عليه بأفضل أسلوب. التخطيط والشـــراء والتوفير والاستثمار والعطاء السليم- كلها جزء من وكالتنا.

يدين الوحي القلق أو الهم بشأن الموارد المالية. «لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ» (فيلبي ٤: ٦). وفي متى ٦ يتكلّم يسوع مراراً وتكراراً عن خطية الهمّ أو القلق.

لذلِــكَ أَقُــولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْــرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَــادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَــلَ مِــنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟ ... وَمَــنْ مِــنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِــدَةً؟ ... وَلِمَــاذَا تَهْــتَمُّونَ بِاللِّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَلاَ تَهْتَمُّوا لِلْغَدِ، لأَنَّ الْغَدَ يَهْتَمُّ بِمَا لِنَفْسِهِ. يَكْفِي الْيَوْمَ شَرُّهُ. (٢٥، ٢٧-٢٩، ٣١، ٣٤).

يجــب أن نعترف بالقلق بشأن الماديات كأي خطية أخرى. صــواب أن نصلّي، أن نعمل، أن نصنع أي شيء جيد لتغيير حالتنا المالية، لكن ليس صواباً أبداً أن نقلق بشأنها. القلق يشلّنا ويجعلنا ضحايا لظروفنا. هذه ليست نية الله إطلاقاً. إن الرجل الفقيــر يمكــن أن يستعبد للمال بنفس السهولة التي يستعبد بها الــرجل الغــني لــلمال. عــندما تدفعنا النقود أو نقصها إلى الاكتئاب، الشقاء، الاستياء، والإحباط، نكون قد استُعبِدنا للنقود. رغــبة الله لنا أن نعترف به سيدنا الأوحد، وبتوجيهه سنصبح سادة مواردنا المالية.

ومــن مجالات الوكالة الأمينة إعطاء الله من خلال الكنيسة والمــنظمات المســيحية الأخــرى. الــنّموذج المثالي للعطاء المؤسّــس فــي العهد القديم والموصى به في العهد الجديد هو التعشــير: أي إعطــاء عشــر دخل الفرد لعمل الرّبّ المباشر (لاويين ٢٧: ٣٠؛ متى ٢٣: ٢٣).

يشــير الكــتاب المقدس إلى أنّ عطاءنا يجب أن يتم بقلب راغــب. عطاء المسيحي هو فعل إرادي مدفوع بمحبّة الله، لا فــرض ناموســي يــؤدّي من أجل ثواب. يخاطب بولس هذه القضية فيقول:

> إِنَّ مَنْ يَزْرَعُ بِالشُّحِّ فَبِالشُّحِّ أَيْضًا يَحْصُدُ، وَمَنْ يَزْرَعُ بِالْبَرَكَاتِ فَبِالْبَرَكَاتِ أَيْضًا يَحْصُدُ. كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوِ اضْطِرَارٍ. لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ. وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. (٢كورنثوس ٩: ٦-٨)

يــود الكثيرون أن يطالبوا بنعمة الله ووفرته، لكنهم يفشلون في إدراك أن هذا الوعد معطى للمعطي المسرور. يقول الكتاب المقدس إنّ أحد أغراض العمل طلباً للأجر هو أنّ نكون قادرين

على إعطاء المحتاج: «لاَ يَسْرِقِ السَّارِقُ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يَتْعَبُ عَامِلاً الصَّالِحَ بِيَدَيْهِ، لِيَكُونَ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ مَنْ لَهُ احْتِيَاجٌ» (أفسس ٤: ٢٨). أي مناقشة للموارد المالية بالنسبة إلى المسيحي يجب أن تتضمن تدبير مبلغ منتظم مناسب بسرور يخصص لأمور الله.

دعوني ألخّص وأوضّح المبادئ الكتابية التي ناقشناها سابقاً قبل النظر إلى الدلالات العملية:

١. لا ينبغي للمسيحي أن يسمح للمال أن يصير سيداً عليه (مت ٦: ٢٤).

٢. الحياة ليست عبارة عن تكديس الأموال (لوقا ١٢: ١٥).

٣. محبّة المال كغاية في ذاتها أصل كل أنواع الشرور (تيموثاوس الأولى ٦: ١٠).

٤. يمكن ائتمان الله أن يسدد احتياجاتنا إذا وضعناه أولاً في حياتنا (متى ٦: ٣٣).

٥. المسيحي عليه مسؤولية العمل مقابل أجر (تيموثاوس الأولى ٥: ٨؛ تسالونيكي الثانية ٣: ١٠).

٦. التبرع لعمل الربّ جزء ضروري من وكالتنا (كورنثوس الثانية ٩: ٦-٨؛ أفسس ٤: ٢٨).

٧. كوكلاء مسيحيين، نحن مسؤولون عن استغلال كل مواردنا المُوكَّلة إلينا أفضل استغلال (متى ٢٥: ١٤-٣٠)

دلالات عملية

واضعين هذه المبادئ الكتابية في الحسبان، أريد أن أكون عملياً ومفيداً بقدر الإمكان. إن تطبيق الأفكار التي أنا على وشك أن أقدّم سيحفظك من الإحباط والألم الذي قد عاناه الكثيرون فيما يتعلّق بالموارد مالية. إن الفشل في معالجة الموارد المالية كجزء ضروري من الحياة سرعان ما يُنتج ضغطاً هائلاً على زواج رائع. أتمنّى أن تكونوا أمناء في تدبر مواردكم المالية بنفس قدر أمانتكم في معالجة مواردكم الذهنية والجسدية والرّوحية. إن الشّخص المسؤول هو الذي سيحكم عليه بأنه «الوكيل الأمين».

واحدة من أولى دلالات المبادئ الكتابية في مجال الموارد مالية هي أنّ في الزّواج لا يوجد بعد «نقودي» و«نقودك» لكن

بالأحـــرى «نقودنـــا». بـــنفس الأسلوب، لا يوجد بعد «ديوني» و«ديونـــك» لكـــن بالأحـــرى «ديوننا». إذا كنت على وشك أن تتزوّجين خرّيجاً حديثاً من الجامعة عليه ديون قدرها ٥,٠٠٠ دولار وأنـــت مديـــنة بـــ٥٠ دولار لمحل الفساتين، في خاتمة مراســـم الزّفاف ستكونان مديونين بمبلغ إجمالي قدرة ٥,٠٥٠ دولار. عـــندما تقـــبلان الواحـــد منكما الآخر كشريك، تقبلان مديونية كل منكما الآخر وأيضاً ممتلكات كل منكما الآخر.

إن الإفصـــاح أو الكشف الكامل عن الممتلكات والمديونيات يجـــب أن يـــتم قبل الزّواج من جانب كلا الطرفين. ليس من الخطـــإ الإقدام على الزّواج بالدّيون، لكن يجب أن تعلم ما هي تـــلك الدّيـــون، ويجب أن توافق على خطة وجدول لتسديدها. وحيث أنها ستصبح «ديوننا»، إذن يلزم علينا «نحن» أن نتناقش ونتّفق على خطة عمل.

تعـــرّفت على أزواج فشلوا في مناقشة هذا المجال بما فيه الكفاية قبل الزّواج وانتبهوا بعد الزّفاف ليجدا أنّ عليهما ديون ضخمة معاً حتى أنهما صارا يشعران بأن أنشوطة مالية أخذت تلـــتف حـــول عنقهم. يالها من مأساة أن تبدأ الزواج بمثل هذا عـــائق. فـــي رأيي، الدين الضخم بدون وسائل واقعية لتسديده

سبب كاف لتأجيل الزّواج. عدم الشعور بالمسؤولية المالية قبل الزّواج هو مؤشر عدم الشعور بالمسؤولية المالية بعد الزّواج. أكثر الأزواج عندهم بعض الدّيون عندما يقبلون على الزّواج، ومبدأ الإفصاح أو الكشف الكامل من جانب كليهما سيسمح لهما بمواجهة الزّواج بواقعية.

ممتلكاتك، أيضاً، ممتلكات مشتركة الآن. ربما هي تمتلك ٦,٠٠٠ دولار في حساب التوفير وربما هو يمتلك ٨٠ دولاراً، لكن عندما يختاران الزّواج يكون «عندهما» ٦,٠٨٠ دولاراً. إذا كنت لا تشعر بالراحة لهذه «الوحدانية» فأنت لست جاهزاً للزّواج. ألم نبرهن أن الموضوع الرئيسي في الزّواج هو الوحدانية؟ وعندما نتطرّق إلى الموارد المالية يجب أن تواصل التّحرّك نحو الوحدانية.

قد توجد حالات يُنصَح فيها، بسبب حيازة عقارات ضخمة جداً، بأن يحافظ الزّوجان على الملكية الفردية لبعض الأملاك أو الممتلكات لأغراض ضريبية، لكن بالنسبة إلى معظمنا يدل مبدأ الوحدانية على حسابات توفير وحسابات شيكات وملكية مشتركة، وهكذا. إننا واحد، ولذلك نريد أن نعبّر عن وحدانيتنا في الموارد المالية وأيضاً في المجالات الأخرى من الحياة.

وحيــث أن النقود «نقودنا»، إذن يجب علينا «نحن» أن نتّفق عــلى كيفيــة إنفاقها. النّموذج الأمثل لاتخاذ القرار الذي سبق وناقشــناه فــي الفصــل الثامن يجب أن يُطبّق على القرارات الماليــة مثلما يُطبّق على القرارات الأخرى. ويجب أن يسبق مناقشة كاملة ومفتوحة أي قرار مالي، ويجب أن يكون الاتّفاق الهدف من كل مناقشة. تذكّر: أنتما شريكان، لا منافسان. تشتد عرى الزّواج وتتقوّى بالاتفاق في الأمور المالية.

ومن المبادئ العملية التي يمكن أن تمنع حدوث مآسٍ كثيرة هــو الاتفــاق من ناحية كلا الشّريكين على عدم الإقدام على شــراء **مشــتريات كــبرى** بدون استشارة الطرف الآخر. إنّ غــرض الاستشــارة هــو الوصــول إلى اتفاق بخصوص ما تشــتريه. لذلــك يجــب تعــريف مصطلح «مشتريات كبرى» بوضــوح بحســب قيمتها النقدية. على سبيل المثال، قد يوافق الزّوجان أنّ لا يشتريا أي شيء يكلّف أكثر من خمسين دولار بــدون مــثل هذا الاتفاق. حقاً إنّ العديد من السلع كانت لتظل رابضــة في صالات العرض إذا اتبع الأزواج هذا المبدأ، لكنه أيضــاً حق أن العديد من الأزواج سيكونون أسعد بكثير. تأتي السّــعادة من العلاقات، لا من الأشياء. الوحدانية بين شريكي

الزّواج أكثر أهمية من أي مشتريات مادية.

فضلاً عن ذلك، يلزم أن يوافق الزوجان على نموذج أساسي للإنفاق. كلمة ميزانية تسبب الفزع للعديد من الأزواج، لكن كل الأزواج في الواقع عندهم ميزانية. الميزانية هي ببساطة خطة لتدبير النقود. كثيرون من الأزواج ليس عندهم ميزانية مكتوبة، والكثيرون منهم ليس عندهم ميزانية فعّالة جداً، لكن كل الأزواج عندهم خطة.

خطة بعض الأزواج هي الحرص على صرف كل النقود في نفس يوم الحصول عليها. في كل مرة يقبضون رواتبهم يعملون بنشاط على إنفاق كل دخلهم قبل أن تغلق المتاجر أبوابها. والبعض الآخر يفضّلون أن يصرفوا نقودهم قبل الحصول عليها؛ ثمّ حين يأتي يوم قبض الراتب كل ما يفعلونه هو كتابة شيكات ووضعها في أظرف بريدية.

لذلك فالسّؤال ليس «هل يجب أن تكون عندنا ميزانية؟» لكن بالأحرى «كيف يمكن أن نحسّن ميزانيتنا؟» نحن عندنا خطة بالفعل، لكن هل يمكن أن نضع خطة أفضل؟

وضع الميزانية ليس من الضروري أن يكون إجراءً ثقيلاً

مـــرهقاً مـــن ضـــبط للحســـابات وتسجيل كل قرش تصرفه. بالأحـــرى، الميـــزانية هي خطة مالية – هي ببساطة ممارسة التعقّل وقوة الإرادة في إدارة دخلك. ولك الاختيار بالنسبة إلى كيفيـــة صـــرف نقودك. إنه من الأفضل بكثير أن تصنع ذلك القـــرار مستنداً على التعقّل في مناقشة مفتوحة مع رفيقك، من الاستناد على العاطفة عندما تقف أمام البائع.

يقـــع تقديـــم مســـاعدة تفصيلية عن وضع الميزانية خارج غـــرض هذا الكتاب لأن مثل هذا الموضوع متوفر بسهولة في الكـــتب الأخرى. من أحد الكتب العملية التي نُشِرت حديثاً عن المـــال كـــتاب لاري بوركيـــت الذي كتبه خصيصاً للخطيبين *"Money Before marriage"* [٢] (انظر الملحق). يقدم هذا الكتاب مســـاعدة فـــي وضع ميزانية، استعمال بطاقة الائتمان، شراء بوليصة تأمين، وفهم تاريخ الحياة الشخصي لكل من الطرفين. مـــن الكتب المفيدة الأخرى التي كتبها بوركيت The Family Budget Workbook، The Word on Finances، Debt-Free Living، The Financial Planning Organizer، Cash Organizer، and The Financial Planning Workwork [٣]. بعض هذه الكتب متوفر أيضاً على شرائط كاسيت. ومن الكتب

الأخـــرى التي يمكن التفكير في شرائها: Money Sense، بقلم جـــودث برايـــلز وهـــو مكــتوب للنّساء، و The Financially Challenged، بقـــلم ولســـن هامبر[4]. يمكن لأكثر الأزواج أن ينـــتفعوا منفعة كبيرة من قراءة بضعة فصول من هذه أو من كتب أخرى.

هدفي هنا أن أحثّك على إعادة التفكير في خطتك (ميزانيتك) الماليـــة الحاضـــرة. هـــل يمكن أن يكون هناك طريق أفضل لاســـتعمال المـــوارد الـــتي عـــندك؟ كوكيل، تقع على عاتقك مســـؤولية اكتشـــاف ذلـــك. لمـــاذا تستمرّ في التصرف بنفس الطّـــريقة سنة بعد سنة، في حين أن قليلاً من الوقت والتفكير يمكـــن أن ينشئ تحسيناً؟ إذا تعيّن على واحد أن يشعر بالحافز لـــتوظيف موارده المالية على أفضل وجه، فإن المسيحي أولى بأن يصنع ذلك. كمؤمن، أنت مكلَّف من قِبَل الله نفسه، وكل ما تمتـــلكه ائتمنك هو عليه، وعليك في النهاية أن تقدّم له حساباً (مـــتى ٢٥: ١٤-٣٠). إن تحســـين التخطيط المالي ليس فقط لفائدتك لكن أيضاً لفائدة ملكوت الله (متى ٦: ٣٣)[5].

فـــي ســـياق إعادة التفكير في خطتك المالية، دعني أقترح بعض الدلائل الأخرى التي يشير إليها الوحي. يجب أن توضع

الأشياء الأولى دائماً أولاً، وبالنسبة إلى المسيحي يجب أن يأتي ملكوت الله أولاً. إنّ وعد متى ٦: ٣٣ وعد عملي. إننا نميل إلى إخراج أولوياتنا عن مسارها الصحيح. فنضع المأكل، والملبس، والمأوى، والمتعة أولاً، وإذا تبقى أي شيء نقدمه عطية للكنيسة. شتان بين هذا وبين النّموذج الكتابي. كان يجب على إسرائيل أن تقدّم «البواكير» للرّبّ، لا البقايا. إن سليمان الحكيم لم يصب الهدف في عبارة قالها أكثر من قوله: «أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ، فَتَمْتَلِئَ خَزَائِنُكَ شِبْعًا، وَتَفِيضَ مَعَاصِرُكَ مِسْطَارًا» (أمثال ٣: ٩-١٠). هل تساءلت يوماً لماذا خزائنك فارغة؟ ألعلّك ركّزت على الخزائن بدلاً من ملكوت الله؟

إن وقت إكرام الله بمواردك المالية يبدأ قبل الزّواج. وأنتما كفردين يجب أن تكونا قد رسّختما عادة إعطاء العشور والتقدمات لله. قبل الزّواج، يجب أن يناقش الفردان نمط إعطائهما ويتفقا على ما سينفّذانه في الزّواج. إذا لم تستطيعا أن تتفقا على هذا التّعبير العملي عن إكرام الله، فماذا يجعلك تظن أنكما ستكونان واحداً في الأمور الرّوحية الأخرى؟ إن علاقة الفرد بالله قد تُقاس بإيصالات شيكاته، لا بحضوره كنيسته.

أنـــا أقـــترح أنّــه من بداية الزّواج تضعا ميزانيتكما بحيث تخصّصـــان أول ١٠ بالمائة من دخلكما ذبيحة شكر للرّبّ. إن الحكومة المدنية تصرّ على استقطاع ضريبة الدخل من راتبك قـبل أن تقبضـــه. ويســوع لــم يكن يعارض مثل هذا النظام الضريبي لكنه أصرّ أيضاً أن «أَعْطُوا ... مَا ِللهِ ِللهِ» (متى ٢٢: ١٧-٢٢). وكلما أوتيت الفرصة سترغب أن تمنح الله تقدمات أكـثر من العشور، لكن يجب أن ينظر إلى العشور على أنها أدنى مقيـاس للعطاء بالنسبة إلى أولئك الأزواج الذين يأخذون المبادئ الكتابية بجدية.

دلالـــة أخـــرى بالنســبة إلى وضـــع الميزانية الكتابية هي الـــتخطيط للمســـتقبل. «الرجل المتعقل يعمل حساباً للصّعوبات مقدّمـــاً ويعدّ لها العُدة؛ أما الساذج فيذهب إليها بتهور ويتحمّل العواقـــب» (أمثال ٢٢: ٣ من ترجمة TLB الإنجليزية). على مـــدى الكتاب المقدس نجد الرّجل الحكيم هو من يخطط مقدّماً لتسديد احتياجات عائلته وعمله أو أي مسعى آخر (لو ١٤: ٢٨-٣٠). ويتضـــمن الـــتخطيط المـــالي مقدّمـــاً المدخـــرات والاســـتثمارات. الصـــعوبات غيـــر المتوقّعة سوف تحدث لا محالة. لذلك، فالوكيل الحكيم يخطّط مقدّماً بالتّوفير. والتقصير

عن توفير جزء من الدّخل هو سوء تخطيط.

يجب أن تتفقا معاً على النسبة التي تودّان ادّخارها، لكن المهم هو أن تدّخرا شيئاً على أساس منتظم. يقترح العديد من المستشارين الماليين المسيحيين تخصيص ١٠ بالمائة للمدخرات والاستثمارات. قد تختارا أكثر من ذلك أو أقل، لكن الاختيار لكما. إذا وفّرتما ما يتبقّى بعد الاهتمام بالأمور الأخرى، فقد لا توفّرا شيئاً. لماذا لا تحسب نفسك دائناً وتدفع الدّين لنفسك قبل غيرك من الدائنين؟ بعد دفع العشور، ادفع لنفسك قبل أن تدفع لأي شخص آخر.

الزّوجان اللذان يوفّران نسبة من دخلهما بشكل منتظم لن يكون عندهما الأموال الاحتياطية التي يحتاجانها للطّوارئ فقط، لكن سيكون عندهما أيضاً الشّعور بالرضى التابع من كونهما وكيلين جيّدين. على نقيض ما يبدو أن بعض المسيحيين يعتقدونه، لا يكون الإنسان روحياً أكثر لأنه يصرف كل ما في جيبه. (عند البعض، يُفترَض أن هذا يدل على إيمان أكثر بالله أنّه سيوفّر الاحتياجات الطّارئة. في رأيي، هذا ببساطة علامة على سوء الوكالة والتدبير.) الادخار بانتظام يجب أن يكون جزءاً من خطتك المالية.

إذا أعطيـــت ١٠ بالمائة لعمل الرّبّ وادّخرت ١٠ بالمائة، يتـــبقّى عندك ٨٠ بالمائة تقسّم على أقساط الشقة (أو الإيجار)، التدفـــئة، الكهـــرباء، الهاتف، الماء، التأمين، الأثاث، الطعام، الأدويـــة، الملابس، المواصلات، التعليم، الاستجمام، الصحف، المجـــلات، الكتب، الهدايا، وغيرها. أما كيف يتم توزيع ذلك فهـــو قـــرارك الشخصي، لكن تذكّر أنّك وكيل. يجب أن تقدّم حساباً لله عن ١٠٠ بالمائة من مواردك. ليس بوسع الوكيل أن يـــتحمّل رفاهيـــة الإنفاق بدون تفكير. فما هو أفضل استعمال للثمانين بالمائة؟

الجـــودة تتفاوت، وكذلك الأسعار حتى وإن كانت على نفس الجـــودة. والحكمـــة في التسوّق هي التي تصنع الفرق. على الرغم من النّكات التي نسمعها عن الزّوجة التي تصرف خمسة دولارات عـــلى البـــنزين لتذهب إلى محل البيع بالجملة لتوفّر دولاريـــن، إلاّ أن المتســـوّق الحكيم يمكن أن يحقق مدّخرات كبيرة. مثل هذا التّسوّق يستغرق وقتاً وطاقة. هو عمل حقيقي ويـــنطوي عـــلى الكثير من البصيرة، لكن الفائدة ستظهر في النقود الإضافية التي يحتمل أن تُنفَق على الاحتياجات الأخرى. نتـــبع أنا وزوجتي إجراءً اعتيادياً عندما ترجع إلى البيت بعد

جولة التسوّق. أنا لا أسأل أبداً كم صرفت، لكن كم وفّرت. هذه طريقة ألطف. إن إتقان فن التّسوّق الجيد يستحق الجهد المبذول فيه.

قبل ترك موضوع تخطيط إنفاقك، أقترح أن تضع ضمن خططك بعض النقود لكل منكما لاستعمالها كيفما تشاءان بدون تأدية حساب عن كل قرش. ليس ضرورياً أن يكون هذا مبلغاً ضخماً، لكن يحتاج الزوج أن يشتري قضيباً من الحلوى بدون أن يطلب دولاراً من زوجته.

قالت إحدى الزوجات: «يا دكتور تشابمان، يخجلني أن أخبرك بأنّ هذا يوضّح مشكلتي تماماً. في كل مرة أحتاج إلى زوج من الشرابات الحريمي أضطر أن أذهب إلى زوجي وأسأله: هل يمكن أن آخذ خمسة دولارات لأشتري زوجاً من الشرابات الحريمي؟» شيء فظيع! أشعر بأني طفلة!» الخطة المالية التي تترك أحد الشريكين بدون نقود للطوارئ أو النثريات هي خطة لا نفع فيها.

مسألة أخرى شديدة الأهمية يحتاج أن يناقشها كل زوجين هو الشّراء ببطاقات الاعتماد credit cards. لو كان عندي علَم

أحمــر لَــلوَّحت به هنا. تصرخ وسائل الإعلام على رأس كل زاويـــة: «اشتروا الآن، ادفعوا فيما بعد». وما لا يصرّحون به هو أنّك إذا اشتريت الآن بدون نقد ستدفع أكثر بكثير بعد ذلك. إن معدّلات الفائدة على الحسابات الائتمانية لها مدى عريض. بعضها ١٥، ١٣، أو ١٦ بالمائة، لكن العديد منها يبلغ ١٨ أو ٢١ بالمائـــة، أو أعــلى. يحــتاج الأزواج أن يقرأوا ما يُكتَب بأحــرف صغيرة. تأخير الدفع هو امتياز يجب أن تدفع مقابلاً له، والتكلفة ليست متساوية في كل الخطط.

إذا تعيّن عليك أن تشتري بالآجل، فلتفحص عدة أماكن تبيع بـــالآجل وتحسب أفضل نسبة مطلوبة على المشتريات. عادة، أفضـــل صفقة تحصل عليها تكون من قرض بضمان شخصي من مصرفك المحلي. المصرف عمل التسليف وإذا كنت قادراً عـــلى تحمّل الائتمان، فسيكون المصرف سعيد بتسليفك. إذا لم يســلّفك المصرف النقود، فهناك احتمال كبير أنك لا يجب أن تقبل على الشّراء.

قد كانت بطاقة الائتمان بالنسبة إلى العديدين بطاقة عضوية إلى «جمعيـــة المحـــبطين ماليـــاً». إنها تشجّع الشراء التلقائي، ومعظمـــنا يعـــاني مـــن تلقائية في الشراء أكثر مما يمكن أن

نـــتحمّل. نصيحتي التي أقدّمها للأزواج الشّباب هي أنّ أفضل استـــخدام لـــبطاقات الائـــتمان هو حرقها. فعلى ضوء اللهب الأزرق الجميل نتبيّن حقيقة القول: «ما لا يمكن أن نتحمّله، لن نقـــدم على شرائه». طبعاً أعرف أن بطاقات الائتمان يمكن أن تساعد في حفظ السجلات، وأنه إذا تم تسديد الدفعات فوراً، تقل رسوم الفوائد إلى الحد الأدنى. لكن أكثر الأزواج يتمادون في الإنفـــاق ويطيـــلون مدة الدفع طالما عندهم بطاقات. إن تكاثر بطاقـــات الائتمان بين رجال الأعمال هو أدلّ دليل على صحة هذا القول.

لماذا نعتمد على نظام تأجيل الدفع Credit؟ لأننا نريد **الآن** مـــا لا نستطيع أن ندفع ثمنه الآن. عند شراء شقة، ربما كان الدفع المؤجل إجراءً مالياً حكيماً. فلولا ذلك لدفعنا إيجاراً على أيـــة حال. إذا اخترنا الشقة جيّداً، فإن قيمتها سترتفع. فإذا كان لديـــنا الـــنقود لدفـــع المقـــدّم وكنا نستطيع تحمّل دفع الأقساط الشّهرية، فسيكون هذا الاختيار حكيماً. إنما أغلب مشترياتنا لا ترتفع قيمتها. إذ تبدأ قيمتها تنقص يوم نشتريها. ونحن نشتريها قبل تمكنّنا من تحمّل ثمنها. فندفع ثمن الشّراء زائد فائدة رسوم الاعـــتماد (الدفع المؤجل)، بينما تستمرّ قيمة السلعة نفسها في

الانخفـاض. لمـاذا؟ من أجل المتعة المؤقتة التي تجلبها تلك السلعة. وهنا أسأل: هل هذه علامة الوكالة المسؤولة؟

طـبعاً أدرك أنّ هناك «ضرورات» معيّنة في مجتمعنا، لكن لمـاذا يظـنّ الزوجان الشابان أنه يجب أن يحصلا في السّنة الأولى مـن زواجهمـا عـلى ما قد استغرق ثلاثين سنة من والديهما لادّخاره؟ لماذا يجب أن يكون عندك الأكبر والأفضل الآن؟ بمـثل هـذه الفلسفة تحطّم بهجة الطّموح وبلوغ الهدف. تبلغ هدف فوراً. فتكون البهجة قصيرة الأجل، وبعد ذلك تقضي شـهوراً متألّماً تحاول أن تدفع ثمن غلطتك. لماذا تحمّل نفسك بمثل هذا العبء غير الضروري؟

«ضـّـرورات» الحياة قليلة نسبياً. ويمكن تسديدها من دخلك الحالي. (أما إذا كنت عاطلاً عن العمل، فلن تموت جوعاً. أفقر إنسان في هذا البلد يمكن أن يحصل على الضّروريات.) أنا لا أعارض الطموح إلى الأكثر والأفضل، إذا أمكن استعمال هذه الأشـياء لـلخير، لكنني أقترح أن تعيش في الحاضر بدلاً من المستقبل. اترك بهجة المستقبل لإنجازات المستقبل. تمتّع اليوم بما عندك اليوم.

لسنوات عديدة كنت أنا وزوجتي نلعب لعبة صغيرة صرنا نستمتع كثيراً جداً. إنها تدعى «دعنا نرى كم من الأشياء يمكن أن يستغني عنها ويظنّ الآخرون أنه لا غنى عنها». بدأنا هذه اللعبة في أيام الدراسة الجامعية للضّرورة، لكننا تعلّقنا بها واستمررنا نلعبها.

تجري اللّعبة على هذا النحو: في ليلة الجمعة أو السبت تذهبان معاً إلى المتجر الكبير وتتمشيا في الممرات، وتنظران إلى أي شيء يلفت نظركما. اقرأا الملصقات وتتحدّثا عن روعة وسحر كل صنف، وبعد ذلك يلتفت كل منكما نحو الآخر وقولا: «أليس عظيماً أننا لسنا مضطرين إلى شراء ذلك!» ثمّ أثناء خروج الآخرين حاملين على أذرعهم كل مشترياتهم، بعد توقيع أسمائهم على إيصالات الدفع المؤجل، تخرجان يداً في يدّ، يملأكما السرور لأنكما لستما بحاجة إلى «أشياء» لتكونا سعيدين. أوصي بهذه اللّعبة إلى حد كبير لكل الأزواج الشبّان.

دعوني أوضّح: أنا لا أقترح أن لا تشتري أي شيء بالآجل. إنما أقترح أنّ مثل هذه المشتريات المؤجلة الدفع يجب أن تسبقها الصّلاة، المناقشة، وإذا لزم الأمر، نصيحة مستشار

مالي مؤتمن. إذا كانت هذه الخطوات قد اتّخذت، فإن العديد من الأزواج المسيحيين المسجونون اليوم في العبودية المالية كانوا سيمشـــون فـــي شـــوارعنا أحراراً. أنا لا أصدّق أن الله يريد لأطفاله العبودية. الكثيرون في يومنا هذا يرسفون في مثل هذه العبودية بسبب المشتريات المؤجلة الدفع غير الحكيمة.

دلالـــة عمـــلية أخـــرى للحقيقة الكتابية فيما يتعلق بالأمور الماليـــة تخـــتص بقدرتنا على الإبداع. الإنسان مبدع بالفطرة. فمتاحف الفن والصّناعة الواقعة عبر العالم تقدّم شهادة صامتة لكنها مرئية على إبداع الإنسان. نحن مصنوعون على صورة الله الـــذي أبدع الكون، ونحن الذين نحمل صورته لنا إمكانية إبداعية هائلة. الزّوجان المسيحيان اللذان سيحوّلان هذا الإبداع نحـــو الاحتياجات المالية سيقتنيان ممتلكات عظيمة. الخياطة، إعـــادة التشـــطيب، الأثاث المستعمل، إعادة استعمال ما يرميه الآخـــرون، وغيـــر ذلك يمكن أن يصنع المعجزات للميزانية. استعمال القدرة الإبداعية الخاصّة بك قد يقودك أيضاً إلى إنتاج المواد الرّائجة التي قد تجلب دخلاً إضافياً.

مـــنذ وقـــت مضى، اصطحبت بضعة طلاب من الكلية إلى

تشـيـاباس، ولايــة مــن ولايات المكسيك في أقصى الجنوب، لــزيارة معسكر ويكليف لمترجمي الكتاب المقدس. هنا راقبنا المبشّــرين يدرّبون على أسلوب الحياة في البيئات الاستوائية. تعــلّموا كيــف يبنون البيوت، الأفران، الكراسي، الأسِرّة، من مــواد متوفرة في الغابات الاستوائية. وكثيراً ما تأملت في تلك الخــبرة العديد مرات ومرات. إذا استخدم الزّوجان المسيحيان العاديان نفس ذلك الإبداع، فماذا يمكن إنجازه؟ أنا لا أقترح أن تبــني دارك بنفســك؛ إنما أقترح أن تستخدم إبداعك للفائدة – سواء فائدتك أو فائدة الآخرين.

وهــنا يأتي السّؤال: «من سيمسك الدفاتر؟» أنا لا أعتقد أن هــذا يجــب أن يكون مهمة الزّوج دائماً. فأنا لا أرى أي سند كتابي لمثل هذا الاستنتاج. غير أني أعتقد أنّ الزّوجين يجب أن يقــرّرا بالــتأكيد من سيكتب الشيكات، يسوّي سجل الشيكات، ويتأكد من صرف الأموال طبقاً للخطة المتّفق عليها. قد يكون ذلــك الــزّوج أو الزّوجة. حيث أنكما فريق، فلماذا لا تستعينا بالشــخص المؤهّــل منكما للمهمة؟ في أثناء مناقشة الزوجين للتفاصــيل المالية، سيتضح عادةً من منكما أكثر حذقاً في مثل هذه الأمور.

هـذه لا يعـني أنّ مـن وقع عليه اختيار مسك الدفاتر هو المسـؤول عـن صـنع القرارات المالية. مثل هذه القرارات يصـنعها الفريق. وماسك الدفاتر قد لا يظل ماسكاً للدفاتر إلى الأبـد. لسبب أو لآخر قد تتفقان بعد الشّهور السّتة الأولى أنه مـن الأعقـل إذا أصـبح الشّـريك الآخر ماسكاً للدّفاتر. هذا زواجك، وأنت المسؤول عن كسب أغلب مواردك.

لكـن احرص على أن يكون الطرف الذي لا يمسك الدفاتر عارفاً بكيفية عمل ذلك وعنده معرفة كاملة بخصوص الشيكات وحسابات التوفير المتنوعة. هذه وكالة حكيمة خصوصاً بالنظر إلى حقيقة أنّ واحداً منكما سيموت قبل الآخر. الوكالة المسيحية تطالبكما بالواقعية.

إذا تذكّـرتما أنّكمـا فـريق ولذلك تعملان كفريق – باتباع الـتوجيهات الكـتابية الـتي ناقشـناها في هذا الفصل، طلب المساعدة العملية حيثما كان الاحتياج، والموافقة على القرارات الماليـة – سـتجدان النقود خادمكما المطيع. أما إذا تجاهلتما المـبادئ الكـتابية وعملتما «ما يأتي طبيعياً» فستجدان أنفسكما عـاجلاً فـي نفس الأزمة المالية التي قد أصبحت طريقة حياة

آلاف الأزواج المسيحيين. إذا كنت تشعر الآن بألم الأزمة، فقد حان الوقت لتغيير جذري - اليوم. هناك مخرج. وإذا كنت لا تستطيع أن تفكر بوضوح كافٍ لحلّ المشكلة، فمهما كلّف الأمر اطلب مشورة أخصائي مصرفك المحلي أو صديق مسيحي حاذق في الأمور المالية. لا تستمرّ في السماح لأمورك المالية أن تشلّ مسيرتك مع الله.

واجبات النّمو

للأزواج:

١. قيّم حالتك المالية. لمدة شهر واحد دوّن سجلات مفصّلة بطريقة صرف نقودك.

٢. في نهاية كل شهر، عدِّد الأصناف والمبالغ المصروفة لكل صنف. أضف إلى هذه القائمة القسم الشّهري أي نصف السنوي أو الدفعات السنوية التي قد تكون مديوناً بها، مثل تأمين السيارة. هذا سيعطيك صورة واقعية لإنفاقك مقارنةً بدخلك (احسب حساب الطوارئ).

٣. هل تقدم على الأقل ١٠ بالمائة من دخلك لعمل الرّبّ؟

هل توافق على وجوب عمل ذلك؟

٤. هـل تضع على الأقل ١٠ بالمائة من دخلك في بعض المدخرات أو خطة استثمارية؟ هل توافق على وجوب عمل ذلك؟

٥. ارسم خطة شهرية تعطي أول ١٠ بالمائة من دخلك للربّ، وثاني ١٠ بالمائة لنفسك (في صورة مدخرات)، وقسّم الـ٨٠ بالمائة الباقية على نفقاتك الأخرى. (إذا كنت غارقاً في الديون، فقد يتطلّب هذا مد بعض ديونك أو أخذ قرض جديد من المصرف لتغطية كل الدّيون الموجودة لكي ترتّب دفعات شهرية أصغر.)

٦. ناقش ما سبق مع رفيقك بهدف الوصول إلى اتفاق على اتباع مثل هذه الخطة. إذا لم يمكن بمقدورك وضع مثل هذه الخطة وحدك، فاستشر مصرفيّاً محلياً للمساعدة.

٧. ناقش مع رفيقك دور بطاقات الائتمان في خطتك المالية. اسع إلى الوصول إلى بعض الاتفاق بالنسبة لوظيفتها.

٨. هل يمكن أنتم تتفقا على عدم شراء أيٍّ منكما أيِ مشتريات كبرى بدون استشارة الشّريك الآخر؟ اتفقا على قيمة

نقدية للمشتريات الكبرى (على سبيل المثال، خمسون دولار).

٩. هل تشعر بأنك حر مالياً؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فماذا ستفعل لتغيّر حالتك؟ تناقش مع رفيقك وتحرّك فوراً.

للعزّاب:

١. مـا هـي خطتك المالية الحالية؟ اجبر نفسك أن تكتبها واطلب من رفيقك المتوقّع أن يفعل نفس الشيء. (كيف يستعمل كـل منكم موارده المالية في الوقت الحاضر؟ أجب بالتفصيل بقدر الإمكان.)

٢. هل تعطي على الأقل ١٠ بالمائة من دخلك لعمل الرّبّ؟ هل توافق أنّه يجب عمل ذلك؟

٣. هـل تضع على الأقل ١٠ بالمائة من دخلك في بعض المدخرات أو خطة استثمارية؟ هل توافق أنّه يجب عمل ذلك؟

٤. نـاقش بـند ٢ و٣ مـع رفيقك المتوقّع واتفقا على ما ستعملانه بعد أن تتزوّجا.

٥. ابـدأا فـوراً فـي عمـل أي شيء خطّطتما له بعد أن تـتزوّجا. بمعـنى، إذا اتفقـتما على أن وضع ١٠ بالمائة من

دخلكما في المدخرات بعد الزّواج، ابدأا فوراً في عمل ذلك وأنتما لا تزالان عازبين. (ما تفعله الآن مؤشر جيد على مدى اتباعك الخطة بعد الزّواج.)

٦. أعلن عن إجمالي ممتلكاتك التّامّة ومديونيتك لخطيبتك/خطيبك. ألقِ نظرة واقعية على ديونك ومواردك.

٧. اعملا معاً على وضع جدول تسديد لأي ديون قد تكون عليكما عندما تتزوّجان.

٨. اعملا معاً على وضع خطة مالية لصرف نقودكما بعد أن تتزوّجا. سيتطلّب هذا معلومات عن السكن وتكاليف المرافق. (احسب حساب النثريات والطوارئ الشّخصية كما ناقشناها في هذا الفصل.)

٩. ناقشا بهدف الوصول إلى اتفاق عدم شراء أيٍّ منكما أي مشتريات كبرى بدون استشارة الشّريك الآخر .. لا اتفاقيات .. لا مشتريات ! (اتفقا على قيمة نقدية للمشتريات الكبرى) .

١٠. من يمسك الدفاتر؟ ولماذا؟

ملحق

ثبت المراجع

الزّواج، النشاط الجنسي؛ المواعدة

LaHaye, Tim, and Beverly LaHaye. *The Act of Marriage: The Beauty of Sexual Love.* Grand Rapids: Zondervan, 1976.

كتاب صريح جداً عن الجانب الجنسي للزّواج، مكتوب من منظور كتابي بشكل شامل وتناول واقعي لمشاكل التكيّف الجنسي. هذا الكتاب لا يلف ويدور حول الموضوع. أجوبته الصادقة على الأسئلة الصّادقة تجعله ضرورياً للزّوجين المسيحيين الذين يبحثان عن الإشباع المتبادل في الحبّ الجسدي. ينُصَح به لكل زوجين أو خطيبين.

Miles, Herbert I. *Sexual Happiness in Marriage*. Grand Rapids: Zondervan, 1987.

مناقشة صريحة وصادقة لدور الجنس في الزّواج المسيحي. يقدّم الكتاب بحذر مواقف وأساليب أساسية للتّوافق الجنسي، مشتملاً على: علم التشريح الذّكري والأنثوي، ديناميكية المداعبة الجنسية، تنظيم الأسرة، وأسباب الإحباط الجنسي. يُنصَح به لكل زوجين مسيحيين.

Penner, Clifford, and Joyce Penner *The Gift of Sex: A Guide to Sexual Fulfillment*. Dallas: Word, 1981

دليل مثالي لفهم العلاقة الجنسية في الزّواج بكل متعتها، حيويتها، إحباطها، وإشباعها. يركّز على البعد الجسدي، الخبرة الكليّة، إزالة الموانع جنسية الماضية، حسم الصّعوبات، وإيجاد المساعدة. كتاب سهل القراءة، عملي، صريح، حميم، وممتع. يتناول الأسئلة الشائعة بشكل مفتوح وبلطف.

Petersen, J. Allen, with Elven Smith and Joyce Smith. *Before You Marry*. Wheaton, Ill.:Tyndale, 1994.

هذه الدراسات الكتابية تفحص العلاقة بين الزّواج ومجالات

مثل قبول النفس، العلاقات بين شخصين، والتواصل، وأيضاً مواضيع وثيقة الصلة مثل التواعد والخطوبة. يُنصَح به للعزاب من جميع الأعمار. مفيد للفرد أو للدراسة الجماعية.

Shellenberger, Susie, and Greg Johnson. *258 Great Dates while You Wait.* Nashville: Broadman & Holman, 1995

مفيد خصوصاً للمراهقين الذين يريدون بدء عملية المواعدة بصورة إيجابية. أفكار عملية عن متى تبدأ مواعدة، التوقعات، بناء الاحترام، والسيطرة على العواطف. وجهة نظر مسيحية، لكن منهجه غير وعظي على الإطلاق. مئات من الأفكار لتخطيط مواعيد تعارفية عظيمة مع الأشخاص ذوي المعزة الخاصة!

Stedman, Rich. Pure Joy! The Positive Side of Single Sexuality. Chicago: Moody, 1993.

بالمرح والصّدق، يكتب رتش ستيدمان عن قيمتك لله ككائن جنسي. يجيب على أسئلة مثل «لماذا صنعني الله بهذه الطّريقة؟» «لماذا يتركنا الله عرضة للهياج الجنسي؟» و«ما هي

حدود العلاقة قبل الزواج؟»

أجوبة صادقة على أسئلة صادقة عن النشاط الجنسي للشخص الأعزب.

Wheat, Ed, and Gaye Wheat. Intended for Pleasure: Sex Techniques and Sexual Fulfillment in Christian Marriage. Grand Rapids: Baker, 1979.

مشورة جنسية حميمة من طبيب أسرة مسيحي وزوجته. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام تتعامل مع التكيفات الشّائعة في السّنوات المبكّرة من الزّواج، السّنوات المتوسّطة، والسّنوات اللاحقة. حين يسمح بالحلول الطبية، يقوم بتوضيحها. مكتوب من وجهة نظر مسيحية قوية.

وضع الميزانية، الموارد المالية، الأطفال

Burkett, *Larry. Debt-Free Living* Chicago: Moody, 1994.

كيف يقع الناس في الدّيْن وما ينبغي عليهم عمله ليقفوا على أساس مالي صلب ويظلوا هناك. يبيّن هذا الكتاب كيف تعدّ

الميزانية، تطوّر أولوياتك المالية، وتراقب سجل استدانتك بالآجل Credit، وهو يلخّص حقوقك في إجراءات وكالات التحصيل.

The Family Budget Workbook: Gaining Control of Your Personal Finances. Chicago: Northfield, 1993.

من خلال صيغة المناقشة ودفاتر العمل يقدّم هذا الكتاب أساسيات التخطيط المالي والميزانيات. وهو يحتوي على نماذج لبنود مثل تحليل الميزانية، التخطيط على المدى على القصير، وتخصيصات الدخل وحساب التوفير.

The Word on Finances. Chicago: Moody, 1994.

تتناول هذه الخلاصة الموضوعية لآيات الكتاب المقدّس الثّروة، الدّيْن، العلاقة بين الدائن والمدين، الأولويات المالية، شكر الله، والكرم نحو الآخرين.

Burkett, Larry with Michael E. Taylor, *Money Before Marriage: A Financial Workbook for Engaged Couples.* Chicago: Moody, 1996.

تعكس الطّريقة التي يدبّر بها الناس مواردهم المالية قيمهم

الجوهرية. يتحدّث هذا الكتاب عن النقود والموارد مالية بصراحة، حيث يقدّم وجهة النظر الكتابية عن الموارد مالية، وخلال المناقشة وتمرينات دفتر العمل يساعد الأزواج أن يميّزوا ويفصحوا عن مواقفهم نحو هذا الموضوع الساخن.

Dobson, James, Hide or Seek: How to Build Self Esteem in Your Child. Grand Rapids: Baker, 1991.

أحد كتب جيمس دوبسون الكلاسيكية. كل والد سيستفيد من قراءة هذا الكتاب. ما من شيء أكثر أهمية لطفل من احترامه الصّحيح لذاته. إن النظرة المسيحية للعالم تقدم القاعدة الكافية المقدّسة للاحترام الصّحّي للذات. هنا تجد مساعدة عملية للوالدين اللذين يقلقون على عاطفة أطفالهم وصحتهم الروحية.

ملاحظات

الفصل الثاني: كيف أجد الرفيق

1. Evelyn Millis Duvall, why *Wait Till Marriage?* (NewYork: Association, 1967), 87.

الفصل الثالث: هدف الزّواج

1. James Jauncey, *Magic in Marriage* (Grand Rapids: Zondervan, 1966), 110.

الفصل السادس: التواصل في الزّواج

1. H. Norman Wright, *Communication: Key to Your Marriage* (Glendale, Calif.: Regal, 1974), 139. 2. Ibid., 145.

٢. نفس المصدر السابق، ص ١٤٥

3. John Drakeford, The *Awesome Power of Positive Attention* Nashville: Broadman & Holman, 1991).

٤. كما اقتبسها Spiros Zodhiates، في *Pursuit of Happiness*، (Grand Rapids: Eerdmans، 1966)، 270. Zodhiates cites as his source The Christian World Pulpit 83 (1993): 158.

4. James Dobson, *Hide or Seek* (Old Tappan, N.J.: Revell, 1974), 132.

٦. نفس، ص ١٣٤.

٧. نفس، ص ٩-٤٦.

٨. نفس، ص ١٣٥.

الفصل السابع: من سينظّف المرحاض؟

1. Frances Cress Welsing, "The 'Conspiracy' to Make Blacks Inferior," Ebony (September 1974), 84-94. Reprinted by permission of EBONY Magazine, copyright 1974 by Johnson Publishing Company, Inc.

الفصل الحادي عشر: زوجتي تظنّ أني أجد النقود في النهر

1. Jeanette Clift George, in a lecture before the Christian Women's Club, Asheville, North Carolina, 15 April 1976.

2. Larry Burkett with Michael E. Taylor, *Money Before Marriage: A Financial Workbook for Engaged Couples* (Chicago: Moody, 1996).

3. Larry Burkett, *The Family Budget Workbook* (Chicago: Northfield, 1993), *The Word on Finances* (Chicago: Moody, 1994), *Debt-Free Living* (Chicago:



Moody, 1989), *The Financial Planning Organizer* (Chicago: Moody, 1990), *Cash Organizer* (Chicago: Moody, 1994), and *The Financial Planning Workbook: Updated* (Chicago: Moody, 1979, 1990).

4. Judith Briles, *Money Sense: What Every Woman Must Know To Be Financially Confident* (Chicago: Moody, 1995); and Wilson Humber, *The Financially Challenged: A Survival Guide for Getting Through the Week, the Month, and the Rest of Your Life* (Chicago: Moody, 1995).

5. A stimulating four-book series of Bible studies on Christian steward-ship, written by Larry Burkett and published in 1996 by Moody Press, is The Stewardship Series: *Caretakers of God's Blessings: Using Our Resources Wisely; where Your Treasure Is: Your Attitude About Finances; Living on Borrowed Time: Principles Related to Debt; and Gifts from the Heart, Giving to God what Belongs to God.*



دليل إغناء الزواج

لاستعمال الزّوجين والمجموعة

بقلم

جيمس س. بل، الابن

مقدمة

الحقيقة المفروغ منها أن زواجك إمّا ينمو أو يتدهور. والنّمو لا يحدث بالنّوايا الحسنة أو لأنكما تعرفان أنكما تحبّان أحدكما الآخر. الزواج النامي ينطوي على الانفتاح على التّغيير الجذري، الرغبة في العمل باجتهاد على تحسين شتى المجالات، والاعتماد على الله أن يجعلك أفضل زوج ممكن. عندما أرسى الله قواعد الزّواج، كان يقصد فوائد وأفراح

كبيرة. لكنه يتوقّع منك أن تتعاون بأخذ بعض الخطوات الضرورية. الحبّ ليس شعوراً، لكن، كما يقول المؤلف، الحبّ هو كلمات وأفعال بناءة للآخر. آمل أن يحوّل هذا الدليل الدّراسي المشاعر والنّوايا الجيدة التي نتجت عن قراءة الكتاب إلى كلمات وأفعال تساعد على النمو.

يمكن أن يُستَخدم هذا الدّليل من قِبَل الفرد إذا لم يرغب أو يقدر رفيقه/رفيقها أن يشترك معه في ذلك. من الواضح أنه من الأفضل استخدامه من قِبَل الأزواج. إنّما الفائدة العظمى هو الآراء المتعدد من أزواج آخرين التي يُعبّر عنها في إطار سياق المناقشة الجماعية. سيكون هذا متوافقاً مع مجموعات الزّواج الموجودة في إطار الكنيسة المحلية أو مجموعات البالغين التي يمكن إجراؤها، على سبيل المثال، في دورة مدتها اثنا عشر أسبوعاً. الأسئلة مصممة أكثر للفرد أو أحد الزّوجين، لكن يمكن تكييف صيغة التعبير (في أكثر الحالات) مع مجموعة أكبر. قد تبدو بعض الأسئلة حميمة أو خاصّة جداً بالنسبة إلى مجموعة؛ فيمكن تناولها بشكل إجمالي. إذا وضعت هذه المبادئ في حيّز الممارسة، فإن الفائدة الكاملة من هذا الكتاب ستكون من نصيبك. أملي أن يختبر زواجك نمواً أقوى

كنتيجة لذلك.

الفصل الأول

أغراض المواعدة ومخاطرها

إذا كان يمكنك أن تتذكّر علاقة مواعدتك مع زوجك، فقد يكون مفيداً أن تعيد التفكير في تلك الأيام لكي تفهم الأساس الذي يبني عليه زواجك. كيف أثّرت الجوانب التّالية للمواعدة على علاقتك الحاضرة، إمّا إيجابياً أو سلبياً؟

١. التعامل مع الشّريك كشخص بدلاً من كونه هدفاً جنسياً

٢. التّعرف على الخلفية العاطفية للطرف الآخر

٣. تقوية شخصك من خلال التّفاعل والانفتاح

٤. تسديد احتياجات الطرف الآخر بالخدمة

٥. تأسيس اختيارك شريك الزّواج على أكثر من مجرد وهم «الوقوع في الحب»

٦. السّماح لله أن يكون محور اختيارك للرّفيق

٧. عدم السماح للجانب الجسدي أن يسود على العلاقة

8. الإفصاح علناً عن وجهة نظر كل منكما لعلاقتك

9. عدم قصر مواعدتك (في مرحلة مبكّرة) على فرد واحد بسبب عدم الأمان

10. رؤية مواطن ضعف وأيضاً مواطن قوة رفيقك

11. عدم السّماح للمشاعر العاطفية أن تسيطر عليك

12. التطلع إلى هداية شخص غير مؤمن إلى المسيح من خلال الزّواج أو علاقة جدّية

الفصل الثاني

كيف أجد الرفيق

١. ما هي العوامل المشتركة التي تراها في زواجك التي تقرّبكما معاً – قيم روحية، ذهنية، أشياء محبّبة/منفّرة، وما إلى ذلك؟ ما الاختلافات التي كانت أيضاً جذّابة ومفيدة؟ لماذا؟ اكتب قائمة وقارن/قابل.

٢. هل والداك موافقان بشكل مبدئي على زواجك المُزمَع؟ هل استفدت من آرائهم؟ كيف ساعدت هذه (أو أعاقت) زواجك اليوم؟ عدّد مجالات القوة التي يتمتعان بها والتي يجب الاستفادة منها بعد.

٣. ما الدّور الذي لعبه إرشاد الله عندما قررتما الزّواج؟ ما الدّور الذي يلعبه الله الآن في القرارات التي تصنعانها التي تؤثّر على كليكما؟ في هذه المجال المهم جداً، يجدر بكما تحديد

المقالات والكتب المسيحية ومقاطع الكتاب المقدّس التي تعلّم عن إرادته وإرشاده.

٤. هل البعد الرّوحي- الصلاة، دراسة الكتاب المقدس، الخ- مركز علاقتكما؟ كيف يمكن تحسين المشاركة في نشاطات روحية مشتركة؟ كن صادقاً بخصوص المجالات التّي تضايقك، خاصة الصّلاة.

٥. أيها الزّوج، هل لا تزال تعطي زوجتك هدايا كما كنت تفعل في وقت المغازلة؟ إذا كانت الإجابة بالنفي، فناقشا إذا كان ذلك يساعد على زيادة الرومانسية والألفة. استكشف أنواع الهدايا التي تعجبها.

٦. أيتها الزّوجة، هل لا تزالين أمينة في الواجبات الدّنيوية الرّوتينية، كما كانت «رِفْقَة»؟ كيف يمكن أن يقوّي هذا الزّواج؟ سجّلي مسؤولياتك الرّوتينية التي تحتاجين أن تعملي على تحسينها ولماذا.

الفصل الثالث

هدف الزّواج

١. راجع النظر في التّوقعات التي كانت عندك في أربع مجالات حيت بدأت زواجك: الفكري، الاجتماعي، الجسدي، والروحي. أين عجز زواجك عن تحقيق توقعاتك وأين تجاوزها؟ في أي المجالات كان حكمك غير واقعي؟ في كل مجال ناقش ما ترغب فيه في المستقبل وكيف يمكنك إنجازه.

الفكري:

الاجتماعي:

الجسدي:

الروحي:

٢. للزّواج أغراض متعددة، لكن دعونا نلقي نظرة على مجالات رئيسية ثلاثة: الجسدي، العاطفي/الاجتماعي، والروحي.

قيّم رضاءك بالجزء الجنسي من زواجك:

التكرار: □ راضٍ □ راضٍ نوعاً ما □ يحتاج إلى تحسين

النوعية: □ راضٍ □ راضٍ نوعاً ما □ تحتاج إلى تحسين

ليشارك كل منكما الآخر بأجوبته. كيف يمكن تسديد احتياجات كل منكما الآخر بصورة أفضل؟

الجانب العاطفي/الاجتماعي يسدد العديد من الاحتياجات المهمة في الزّواج. سمِّ شيئين يفعلهما زوجك في كلٍّ من المجالين التّاليين لتسديد احتياجاتك. ثم انتقِ مجالاً واحداً وناقش كيف يمكنكما أنتما الاثنان أن تكونا أكثر فعالية في تسديد احتياجات كل منكما الآخر في هاذين المجالين.

العشرة:

الاستقرار المالي:

الألفة:

الحياة العائلة النشيطة:

الأمن:

القبول الاجتماعي:

ناقشا كيف قد حسّن زواجكما حياتكما الروحية، أي، علاقتكما بالله. ما الدّليل الذي يمكنك تقديمه على أن الله هو رأس حياتكما الزوّجية في كل نواحيها؟ ما الخطوات العملية التي يمكن أن تأخذها الآن للنمو معاً في الصّلاة، الكلمة، وحياتكما الكنسية؟

٣. أعد قراءة المقطع الخاص بطبيعة الوحدة الزّوجية. صف الطّرق التي قد قوّت حياتكما الممتزجة معاً كل منكما الآخر بشكل متبادل. في نفس الوقت، كيف تحافظان على الحدود لكي تحتفظا بفردية صحّية؟ عرّف تلك الحدود التي مكّنتكما من عدم استغلال احترام وخلوة وفردية الطرف الآخر.

٤. كيف تحفّزان كل منكما الآخر فكرياً؟ القراءة، الألعاب، مجموعات المناقشة، التعليم، الخ، كلها تساعد هذه العملية. قيّم مهاراتك في تطوير عقليكما معاً إلى مجد الله. ما الصّعوبات التي تصادفكما متى ناقشان أفكاركما؟ أي الخطوات يمكن اتخاذها لتغلّب على تلك الصّعوبات؟

الفصل الرابع

«آه لو أن زوجتي تُصلِح من سلوكها!»

١. اكتب قائمة بمواطن ضعف رفيقك وبعد ذلك قائمة منفصلة عن مواطن ضعفك الخاصة. الآن تبادلا القائمتين. متذكّراً وصية عدم الحكم على الآخرين، تعهّد كتابةً بالعمل على تقوية مواطن الضّعف التي تنطبق عليك، من كلا القائمتين. سلّم مواطن ضعف شريكك في يد الله.

٢. الآن اعمل على تحسين تلك المجالات التي تعرف أنك أهنت فيها رفيقك. اطلب الغفران بشكل محدّد، وصلّيا معاً. اتّخذا قرارات للمستقبل مع تحمّل التّعويضات الضرورية أيّاً كانت. ناقشا كيف يمكن عمل ذلك بانتظام.

٣. استرجع مواقف محدّدة نظرت فيها إلى السّلوك الخارجية لرفيقك وحكمت على دوافعه بشكل خاطئ. ابتكر

خطة لمشاركة الأحكام الداخلية أثناء حدوثها، واعترف بمواقفك الذهنية الخاطئة قبل أن تنقلب إلى مرارة.

٤. ناقش أنماطاً اعتيادية للرّدود الخاطئة عندما تسيء تقدير رفيقك، مثل الإهانات المنطوقة، التعامل الصّامت، دفن مشاعرك، وما إلى ذلك. كيف يمكن أن تعترف بهذه الأنماط وتتجنّبها حتى إذا كان رفيقك مخطئاً؟ اكتب مجموعة من الرّدود الإيجابية على بعض أنماط السّلوك ومارس تلك الرّدود.

٥. أحياناً لا يكفي اعتراف والغفران. الزّهور، موعد عشاء، الهدايا، الخ، تساعد في التعويض. استقر على لفتة أو بادرة معبّرة تساعد عملية الشفاء في المرة القادمة التي تهين فيها رفيقك.

٦. استغلال الناس أو التحكم فيهم لن يوصلك حيث تريد. في النهاية، الله وحده القادر أن يسدد احتياجاتنا. عندما يفشل رفيقك، كيف يمكن أن تعتمد على الله بأفضل صورة؟ أنشئ صلاة تطلب فيها حكمة الله في كيفية الردّ على زوجك.

الفصل الخامس

" أنا لم أعُد أحبّها "

١. الحبّ أساساً كلمات وأفعال، لا مشاعر، لكن الكلمات والأفعال المُحبّة كثيراً ما تخلق مشاعر إيجابية. أحيانا نشعر بعواطف إيجابية دافئة نحو زوجنا، وأحيانا تكون عندنا مشاعر سلبية. فكّر في مرة كان عندك مشاعر إيجابية قوية. ماذا حفّز تلك العواطف الإيجابية؟ فكّر في آخر مرة قمت فيها بعمل مُحبّ أو تكلّمت كلمة مُحبّة إلى زوجك. كيف ردّ/ردّت؟ اعقد النية على تقديم عبارة تقدير أو القيام بعمل جيد لم تفكّر فيه من قبل.

٢. لنا القدرة على التحكم في المشاعر السّلبية. جِد مجالاً في حياة رفيقك قد أزعجك في الماضي وقرّر، بمساعدة الله، أنّ يحل حبّك محل هذا الشّعور. في المرة القادم التي يثور فيها هذا الشّعور، اعترف به وبعد ذلك تعمّد أن تختار فعلاً أو تعبيراً منطوقاً عن الحبّ. بغض النظر عن طريقة تجاوب، زوجك، انظر كيف يؤثّر عملك المُحبّ على مشاعرك الخاصة.

٣. قرّر على مدى الشّهر القادم أن تعبّر عن حبّك بالكلام أو العمل على الأقل مرة يومياً. يجوز أن يكون ذلك في صورة عبارة تقدير أو رحلة في نهاية الأسبوع. مهما كان التعبير، فإن العمل أو الكلمة ستحسّن علاقة حبّكما. حلّل النّتائج بعد ثلاثين يوماً واجعلها عادة.

٤. المشاعر، بالطبع، يمكن أن تكون مفيدة. ارجع بالذاكرة إلى أسمى خبرات مررتما بها في زواجكما. ما الذي جعلها ذات قيمة خاصة؟ كيف تطوّرت؟ كيف يمكن أن يُعاد إنتاجها في سياق الحبّ والأفعال؟ أيضاً، عُد بالذاكرة وعدّد الأفعال المعبّرة عن الحب التي لم تتلوها مشاعر. لماذا كانت مفيدة على أية حال؟

٥. لا يمكن القيام بالفعل المعبّر عن الحّب في حضور مواجهة المشاعر السّلبية إلاّ من خلال عمل روح الله. عدّد كل الفوائد الإيجابية لنموك الخاص وعلاقتك بالله بالخضوع لقوته في هذه المواقف. راجع غلاطية ٥: ٢٢-٢٣

١.

٢.

٣.

٤.

٥.

٦.

٧.

٦. راجع ١كورنثوس ١٣ وعدّد كل الأفعال والردود السلوكية المرتبطة بالحبّ. ناقشا كيف ينطبق كل منها على زواجكما في ظروف محدّدة. اكتب قائمة بخطوات عملية ستأخذها متى طرأت تلك المواقف من الآن فصاعداً.

أفعال وردود مُحبّة في ١كورنثوس ١٣	خطوات عملية في ظروف محدّدة
١-	١-
٢-	٢-
٣-	٣-
٤-	٤-

٥- ٥-

٦- ٦-

٧- ٧-

الفصل السادس

التّواصل في الزّواج

١. عدِّد نقاط القوة والضّعف في عملية تواصلكما في المجالات التّالية:

	نقاط قوة	نقاط ضعيفة
مشاعر حسّاسة		
معلومات واقعية		
القرارات		
أهداف / خطّط		
رغبات / دوافع		
آراء/وجهات نظر		

خذ المجالات الأضعف وطوّر أساليب تواصل جديدة لتحسينها.

٢. كيف ترتبط طريقة تواصلك بنوعية شخصيتك- مزاجك، خلفيتك، الخ؟ حين تفهم نفسك ورفيقك بشكل أفضل، طوّر طرقاً لعبور الفجوة في اختلافاتكما. خذ مجالاً سلوكياً محيّراً أو مؤرقاً لرفيقك ووضّحه (وعالجه) في ضوء واحد من عوامل الشّخصية هذه.

٣. انظر إلى القائمة التّالية بموانع التواصل الفعّال وناقش كيف يمكن خفضها أو إزالتها من زواجك. ثم أضف المزيد ممّا يمكن تطبيقه على علاقتكما الفريدة.

الأنانية:

الحساسية المفرطة:

نقص الثّقة بالنفس:

غضب لا يمكن السيطرة عليه:

مزاج هادئ:

نقص الاهتمامات المتبادلة:

خذ المجال الأكثر إزعاجاً واحفظ سجلاً بتحسّنك فيه على مدار الشّهر القادم.

٤. ضعا خطة للاشتراك أكثر في اهتمامات كل منكما الآخر. قد يتطلب هذا بعض التّعلم والعمل الصّعب. اعقد تبادلاً على الأقل مرة كل شهر لتشترك في نشاط خاص برفيقك لا يروق لك بالضرورة. انظر إذا زاد اهتمامك مع الوقت.

٥. اعزل أكبر مشكلة محبطة لك في التواصل مع رفيقك. ثم دع رفيقك الآن يفعل نفس الشيء معك. اذكر خطوتين على الأقل يستطيع كل منكما أن يتخذها للتحرك نحو المنتصف لتحقيق انسجام وفهم أفضل؟ ألّف موقفاً افتراضياً يحاول كل منكما في سماع الآخر والرّد عليه.

١.

٢.

٦. يتعلّق نقص التواصل غالباً بالخوف. بعض المخاوف عامّة وبعضها محددة. ناقش المخاوف وبواعث القلق التي عندك على مستوى شخصي، وأيضاً المخاوف من الظّروف التي قد تطرأ. كيف يمكن للمناقشة الودودة الصادقة أن تخفّف تلك المخاوف بدلاً من تضخيمها؟

الفصل السابع

«من سينظف المرحاض؟»

١. الزّوج والزّوجة فريق، يتشاركان المسؤوليات لتحقيق هدف مشترك. اكتب قائمة بالمهام التي يتفرّد بها طرف واحد دون الآخر وتلك التي يشاركان فيها معاً. هل التوازن مفيد وعادل؟ هل توجد توقعات أو خيبة ظن مختفية؟ ناقشا هذه ووزّعا المهام بشكل مختلف، إذا لزم الأمر.

مهام الزوجة	مهام الزوج	مهام مشتركة
١-		
٢-		
٣-		
٤-		
٥-		

٦-

٧-

٢. مع أنّ النّموذج الكتابي الأساسي يقوم على الزوج باعتباره العائل والزوجة باعتبارها مدبّرة المنزل، إلاّ أن هذه الأدوار لها العديد من المؤهلات. ناقشا مفهومكما عن كيفية تتميم كل منكما ذلك الدّور والتعديلات التي يحتمل أن تكون ضرورية.

٣. العائلون ومدبرات المنازل لهم مواهب ومواطن قوة مختلفة ويمكن أن يكملوا ضعف كل منهم الآخر. ناقش الطرق التي يمكنك بواسطتها مساعدة رفيقك في تحقيق أهدافه وتأدية أفضل ما بمقدوره في دوره/دورها.

٤. ربما تدخّلت من وقت لآخر وحاولت أن تنهض بدور رفيقك. كيف أضر هذا بالعلاقة أو ساعدها؟ أو ربما قصّرت عن تقديم الدعم لذلك الدّور الآخر. اعترف بهذا، اطلب الغفران، واسأل الله أن يجعلكما معينَيْن أفضل. ناقش طبيعة

غريزة السيطرة الشائعة في العديد من الزّيجات.

٥. أحياناً تكون التفاصيل الصّغيرة في المهام هي التي تسبّب كبرى المشاكل. كُن صادقاً مع رفيقك بشأن طريقة قيامه/قيامها بمهام مساعدة مفيدة. ابحث عن طرق يمكن بها تحسين الأداء في مقابل مجرد تأدية المهام ذاتها. كُن للعمل بحسب أسلوب رفيقك.

٦. اجعل من أولوياتك أن تجد مهمة واحدة لم يسبق أن قمت بها قبل من أجل رفيقك. اجعلها مفاجأة، وأكمل المهمة حسب مقدرتك. بناءً على الرّدّ، تابع القيام بهذه المهمة أو بمهمة أخرى بانتظام.

الفصل الثامن

«يظنّ أنه دائماً على حقّ»

١. مع أنّ كل قرار مختلف، إلا أن الأزواج يؤسّسون أنماطاً في اتخاذ القرارات معاً. قد تكون آراؤك مختلفة عن آراء رفيقك. انظر إلى آخر قرار مهم وحلّلا كيف تم اتّخاذه. هل لكل منكما نفس الرّأي في عملية اتخاذ القرار؟

٢. بناءً على التعليم المقدم في هذا الفصل، ناقشا الطّرق التي يمكن بها للرئاسة أن تجمع بين خصائص قيادة حقيقية وبين الخدمة. كيف يمكن الجمع بين الإصرار والحسّاسية؟ ما الخصائص الأخرى التي يلزم موازنتها لتحقيق رئاسة ناجحة؟ أجِب على ضوء الظّروف في زواجك الخاص. كُن محدداً.

٣. راجع الآن التعليم المقدم عن الخضوع. كيف تستطيع

الزّوجة أن تتبع زوجها وتخدم احتياجاته ومع ذلك لا تفقد هويتها أو تصبح مجرد تابعة معتمدة عليه أكثر من اللازم؟ ماذا الذي يمكن ربحه في العلاقة من خلال الخضوع الحقيقي؟ ما الذي يمكن أن يُفقد بسبب وجهة النظر المشوّه؟

٤. الرئاسة وخضوع غير الصحيحين ينتجان عادةً من الرغبات الأنانية أو السّلوك المتسلّط. اقطع عهداً بوضع المسيح أولاً ورفيقك ثانياً في علاقتك وخاصة في اتخاذك القرارات. حلّل إذا كانت السلطة أو الخضوع الزائد عن الحد منبعه بيئتك، خلفيتك، أو شخصيتك.

٥. كثيراً ما نلوم كل منا الآخر عندما نرى نتائج القرارات السيئة. تذكّر آخر قرار شيء صنعه أيٌّ منكما وناقش مع رفيقك أخطائك الخاصة، مثل سوء استعمال دورك وعدم استماعك للرّأي الآخر. كيف يمكن أن تتعلّم أكثر عن عملية اتخاذ القرار الأفضل بأن تحسن الاستماع؟

٦. كم مرة يتم التضحية بالوحدة لأنك (أو رفيقك) تسعى

إلى إقحام قرار معيّن؟ إذا أصبحت الوحدة أكثر أهمية في بعض القرارات، فكيف يجعل هذا عملية اتخاذ القرارات أكفأ وأكثر متعة في حياتك؟ خذ قراراً معلّقاً واربطه بعامل «الوحدة».

الفصل التاسع

«كل ما يفكّر فيه هو الجنس»

١. اكتب أكبر قدر من الأوهام عن الجنس يمكنك أن تتذكّرها. كيف استطاعت هذه التّشويهات أن تثبّط حياة جنسك؟ ما النّقاط الرّئيسية للنزاع بين رؤية العالم للجنس ورؤية الله؟

الأوهام:

المثبّطات:

نقاط النزاع الرئيسية:

٢. تكلّم بشكل مباشر مع رفيقك عن كيفية إشباعك احتياجاتها/احتياجاته الجنسية في إطار المفهوم الكتابي للجنس. ناقش طرقاً محدّدة لتحسين الجوانب الرومانسية والحميمة لعلاقتكما الجنسية. هل هناك أي مجالات مقاومة؟ لماذا؟

٣. تتحقق الوحدانية الجسدية من خلال المواقف والسّلوكيات الصحية. تأكّد من خلو حياتك من التّلوّث أو أي

رغبات أنانية أخرى تتعلّق بأوهام السّؤال واحد. اقطع عهداً بتصحيح هذا عن طريق خطوات عملية تتفق مع كلمة الله. ما هي مجالات الإغراء التي تحتاج أن تزيلها أو تتجنّبها؟

٤. لأن الأداء الجنسي يصل إلى أعمق مستويات احترامك لذاتك، فمن الضروري أن تكون مفتوحاً وصادقاً بشأن نقائصك التي تدركها. شارك بها رفيقك وكُن مشجعاً أيضاً إذا شاركت/شاركك هو أيضاً. ابحثا عن طرق للتحسّن المتبادل بإظهار الضعفات والتفكير في الطرف الآخر أولاً.

٥. خذ بعض الوقت لمراجعة الاقتراحات الموجودة في نهاية الفصل. خذ القائمة التي وضع عليها زوجك علامة (√) وقيّم نفسك على ميزان يتراوح من صفر إلى خمسة (إذا كان هذا ينطبق عليك). اختر على الأقل ثلاثة اقتراحات ستضعها موضع الممارسة على مدار الشّهر القادم. ناقش هذا مع رفيقك.

الاقتراحات التي ستوضع موضع الممارسة:

١.

٢.

.٣

٦. الوحدانية الجنسية تستغرق وقتاً. خطط أن تذهبا معاً في رحلة من أجل الحصول على بضعة أيام من الغرام والرّفقة. اطلبا الله في الصّلاة، ناقشا المجال الجنسي من علاقتكما، واعملا على النمو معاً في الوحدانية الجسدية. خطّطا شيئاً ممتعاً لكل منكما، لكن تأكّدا من احتوائه على مكان هادئ بعيداً عن التشتيتات.

الفصل العاشر

«آه لو كنت تعرف حماتي!!»

١. هل أسّست حقاً حدوداً صحيّة مع والديك، تبقى فيها الصداقة والاحترام، دون الخضوع والسيطرة؟ ناقش هذا مع رفيقك لترى كيف تؤثّر القيم والسلوكيات أو الضغوط ماضية على علاقتكما بطريقة سلبية.

٢. اتّخذا قراراً معاً بقبول والديكما كما هما، ومع ذلك تظلان تطلبان إرادة الله فيما لو كنتما تحتاجان إلى مناقشهما في الجروح أو الروابط غير الصحيّة التي عانيتما منها مع التأكيد على علاقتكما في آن واحد. إذا كان الأمر كذلك، فلتخططا الطريقة الصحيحة، والوقت الأفضل، والمضمون المضبوط لمناقشتكما معاً.

٣. اكتب قائمة (خاصة بوالديك وحمويك) بكل المساهمات

الإيجابية التي أسهموا بها حياتكما، وأيضاً الخصائص الإيجابية في شخصيتهم. أبلغهم بطريقة ما كم تقدّرهم، واسترجعوا كيف بارك هذا التّأثير حياتك.

٤. يأمرنا الكتاب المقدس أن نهتمّ بوالدينا، خاصة عندما يتقدّم بهما السنّ. ناقش مع زوجك ما يحتاجه والداكما منكما الآن وما قد يحتاجون إليه متى عجزوا عن العناية بأنفسهم. كُن مستعداً أن تثق في إمدادات الله ، وكُن حسّاساً إلى وجهةْ نظر رفيقك.

٥. ادرس بعض العلاقات الصحية من الكتاب المقدس التي دعّمت حياة كلاً من الوالدين وأولادهم البالغين. من أمثلة ذلك: أيوب (أيوب ١: ١-٥، ١٨-٢٠؛ ٤٢: ١٢-١٦)، نعمي (راعوث ١: ٦-١٨؛ ٢: ١٨-٣: ٥)، الملك آسا (١ملوك ١٥: ٩-٢٤؛ ٢٢: ٤١-٥٠)، والملك عزاريا (٢ملوك ١٥: ١-٧، ٣٢-٣٨). ماذا كانت الأفعال والمواقف الهامّة التي أكرمت الله؟ كيف يمكن أن تحاكي هذه المبادئ والسّلوكيات؟ انظر أولاً إلى السمات الشخصية لأولئك الأولاد والآباء كلٍّ على حدة.

كيف تنطبق على حياتك؟

الأفعال، المواقف، والسمات الشخصية:

كيف يمكن أن تحاكيها وتطبّقها:

٦. إذا أُخبِر الوالدان بمجال إشكالي معيّن ومدى تعلّقه بزواجكما ورفضا أن يمتثلوا لرغباتكما المشتركة (تأكّدك من اتفاقكما في المقام الأول)، إذن – وبكل هدوء وحذر– صلّيا من أجل وضع حدود لحفظ زواجكما صحّياً. تحلَّ بالشّجاعة والإيمان لعمل ما هو ضروري.

الفصل الحادي عشر

«زوجتي تظنّ أني أجد النقود في النّهر»

١. محبّة المال والعبودية له تنتج كل أنواع الشرور. بغض النظر عمّا تملكه من مال، راجع حالات اتخذت فيها موقفاً غير كتابي. ماذا كانت النّتائج السّلبية؟ كيف يمكن أن تصحّح هذا بإخضاع كل مجال وقرار مالي لله؟

٢. تقديم المال لعمل الربّ أمر حيوي لجعل الموارد المالية صحيّة في إطار زواجك. ناقش فكرة العُشْر (أو أكثر من العُشر) مع رفيقك وكيف يمكن لكل منكما أن يتعاون مع الآخر في سبيل العطاء بسخاء وائتمان الربّ على تسديد احتياجاتكما. خذ الخطوات الضّرورية لتضع جانباً تلك النقود أولاً.

٣. طوّر أو نقّح ميزانية مرنة بحيث يُمنَح فيها كلا الطرفين حرية ومسؤولية. صوبّا على هدف إعطاء عشرة

بالمائة، توفير عشرة بالمائة، ووضع ميزانية ثمانين بالمائة لكل الاحتياجات. استشر بعض الكتب المسيحية المفيدة في موضوع التخطيط المالي للمساعدة العملية. ما هي مواطن قوتك وضعفك المتنوعة بخصوص الحياة في إطار ميزانية؟

نقاط قوة مالية:

نقاط ضعف مالية:

٤. يمكن أنت ورفيقك أن تأخذا مواقف مختلفة جداً تجاه النقود. ينجم هذا عن تشكيلة من العوامل: الخلفية، المعرفة، المِزاج، ونحو ذلك. كُن مفتوحاً مع رفيقك وانشد الطّريق الأفضل لمزج آرائكما في خطة عملية للوكالة التّقية. اعترف بأي مواقف تناقض كلمة الله.

٥. امتحن استعمالك للدفع المؤجل. هل تستعمل الدفع المؤجل في شراء أشياء ليست احتياجات ضرورية؟ هل

تستعمل الدفع المؤجل بدلا من الوثوق في الله؟ إذا كنت «غارقاً في الديون حتى أذنيك» ، فاستشر مستشاراً مؤهّلاً يطبّق وجهة نظر مالية كتابية. كيف يمكن أن تعيش في إطار إمدادات الله ومع ذلك تتمتّع بالحياة؟ خطّط قضاء أوقات جيدة تكلّف قليلاً.

٦. هل حلّلت المستقبل بأسلوب حياتك الحاضر؟ يلزم أن تتخطّى المدخرات حدود شراء الصنف المرغوب التالي فتتضمّن طوارئ للبطالة، المرض، التقاعد، وربما التعليم الجامعي. استعِن بمخطِّط مالي، إذا لزم الأمر. تحدّث مع الأزواج الآخرين الذين يجاهدون لكي يحققوا هذه الأهداف أيضاً.

القسم النهائي

كواجب إضافي، فكّر في القيام بالمشاريع الستة الطويلة الأجل التّالية للتحرّك نحو زواج نام في السّنة القادمة. اختر على الأقل واحداً وناقشها جميعاً.

١. أجرِ إصلاحاً شاملاً لحياتكما الرّوحية معاً. هذه يمكن أن يتضمّن تخطيط أوقات من الصّلاة المطوّلة، قراءة الكتب القراءة المسيحية، دراسة الكتاب المقدس بجدية، حضور مجموعة زواج تؤكّد على النمو روحي، أو الالتزام أمام زوجين آخرين بتأدية حساب Accountability.

٢. ابذلا جهداً مشتركاً لتكونا شفّافين وصادقين بخصوص ضعفاتكما. لا يمكن أن تقهرها كلها في آن واحد، لكن اختر أكبر اثنين وكن مسؤولاً أمام زوجك بأن تصححهما على مدار السّنة القادمة:

١.

٢.

٣. أجر بحثاً عن طبيعة وفن التّواصل النّاجح بين شخصين. اصرفا وقتاً معاً في طرح أسئلة متعمّقة تتعلّق بتحسين فهم الاحتياجات، الدوافع، الضغوط، وما إلى ذلك. قِس النجاح في الزواج على مدار السّنة القادمة بمستوى الاهتمام الصّادق والعميق والفهم لوجهة نظر كل منكما الآخر.

٤. أجرِ دراسة عن الوحدانية الجنسية كما تمت مناقشتها في الكتاب المقدس والكتب المسيحية، أثناء المؤتمرات، أو في السّياقات الأخرى. ابدأ بأخذ تعهّد أن تكون شخصاً له شخصية صلبة وأن تسدد احتياجات رفيقك في المجالات الأخرى. ثم ركز على الأسلوب، عدد المرات، وما إلى ذلك. انشد المرونة، الإبداع، والتنوّع في مضاجعتكما.

٥. خذ تعهداً بأن يختار بعض النّشاطات التي تساعد رفيقك بشدّة لكن قد لا تروق لك (مثلاً: غسيل الصّحون!)، وأدِّ هذا الواجب بانتظام. أو يمكنك أن تُقبِل على هواية أو اهتمام يُبهِج رفيقك وتتبنّاه لمدة سنة. ابذل قصارى جهدك لتشاركه/ لتشاركها بهجتها.

٦. الموارد المالية هي أكبر مسبب للطّلاق. بادر بعمل خطة شاملة لتجديد أهدافكما المالية. يجب أن يتضمّن هذا

دراسة شاملة للمبادئ الكتابية الخاصة بالموارد مالية، الكتب والمراجع العملية المسيحية والمنشورات المالية العلمانية التي يعتمد عليها. استطلع المطبوعات التي تربط النقود بالزّواج. اصرف فترة لا بأس بها من الوقت على الأقل مرة كل شهر في مراجعة كل بُعد من أبعاد أهدافك المالية وتقدمك مع رفيقك.

إصدارات مكتبة المنار

		السعر
١.	هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	٨,٠٠
٢.	جوني	٨,٠٠
٣.	إنهض وحارب (نفذ)	٥,٠٠
٤.	لكي أربح (طبعة ثانية)	٥,٠٠
٥.	العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٤,٠٠
٦.	رحلة في دروب الحياة	٤,٠٠
٧.	أعماق نفسي (طبعة ثانية)	١٠,٠٠
٨.	ترس الصلاة (نفذ)	٦,٠٠
٩.	لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٥,٠٠
١٠.	نسل إبراهيم(جـ ١)	٤,٠٠
١١.	نسل إبراهيم(جـ ٢)	٤,٠٠
١٢.	الحرب الروحية	٧,٠٠
١٣.	مع المسيح فوق الآلام	٣,٥٠
١٤.	روعة الحياة بالإيمان	٧,٠٠
١٥.	يشفي نفسي	٣,٠٠
١٦.	القيادة	٨,٠٠
١٧.	العهود السبعة	٨,٠٠
١٨.	كيف تنتصر على الخطية	٢,٥٠
١٩.	المحبة حينما تبدو مستحيلة	٥,٠٠
٢٠.	أين أجد الوقت	٦,٠٠

٢١. اكتشاف المصير	٢.٥٠
٢٢. العلاقات الصحيحة	٧,٠٠
٢٣. سر القط الضاحك(أطفال)	١.٥٠
٢٤. المسيح يحررك(كتيب)	,٧٥
٢٥. أسرار النجاح الروحي	٦,٠٠
٢٦. مصر المباركة	٧,٠٠
٢٧. بالحقيقة أحرار	٨,٠٠
٢٨. أسس خدمة الشفاء	٨,٠٠
٢٩. حنان الآب	٢,٠٠
٣٠. رؤية المدينة بعيني الله	٦,٠٠
٣١. دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة	٨,٠٠
٣٢. لغات المحبة الخمس عند الأطفال	١٠,٠٠
٣٣. بيلي جراهام	٥,٠٠
٣٤. أخرج من مخبأك	١,٥٠
٣٥. الديداخى-أى تعليم الرسل	٧,٠٠
٣٦. الكنائس الشرقية وأوطانها	٨,٠٠
٣٧. حقائق و أساسيات الإيمان المسيحي	١٠,٠٠
٣٨. التقليد الرسولى	٨,٠٠
٣٩. الكنائس الشرقية القديمة	٩,٠٠
٤٠. سر البغبغاء الثرثار	١,٥٠
٤١. المسيحيون الأوائل	١٠,٠٠
٤٢. قصة ميلاد المسيح	١,٥٠
٤٣. الانطلاقة	٦,٠٠
٤٤. ٢ شريط كاسيت بانوراما الكتاب المقدس للأطفال+ كتاب	٦,٠٠

٤٥. شريط كاسيت حياة السيد المسيح -الحان شرقية ٣,..

• الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة

٤٦. الكتيب الأول : دليل المعلم

٤٧. الكتيب الثاني : معرفة الله أبينا

٤٨. الكتيب الثالث : معرفة يسوع، الله معنا

٤٩. الكتيب الرابع : معرفة يسوع بواسطة الروح القدس

٥٠. الكتيب الخامس : التأديب الذي في البر

(٥ كتاب + ٣ شريط كاسيت + ٧ بوستر) ١٠٠,٠٠

٥١. نحو زواج ناضج ١٠,٠٠

٥٢. الكنيسة التي في بيتك ٦,٠٠

٥٣. إرشاد الصغار إلى الله ١٤,٠٠

Published by Lighthouse Book Center

No.	TITLE	AUTHOR
1	Is that really you God?	Loren Cunningham
2	Joni	Joni Eareckson
3	Stand up and Fight	Barry Austin
4	Winning God's Way	Loren Cunningham
5	Intimate Friendship With God	Joy Dawson
6	Journey Into Life	Rudy Lack
7	Walls of my heart	Dr.Bruce & Barbara Thompson
8	Prayer Shield	C.Peter Wagner
9	Mandate For Mercy	Don Stephens
10	The seed of Abraham (PART ONE)	Percy H.Rolf
11	The seed of Abraham(PART TWO)	Percy H.Rolf
12	Spiritual Warfare	Dean Sherman
13	Overcoming Pain in Christ	W. Safwat
14	Daring to live on the Edge	Loren Cunningham
15	Healing the Hidden Self	Barbara Leahy Shlemon
16	Understanding Leadership	Tom Marshall
17	Seven Promises of a Promise Keeper	Focus on the Family
18	How To Have Victory Over Sin	Floyd McClung
19	Learning To Love People You Don't Like	Floyd McClung
20	Where Will I find the time?	Sally McClung
21	Discovering Your Destiny	Floyd McClung
22	Right Relationship	Tom Marshall
23	Le mystère du chat rieur	Elspeth C. Murphy
24	Jesus will set you free	
25	Secrets To Spiritual Success	Paul Estabrooks
26	Blessed be Egypt my People	Dr. Sobhy Shenouda
27	Free Indeed	Tom Marshall

28	Healing From The Inside Out	Tom Marshall
29	The Compassion of the Father	Floyd McClung
30	Seeing the City with the Eyes of God	Floyd McClung
31	A Plea For Purity Sex, Marriage & God	Johann Christoph Arnold
32	The Five Love Languages Of Children	Garry Chapman & Ross Campbell
33	Billy Graham	F. Azab
34	Come out of your Hiding Place	
35	The Didache or Teaching of the Apostles	Coptic Church
36	The Eastern Churches and its Countries	Coptic Church
37	Essential Truths of the Christian Faith	R.C.Sproul
38	The Apostolic Tradition	Coptic Church
39	The Eastern Churches and its Countries III	Coptic Church
40	Le mystère du perroquet bavard	Elspeth C. Murphy
41	The Early Christians	Eberhard Arnold
42	Le récit de Noël	Andrea-Giorgio-Xandry
43	Breakthrough	Rudi Lack
44	2 Tapes Panorama Bible Stories for children with a book of Songs.	
45	Tape The Life of Jesus With Oriental Music	
	A Biblical Foundation For Early Childhood Education	University of the Nations
46	1- Teacher's Guide	
47	2- Knowing God Our Father	
48	3- Knowing Jesus, God With Us	
49	4- Knowing Jesus because of the Holy Spirit	

50	5- Training in Righteousness, A Biblical Discipline Manual	
51	Toward A Growing Marriage	Gary Chapman
52	Des Cellules De Maisons	Jean-Pierre Besse
53	Leading Little Ones To God	Marian M Schoolland

نحو زواج أفضل

حين تحدث الكتاب المقدس عن الزواج، قال عنه:

"هذا السر عظيم" أفسس ٥:٣٢

نعم لقد قدم لنا الكتاب المقدس صورة رائعة للزواج من حيث أهدافه وأعماقه وغناه.

فما هو هدف الزواج؟ كيف تكون المشاركة فيه؟

إن الشخص الصامت والحاد الطباع والأنانى والذى يعتقد أنه دائماً على صواب، هل هو الذى يفتقر إلى الثقة بنفسه؟

كيف أنمو فى علاقة الزواج؟

وكيف أجد رفيق العمر؟

كيف تكون المشاركة؟

ما هي مكانة الجنس في الزواج؟

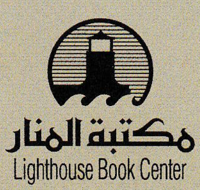
وما الموقف من الحماة؟

المسائل المادية؟ كيف أتعامل معها؟

وماذا تعنى قيادة الزوج؟

وماذ ايعنى خضوع المرأة؟

هذه الموضوعات وغيرها يناقشها المؤلف في هذا الكتاب.



١٠ جنيهات

مكتبة الكتب المسيحية

أحدث الكتب


روحية
كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الارثوذكسية – تحميل pdf

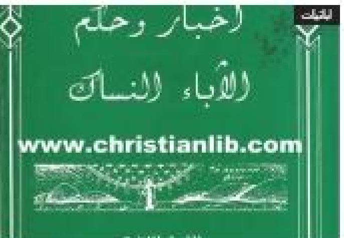

العهد الجديد
كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – اعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf


روحية
كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf


مقالات
لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

كتب روحية


روحية
كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوستراداميس – د ق لبيب مشرقي pdf


ابائيات
كتاب من اخبار و حكم الآباء النساك – نقله عن اليونانية الاب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf


انسانيات
كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنيية – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية
كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الارثوذكسية – تحميل pdf


روحية
كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf


روحية
كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الآب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على اناجيل القداسات pdf